موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية

الجزء الحادى عشر

الشهداء

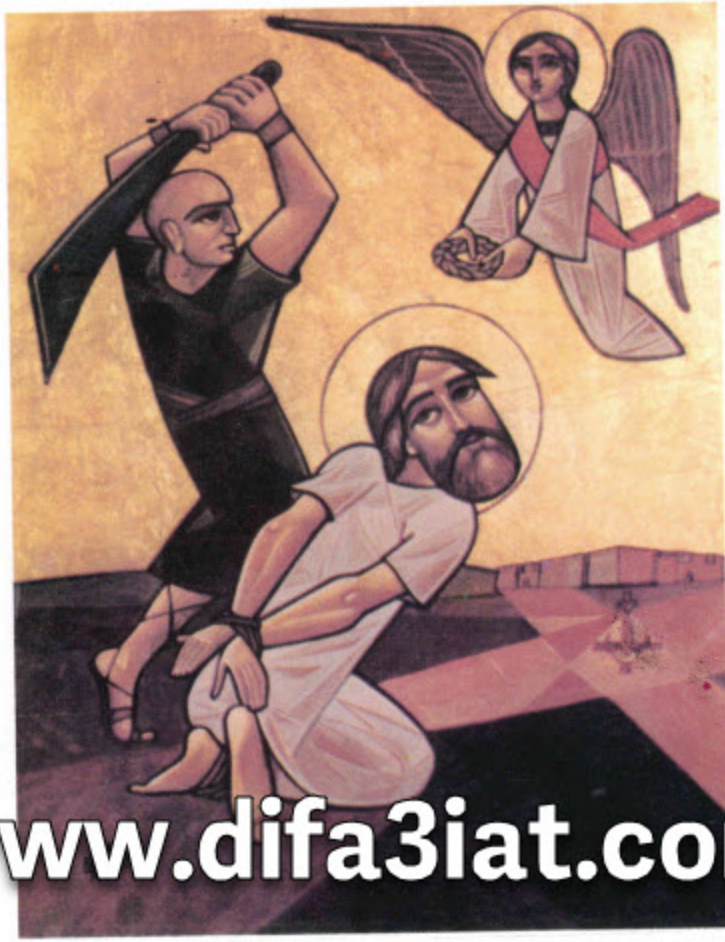

www.difa3iat.com

زكى شنوده

الجزء الحادى عشر من
موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية

الشهداء

الكتاب الرابع
من سلسلة الشهداء

تأليف
المستشار
زكى شنوده
مدير معهد الدراسات القبطية

اسم الكتاب : الشهداء
اسم المؤلف : المستشار زكى شنوده
اسم الناشر : مكتبة مارجرجس بشبرا ت : ٩٤٣٢٤٣
الجمع التصويرى : جى. سى. سنتر مصر الجديدة ت : ٢٤٣٧١٢٤
المطبعة : دار الطباعة القومية ت : ٩٠٥٤٨٦
صورة الغلاف : رسم الدكتور الفنان إيزاك فانوس
الطبعة الأولى : فبراير ١٩٩١م
رقم الإيداع بدار الكتب : ٣١٢٩ / ١٩٩١

السيد المسيح

قداسة البابا شنودة الثالث

مقدمـــة

ذكرنا فى الأجزاء السابقة من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية أن الدليل أكبر الدليل على صحة الديانة المسيحية هو استشهاد الذين شهدوا بها . فكان استشهادهم هو الدليل على صدق شهادتهم . وإذ كان الصف الأول من الشهداء هم تلاميذ السيد المسيح ، بدأنا فى الكتب الثلاثة السابقة من الجزء الحادى عشر من الموسوعة باستعراض حياة التلاميذ واحداً بعد الآخر ، أولئك التلاميذ الذين رأوا السيد المسيح أثناء وجوده على الأرض ، ولازموه ملازمة كاملة أو شهدوا كل معجزاته ، وسمعوا كل تعاليمه ، ثم حضروا كل الأحداث التى مرت به ، إذ أمسكه اليهود وعذبوه وصلبوه فمات على الصليب ، وبعد أن مكث فى القبر ثلاثة أيام قام وقد استرد الحياة ، فرأوه بعد ذلك وسمعوه وظل معهم أربعين يوماً ، ثم صعد أمامهم الى السماء بمجد عظيم ، ثم حل عليهم الروح القدس الذى أرسله اليهم فى اليوم الخمسين ، فبدأوا رسالتهم التى كلفهم بها ، مبشرين به فى العالم كله وقد لقوا فى سبيل ذلك من العنت والعسف والعنف ما يعجز عن احتماله أى بشر ، وكابدوا من العذاب والارهاب والضيم والظلم والنوائب والأهوال ما ينوء به أعتى الرجال ، بل ما تنوء به رواسخ الجبال ، ولكنهم مع ذلك لم يتراجعوا أو يتضعضعوا أو يخافوا أو يتخلفوا ، بل ظلوا صابرين مثابرين ، معلنين على رؤوس الأشهاد فى كل البلاد إيمانهم بأن معلمهم هو المسيح ابن الله فادى البشر ومخلصهم الذى تنبأ بمجيئه كل أنبياء العهد القديم من الكتاب المقدس . وما فتئوا يدافعون عن هذا الإيمان ، ويرفعون لواء هذه الشهادة . حتى استشهدوا جميعاً فى سبيل هذا الإيمان وهذه الشهادة ، فكان استشهادهم كما قلنا هو الدليل على صدق شهادتهم .

غير ان الاضطهاد والاستشهاد لم يتوقفا بعد مقتل التلاميذ ، وانما كانت الدماء التى بذلوها هى التى روت شجرة المسيحية ، فنبتت أغصانها ، وازدهرت ثمارها ، وانتشرت

آثارها فى العالم كله ، وبدأ المؤمنون بها صفاً بعد صف ، وجيلاً بعد جيل ، يعانون ما عاناه التلاميذ ، ويتعذبون كما تعذبوا ، ويستعذبون المصائب والمصاعب كما استعذبوا ، ثم يبذلون دمهم فى سبيل عقيدتهم ، صابرين وصامدين صمود الأبطال أمام كل ما جابههم من الآلام والأهوال على يد اليهود الذين ظلوا معادين لهم معتدين عليهم ، مطاردين أياهم من قرية الى قرية ، ومن مدينة الى مدينة ، ومن دولة الى دولة ، ثم اتسع بعد ذلك نطاق اضطهادهم واستشهادهم على يد الامبراطورية الرومانية التى فزعت أشد الفزع ، وجزعت أشد الجزع من تكاثرهم وامتداد أثرهم ،، وهم ينادون فى كل انحاء الأمبراطورية بأن مسيحهم هو ربهم وملكهم الذى يعبدونه ويسجدون له . فى حين كان الرومان يعتقدون أن الامبراطور وحده هو الرب والملك الذى تنبغى له العبادة وينبغى له السجود ، فظهروا بمظهر المتآمرين على الامبراطورية الرومانية ، المعادين لها ، العاملين على انهيارها ، ومن ثم استخدم الرومان كل قوتهم وسطوتهم وجبروتهم ووحشيتهم فى مطاردتهم وابادتهم والقضاء عليهم ، فراح ضحيتهم ملايين الشهداء فى العالم كله وفى مصر على الخصوص .

وقد جرى العلماء والمؤرخون على تسمية الذين يقتلون من المسيحيين بعد اعترافهم بعقيدتهم وتمسكهم بها الى الرمق الأخير بالشهداء ، وهو لفظ يطلق فى أصله اللغوى على كل إنسان تستدعيه السلطات الى المحاكم أو مجالس الحكم ليشهد بما رأى أو علم فيما يتعلق بواقعة من الوقائع أو حادثة من الحوادث ، ليصدر الحكم فى هذه الواقعة أو هذه الحادثة على ضوء شهادته . ثم استخدم الرسل الذين كتبوا أسفار العهد الجديد هذا اللفظ للدلالة على الأشخاص الذين شاهدوا السيد المسيح ،، ورأوا أعماله ، وسمعوا تعاليمه وآمنوا به . إذ جاء مثلاً فى سفر أعمال الرسل أن المسيح خاطب تلاميذه قائلاً« ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة والى أقصى الأرض » (الأعمال ١:٨) . كما جاء فى هذا السِّفر أن بطرس الرسول قال لزملائه التلاميذ بعد صعود السيد المسيح « ينبغى أن يكون من بين أولئك الّذين رافقونا كل الوقت الذى كان فيه الرب يسوع يدخل ويخرج بيننا ابتداء من معمودية يوحنا حتى اليوم الذى ارتفع فيه عنا الى السماء ، ليكون شاهداً معنا بقيامته » (الأعمال ١:٢١و٢٢) . ثم لما اشتدت قسوة الاضطهاد على

المسيحيين ، وثقلت وطأة الإرهاب والتعذيب عليهم بدأت الكنيسة تطلق لقب الشهداء على أولئك الذين كانوا ضحية الاضطهاد وتجرعوا كأس العسف حتى سفك دمهم وماتوا موت الشهداء . كما تطلق لقب المعترفين على أولئك الذين ، نتيجة اعترافهم بالمسيحية ، تولى الولاة تعذيبهم بكل وسائل الترهيب والتعذيب وساموهم كل ألوان العسف والعنف والتنكيل والوحشية ، لكنهم ظلوا بعد ذلك على قيد الحياة . كما تقول الكنيسة عن أولئك أنهم شهداء بدون سفك دم . ويرجع لفظ الشهداء أو المعترفين بهذا المعنى الى أن الرومان كانوا يسوقون المسيحيين الى مجلس الامبراطور أو الوالى فيسأل كلا منهم قائلاً « هل أنت مسيحى ؟ » فإذا اعترف قائلاً « نعم أنا مسيحى » يصدر الحكم عليه فوراً بالتعذيب والموت ، لأنه شهد بأنه مسيحى واعترف باعتناقه هذه العقيدة وهو يعلم كل العلم أن تلك الشهادة وهذا الاعتراف يؤديان به الى أبشع وأشنع صور الآلام والانتقام ، وفى النهاية إلى الموت .

ويمكن أن نحصر الطوائف التى اضطهدت المسيحيين وأدت إلى استشهاد الملايين منهم الى ثلاث طوائف هى اليهود ثم الرومان ثم العرب . ومن ثم نتناول بالحديث عن الاستشهاد على يد اليهود والرومان فى البابين التاليين ، ونرجىء الكلام عن الاستشهاد فى العصر العربى فى مصر الى حين الكلام عن هذا العصر فى الأجزاء التالية من هذه الموسوعة إذا شاءت إرادة الله . .

على أننا سنقتصر فى هذا الكتاب الرابع من سلسلة كتب الشهداء على الكلام عن بعض المشاهير من أولئك الشهداء . وأما باقى الشهداء فسوف نخصص لهم الكتاب الخامس من تلك السلسة ، التى هى فى مجموعها الجزء الحادى عشر من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ، سائلين الله أن يعيننا ويقوينا ويأخذ بأيدينا .

زكـــى شنـــوده

الباب الأول

إضطهاد اليهود للمسيحيين

١ ــ فى عهد السيد المسيح :

على الرغم من أن كل أنبياء اليهود تنبأوا بمجىء السيد المسيح ، وبأنه سيكون حين يجىء إلى العالم فقيراً وديعاً متواضعاً لا يتمتع بما يتمتع به المشاهير من أقوياء الملوك والقادة والزعماء وأصحاب السلطان والسطوة والثراء ، فقد كان كبار علماء اليهود وعظمائهم والشعب اليهودى كله من ورائهم يعتقدون أن المسيح الذى ينتظرونه سيجىء ملكاً جباراً من ملوك الأرض ، وقائداً مغواراً يغزو بجيوشه الجرارة ممالك الدنيا ويجعل اليهود سادة كل الشعوب ، ويعيد اليهم مجد أشهر ملوكهم داود وسليمان ، ويحررهم من ربقة الرومان ، وما يجدونه تحت نيرهم من مذلة وهوان . بل أن هذه الفكرة ذاتها حين جاء السيد المسيح ، كانت تسيطر على تلاميذه أنفسهم قبل أن يفتح أبصارهم وبصائرهم على حقيقة شخصيته الإلهية ، ومملكته السمائية ، فكانوا يعتقدون أنه بعد أن ذاعت شهرته ، وارتفعت بين اليهود مكانته ، سيجلس على عرش الأمة اليهودية ملكاً دنيوياً ليحقق لهم ما يراودهم من آمال وأحلام ، وأنهم وهم تلاميذه وأقرب الناس اليه سيكونون هم أمراءه ووزراءه فى تلك المملكة الأرضية التى يتطلعون اليها ويطمعون فى أفحم وأرفع مناصبها وأعظم وأعلى مكاسبها . ومما يدل على ذلك ما جاء فى إنجيل القديس متى من أنه فيما كان السيد المسيح مع تلاميذه « تقدمت اليه أم ابنى زبدى مع ابنيها يعقوب ويوحنا ساجدة له تلتمس منه أمراً فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : إسمح بأن يجلس ابناى هذان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فى مملكتك . أما يسوع فأجاب وقال : إنكما لا تدريان ما هو الذى تطلبان ــ

أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى سأسطبغ أنا بها ؟ قالا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها تصطبغان . وأما أن تجلسا عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعدّ لهم من أبى الذى فى السماوات . فلما سمع التلاميذ العشرة الآخرون ذلك حنقوا على الأخوين (لأنهم كانوا جميعاً يطمعون هم أيضاً فى أعظم مناصب تلك المملكة التى كانوا يتوهمون أن معلمهم سيجلس فى الأرض على عرشها) » (متى ٢٠:٢٠ــ٢٤) . فالتلاميذ لم يرجعوا عن تلك الفكرة الخاطئة عن معلمهم ، ولم ينزعوا ما علقوه عليها فى أذهانهم من آمال دنيوية وأحلام وهمية حتى أدركوا فى النهاية أن ذلك المعلم الذى تبعوه وأحبوه وحسبوه ملكاً من ملوك الأرض لم يكن ملوك الأرض جميعاً إلا عبيده وعباده . لأنه هو ملك الملوك ورب الأرباب ، ليس فى الأرض وحدها وإنما كذلك فى السماء .

أما سائر اليهود غير التلاميذ فكانوا فى بداية الأمر مذبذبين ، إذا رأوا معجزات السيد المسيح التى تفوق مقدرة البشر ، أو سمعوا تعاليمه التى لا يمكن أن تصدر إلا عن حكمة إلهية ، أبدوا الدهشة والايمان والإذعان . ثم إذا رأوا فقهاءهم ورؤساء كهنتهم يهزأون به ويكذبونه ، إنقلبوا هم أيضاً هازئين مكذبين ، لأنهم كانوا جميعاً ، رؤساء ومرؤوسين ، شعباً متقلباً متألباً ، متنمراً متمرداً ، حتى على أنبيائه الذين طالما نصحوه وأوضحوا له عواقب شروره وسيئاته . بل لقد تنمرّ وتمرّد حتى على الله ذاته الذى كان أولئك اليهود يفاخرون بأنهم شعبه المختار وأنهم لذلك من بين كل الشعوب هم فى زعمهم الأبرار الأخيار . وأما سواهم من الشعوب فهم فى نظرهم الفاسقون الفجار . وقد كان من نتيجة أخلاقهم تلك أنه لا يكاد يخلو سفر من أسفار التوراة التى هى كتابهم المقدس من عبارات الغضب التى صبها الله عليهم بسبب عبادتهم للأصنام من دونه ، وما كانوا يرتكبونه من الشرور والآثام فى كل مراحل تاريخه حتى مجىء السيد المسيح وخراب بلادهم .

فقد جاء فى سفر الخروج « وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم » (خروج ٣٢:٩و١٠) .

وجاء فى سفر العدد « وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب ، وحتى متى لا تصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم ؟ إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم » (العدد ١٤:١١و١٢) . وجاء فى سفر التثنية « أذكر لا تنسى كيف اسخطت الرب الهك فى البرية . من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم الى هذا المكان كنتم تقاومون الرب . حتى فى حوريب أسخطتم الرب عليكم ليبيدكم » (التثنية ٩:٧و٨) . « جيل أعوج ملتوٍ . أبهذا تكافئون الرب ياشعباً غبياً غير حكيم ... انهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم ... أغاظونى بأباطيلهم .. إنه قد اشتعلت نار بغضبى . فتنفذ الى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها ، وتحرق أسس الجبال ... إنهم أمة عديمة الرأى ولابصيرة فيهم .. إن يوم هلاكهم قريب » (التثنية ٣٢:٥ــ٣٥) وجاء فى سفر القضاة « وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون مؤاب ، وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين . تركوا الرب ولم يعبدوه . فحمى غضب الرب على إسرائيل .. فقال الرب لبنى اسرائيل .. قد تركتمونى وعبدتم آلهة أخرى . لذلك لا أعود أخلصكم .. إمضوا واصرخوا إلى الآلهة الأخرى التى اخترتموها لتخلّصكم » (القضاة ١٠:٦ــ١٤) . وجاء فى سفر الملوك « وعمل بنو اسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة .. وعملوا أموراً قبيحة لاغاظة الرب . وعبدوا الأصنام .. وأشهد الرب على اسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ قائلاً ارجعوا ، عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى ، فرائضى ، حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسلتها اليكم عن يد عبيدى الأنبياء فلم يسمعوا ، بل صلّبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا ــ بالرب إلههم ورفضوا فضائله .. وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم .. وتركوا جميع وصايا الرب الههم .. فغضب الرب جداً على اسرائيل » (الملوك الثانى ١٧:٧ــ٢٣) . وجاء فى سفر إرميا لأن هذه المدينة (أورشليم) قد صارت لى لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها الى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى من أجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم .. وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دُعى باسمى لينجسوه » (ارميا ٣٢:٣١ــ٣٥) .

وجاء فى سفر حزقيال « هكذا قال السيد الرب ، أيتها المدينة (أورشليم) السافكة الدم فى وسطها ليأتى وقتها الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها .. قد أثمت بدمك الذى سفكت ونجست نفسك وأصنامك التى عملت .. فلذلك جعلتك عاراً للأمم وسخرة لجميع الأراضى القريبة منك والبعيدة عنك ، يسخرون منك يا نجسة الإسم يا كثيرة الشغب » (حزقيال ٢٢ : ٣ــ٦) .

ونرى من ذلك أنه كما عمل اليهود مع أنبيائهم إذ قتلوهم . وكما عملوا مع الرب الههم إذ خانوه فعبدوا الأوثان من دونه ، وأهملوا وصاياه فارتكبوا من الآثام والشرور ما أثار غضبه عليهم ، ودعاه الى هجوهم وهجرهم والتخلى عنهم . هكذا عملوا مع السيد المسيح ــ وهو الإله المتجسد ــ حين بدأ بينهم رسالة الخلاص والفداء التى تجسد وجاء من أجلها الى العالم ، إذ على الرغم من المعجزات الإلهية التى صنعها أمامهم ، وعلى الرغم من التعاليم السماوية التى تتدفق من فمه كأنها الغيث المنهمر على الأرض المجدبة ، لم تنفتح أبصارهم ولا بصائرهم ليروا فيه المسيح الذى تنبأ بمجيئة أنبياؤهم . وفى ذلك يقول إنجيل القديس يوحنا إنه « مع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ، ليتم قول إشعياء النبى الذى قال : يارب من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب ؟ . لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا ، لأن إشعياء قال أيضاً : قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلاً يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه » (يوحنا ١٢ : ٣٢ــ٤٠) .

وقد كان الكتبة والفريسيون هم فقهاء اليهود الذين يحرضونهم ضد السيد المسيح ، مؤكدين لهم أنه ليس المسيح الذى تنبأ به أنبياؤهم والذى لا يفتأون ينتظرونه ، لا لأنهم لم يجدوا فيه صفات المسيح التى تنبأ بها الأنبياء ، وقد كانت تلك الصفات تنطبق عليه انطباقاً كاملاً ، حتى كأن أولئك الأنبياء رأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم قبل مجيئه بآلاف السنين . وإنما لأن الكتبة والفريسيين على الرغم من تأكدهم الكامل من حقيقة شخصية المسيح ــ كانوا يعتقدون أنه سيكون ملكاً أرضياً يملك على اليهود ، ومن ثم كانوا يخافون منه على مناصبهم ومكاسبهم ، إذ كانوا يحتلون أعلى المناصب فى بلاد اليهود ، ويجنون أعظم المكاسب من وراء تلك المناصب ، ومن ثم استخدموا كل ما

جبلوا عليه من خبث الطوية ولؤم الطباع فى التنكيل بالسيد المسيح ، وابتداع الوسائل والأساليب التى تؤدى الى الحكم عليه بالموت . وقد كان السيد المسيح بطبيعة الحال يدرك كل الادراك ما تنطوى عليه جوانحهم من بغضاء يضمرونها له ، ومن رياء يتخذونه وسيلة الى القضاء عليه ومن ثم خاطبهم ــ كما جاء فى انجيل متى ــ قائلاً لهم : « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، فإنكم تغلقون ملكوت السماوات أمام الناس ، فلا أنتم تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون .. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تؤدون عشور النعنع والشبث والكمون وأغفلتم جوهريات الشريعة .. أيها القادة العميان الذين يحتجزون البعوضة فى المصفاة ويبلعون الجمل . الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون تطهرون خارج الكأس والصحفة فى حين أن باطنهما ممتلىء نهباً ونجاسة .. أيها الفريسى الأعمى طهّر أولاً الكأس والصحفة حتى يكون خارجها طاهراً أيضاً .. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون القبور المبيضة التى تبدو من الخارج جميلة ، فى حين أنها من الداخل ممتلئة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم تبدون للناس فى ظاهركم أبراراً فى حين أنكم فى باطنكم ممتلئون رياء وإثماً . الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما كنا شركاء لهم فى دم الأنبياء . فأنتم شهود على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم الى الحافة أذن مكيال آبائكم . أيها الثعابين بنى الأفاعى كيف تفلتون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين ، فبعضهم تقتلون وبعضهم تجلدون فى مجامعكم ، وتطردون من مدينة الى مدينة ، كى يقع عليكم وزر كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل البار الى دم زكريا بن براخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ... يا أورشليم يا أورشليم ، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (متى ٢٣:١٣ــ٣٨) .

وفعلاً انقلب اليهود على السيد المسيح من مؤمنين به ، ممجدين له ، ساجدين أمام عظمته ، إلى أعداء الدّاء كافرين به ، نافرين من تعاليمة ، منكرين معجزاته ، مهددين له ، معتدين عليه ، منادين بصلبه . وبعد محاكمته محاكمة صورية استغرقت الليل كله ،

أمام رئيس الكهنة حنان ، ثم أمام رئيس الكهنة قيافا ، ثم أمام المجلس الأعلى لليهود المسمى بالسنهدريم ، ثم أمام الوالى الرومانى بيلاطس البنطى ، ثم أمام ملك اليهود هيرودس ، ثم أمام بيلاطس البنطى مرة أخرى . وهم بينذاك يضربونه ويعذبونه ويهينونه ويهزأون به ، حتى إذا استسلم بيلاطس أخيراً لافترائهم وكيدهم وتهديدهم ووعيدهم ، اضطر بعد أن حكم ببراءته أن يسلمه لهم ليشفوا فيه غليلهم ، وينتقموا منه أبشع انتقام وأشنع انتقام ، فأخذوه على الفور ، وساقوه الى ساحة الصلب ، حاملاً صليبه ، متحملاً تحت وطأة هذا العبء الثقيل كل صنوف الألم والهوان ، حتى لقد سقط عدة مرات تحته من فرط ما عانى الليل كله من صنوف الضرب والكرب والمذلة والهزء والامتهان . وأخيراً صلبوه بين لصين ليظهروه بمظهر المجرم الأثيم ، وليزيدوا من مظاهر هوانه وامتهانه ، ودقوا المسامير فى يديه ورجليه على الصليب ، وطعنوا بحربة جنبه ، وهم بينذاك يوجهون اليه أقذع الشتائم وأفظع كلمات التحقير والتشهير والاستهانه والاستخفاف ، وهو يكابد أبشع الآلام وأقسى صنوف التعذيب التى لا يحتملها بشر ، حتى مات أخيراً وأسلم الروح .

وقد رأينا أن تلاميذ السيد المسيح الذين كانوا حتى آخر لحظة يعتقدون أن معلمهم سيكون ملكاً من ملوك الأرض ، ويطمعون فى أن يكونوا هم أمراءه ووزراءه ، حين رأوا ما كان عليه حينذاك من مذلة وامتهان ، ثم رأوه يموت كما يموت سائر الناس من غير ذوى العروش والتيجان ، تملكهم اليأس ، وراحوا فى مخبأهم الذى لجأوا اليه ينوحون ويتوجعون ويتفجعون وينعون حظهم العاثر فيما كانوا يعلقون على معلمهم من مطامع وتطلعات وآمال . ولكنهم ما لبثوا أن علموا بقيامته فى اليوم الثالث ، ثم لم يلبث فى اليوم نفسه أن دخل عليهم والأبواب مغلقة ، فرأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم وتذكروا ما سبق أن قاله لهم مراراً حين كان معهم من أن اليهود سيقتلونه ، ومن أنه سيموت ويدفن ثم فى اليوم الثالث يقوم . فعرفوا عندئذ حقيقة شخصيته الإلهية ، وآمنوا بأن مملكته ليست مملكة أرضية ، وإنما هى ملكوت سماوى ، لأنه هو الله ملك الأرض والسماء ، وليس لملكه انقضاء . ثم ازدادت معرفتهم له ، وتأكد إيمانهم به ، حين صعد أمامهم الى السماء فى مجد عظيم ، فانطلقوا يبشرون به العالم كله كوصيته الأخيرة إذ قال لهم « إنى قد أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا

إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به . وها أنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » (متى ١٨:٢٨ــ٢٠) .

٢ ــ فى عهد تلاميذ السيد المسيح :

فما بدأ التلاميذ يمارسون رسالة التبشير التى كلفهم بها معلمهم حتى قام اليهود عليهم فاذا قوهم أقسى صنوف التنكيل والتعذيب والذل والقتل ، وظلوا يضطهدونهم ويطاردونهم ويعادونهم ويعتدون عليهم ، ويكيدون لهم ، ويشون بهم لدى الحكام فى كل بلد يوجدون به ، فلا يرتاح لهم بال ، ولا يطمئن لهم حال حتى يريقوا دم التلاميذ ويزهقوا أرواحهم فيموتون موت الشهداء .

فقد حدث أن بطرس ويوحنا وهما يدخلان الهيكل ، رأيا عند بابه رجلاً كسيحاً يطلب صدقة فشفياه من علته فنهض يجرى خلفهما . وإذ أبصر الحاضرون هذه المعجزة دهشوا دهشة عظيمة . ومن ثم انتهز التلميذان هذه الفرصة وراحا يبشرانهم بيسوع المسيح ، قائلين أنهما بواسطته استطاعا أن يصنعا هذه المعجزة . فأقبل عليهما الكهنة ورؤساء اليهود وألقوا القبض عليهما وألقوا بهما فى السجن ، حتى إذا اجتمع فى اليوم التالى مجلس السنهدريم الذى هو المجلس الأعلى لديهم ، ساقوهما لمحاكمتهما أمامه .. وإذ كانت المعجزة التى صنعها التلميذان قد تمت علانية أمام جمع عظيم من الشعب ، ثم لم يجرؤ رؤساء المجلس أن يوجهوا اليهما أي تهمة ، أو يوقعوا عليهما أى عقوبة مع رغبتهم الشديدة فى ذلك ، فاكتفوا بأن نهروهما وأمروهما بأن يمتنعا عن المجاهرة باسم يسوع المسيح ، ثم اطلقوا سراحهما . ولكنهما مع سائر التلاميذ استمروا يصنعون المعجزات باسم المسيح ، مبشرين به ، داعين الشعب الى الايمان باسمه القدوس . وإذ رأى رؤساء اليهود أن كثيرين ينضمون الى التلاميذ ألقوا القبض عليهم وسجنوهم . ولكنهم خرجوا من السجن بمعجزة وراحوا يواصلون التبشير فى الهيكل ، فأمسكهم رؤساء اليهود وقدموهم مرة أخرى الى مجلس السنهدريم ، فأخذ أعضاء هذا المجلس يتشاورون عليهم ليقتلوهم . ولكنهم خافوا من الشعب فى هذه المرة أيضاً . فجلدوا التلاميذ وأمروهم بأن يمتنعوا عن التبشير بالمسيح ، ثم أطلقوا سراحهم .

القديس الشهيد بطرس الرسول

وكان التلاميذ قد عينوا سبعة شمامسة من المؤمنين لمعاونتهم فى خدمة الشعب . وكان من بينهم شاب قديس يسمى استفانوس . وقد دخل هذا التلميذ فى نقاش مع بعض اليهود وهو يبشرهم بالمسيح ، واذ أفحمهم بمنطقه السديد وروح الحكمة التى كان

يتكلم بها ، تملكهم الغيظ وجاءوا بشهود زور ليشهدوا عليه كذباً بأنهم سمعوه يجدف على الله وعلى موسى النبى وعلى هيكل أورشليم ، زاعمين أنه قال لهم إن يسوع الذى يبشر به سيهدم الهيكل وينقض الشريعة التى سلمها الله لموسى ، ومن ثم هيجوا اليهود ورؤساءهم على استفانوس ، فقاموا وخطفوه وأتوا به أمام مجلس السنهدريم ، وهناك شهد شهود الزور بما ادعوه عليه . فلما سأله رئيس الكهنة وهو رئيس ذلك المجلس عن صحة مزاعمهم ، دافع دفاعاً مجيداً عن إيمانه ، موبخاً إياهم إذ قتلوا ابن الله الذى جاء ليخلصهم ، والذى تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم . فما كان منهم إلا أنهم امتلأوا منه حنقاً وغيظاً ، وهجموا عليه جميعاً واخرجوه خارج أسوار أورشليم وراحوا يرجمونه بالحجارة حتى أسلم الروح ، فأصبح بذلك أول شهداء المسيحية . وفى ذلك اليوم هجم اليهود على المسيحيين الذين فى أورشليم ، مزمعين قتلهم ، ففروا الى كل البلاد القريبة والبعيدة ، وهناك راحوا يبشرون بالسيد المسيح كل الشعوب .

وكان من اليهود المتعصبين شاب متحمس ليهوديته يدعى شاول ، قد امتلأ قلبه بالكراهية للمسيحيين والعداء لهم والحقد عليهم . فكان لايفتأ يمسك المسيحيين فى كل مكان يجدهم فيه ، ويسوقهم الى التعذيب والموت وكان شاول هذا من الذين اشتركوا فى قتل استفانوس ، وقد كان سعيداً بقتله . ثم أنه طلب من رئيس كهنة اليهود رسائل الى دمشق ، لكى يقبض على كل المسيحيين الذين يجدهم فى طريقه ويسوقهم موثقين الى أورشليم للحكم بالموت عليهم . غير أنه وهو فى الطريق إلى دمشق ظهر له السيد المسيح فى رؤيا وعاتبه على عدائه للمسيحيين ، وأفضى اليه بأنه قد اختاره للتبشير به فى العالم كله . فآمن واعتمد وراح يبشر بالمسيح كل الشعوب فى كل أنحاء العالم المعروف فى ذلك الحين ، سواء أكانوا يهوداً أو وثنيين ، وذلك هو الذى أصبح بعد ذلك يسمى بولس ، والذى أصبح منذ ذلك الوقت أعظم المبشرين بالمسيحية فى كل العصور . وإذ رأى اليهود أن بولس الذى كان من أعدى أعداء المسيحيين صار زعيماً لهم ، وقد انطلق يبشر فى كل مجامع اليهود بالمسيح معلناً أن هذا هو ابن الله الذى تنبأ بمجيئه كل أنبياء اليهود ، تملكهم الحنق الشديد على بولس وتشاوروا فيما بينهم ليقتلوه . غير أن المسيحيين حين علموا بتلك المكيده التى يحيكها اليهود له . وإذ رأوهم يراقبون أبواب دمشق نهاراً وليلاً ، ليمسكوه ويشفوا فيه غليلهم أخذه المسيحيون ليلاً

استشهاد القديس أسطفانوس
بريشة الدكتور الفنان إيزاك فانوس

وأنزلوه من فوق سور المدينة فى سلّة ، ومن هناك انطلق إلى أورشليم وانضم الى تلاميذ السيد المسيح ، فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ، ويجاهر باسم الرب يسوع . وكان يخاطب ويباحث اليونانيين ، فحاولوا أن يقتلوه فلما عرف التلاميذ ذلك أنزلوه الى قيصرية وأرسلوه الى طرسوس .

وفى ذلك الوقت بدأ هيرودس ملك اليهود يضطهد المسيحيين فقتل يعقوب الرسول أخا يوحنا حبيب الرب . وإذ رأى أن اليهود أسعدهم ذلك عاد فقبض على بطرس الرسول فى عيد الفصح ، والقى به فى السجن مقيد اليدين والقدمين بالسلاسل ، وأقام عليه حراسة مشددة من عدد كبير من الجنود يحرسونه ويحرسون أبواب السجن ، عاقداً العزم على أن يقتله بعد العيد . ولكن بطرس على الرغم من كل تلك الاحتياطات العنيفة خرج بمعجزة من أبواب السجن وانطلق الى بيت مريم والدة القديس مرقس . وانضم الى زملائه التلاميذ . ولعلها كانت معجزة أخرى من الله أن هيرودس بدلاً من أن يقتل بطرس ، أصيب هو نفسه قبل أن يفعل ذلك بمرض مفاجىء قتله على الفور .

أما بولس الرسول فقد غادر أورشليم بعد أن اشترك مع التلاميذ فى تبشير أهلها وانطلق هو وبرنابا الى انطاكية ببسيدية فى آسيا الصغرى ودخل مجمع اليهود الذين بها فى يوم السبت وراحا يبشران الحاضرين بالمسيح فأذهلاهم ودفعا بكثيرين منهم الى الإيمان ثم واصلا التبشير فى السبت التالى وقد اجتمعت المدينة كلها من يهود ووثنيين فى المجمع ، فلما رأى اليهود تلك الجموع الحاشدة تستمع الى بولس وبرنابا وتنضم اليهما فى إيمانهما ، امتلأوا غيرة وحسداً وحقداً وراحوا يقاومون ما يقول الرسولان ويجادلونهما فى عنف وغيظ ، وإذ رأى الرسولان أن اليهود يعادونهما عداء شديداً خاطباهما قائلين « كان ينبغى أن نوجه كلمة الله اليكم أنتم أولاً ، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم بذلك أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية ها نحن أولاء نتجه الى الأمم (أى الوثنيين) ، لأنه هكذا أوصانا الرب إذ قال : قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصى الى أقصى الأرض » . فلما سمع الوثنيون ذلك من التلميذين فرحوا وراحوا يمجدون الله ، وآمن بالمسيح جمع كثير منهم ، وقد انتشرت المسيحية فى المدينة كلها . أما اليهود فامتلأوا كراهية وحنقاً ، وراحوا يحرضون سادة المدينة وسيداتها ضد بولس وبرنابا ، وأخرجوهما من المدينة ، فنفضا غبار أرجلهما ، ورحلا إلى أيقونية .

وحدث فى أيقونية أن بولس وبرنابا دخلا معاً الى مجمع اليهود وراحا يبشران الحاضرين بالمسيح ، فآمن جمهور كبير من اليهود ، كما آمن جمهور من اليونانيين الوثنيين . ولكن اليهود الذين رفضوا الإيمان أثاروا الوثنيين ضد الرسولين وحرضوهم على الارتداد عن الإيمان الذى بشراهم به . فحدث انشقاق فى المدينة بين المؤمنين وغير المؤمنين ، وقد حاول غير المؤمنين من اليهود واليونانيين أن يقبضوا على الرسولين . فلما شعرا بذلك هربا الى مدينة ليكاؤنية لسترة ، ولحق يهود أيقونية مع يهود أنطاكية وتبعوها وحرضوا اليهود عليهما . فرجموا بولس وجروه الى خارج المدينة ، وإذ اعتقدوا أنه مات تركوه هناك . ولكن كان لا يزال حياً فجاء المؤمنون ودخلوا به الى المدينة . وفى الغد خرج مع برنابا الى دربة .

ومر الرسولان بمدينتى أمفيوبولس وأبولونية وأتيا الى تسالونيكى حيث كان مجمع لليهود فدخل بولس المجمع كعادته وراح يبشر الحاضرين ثلاثة سبوت متوالية . موضحاً لهم صدق أقواله من الكتب المقدسة ، مؤكداً لهم من نصوص هذه الكتب أنه كان ينبغى أن يموت المسيح ويدفن ثم يقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث ، وأن هذا هو يسوع المسيح الذى يبشرهم به . فاقتنع قوم منهم وآمن بالمسيح جمهور عظيم من اليونانيين ، فامتلأت بالحنق قلوب اليهود غير المؤمنين ، وراحوا يهيجون ويؤلبون الشعب على الرسولين مستعينين بشرذمة من أوباش المدينة ، فاندفعوا الى بيت ياسون الذى كان الرسولان يقيمان فى بيته ويهتفون مطالبين بالقبض عليهما وقتلهما ، وإذ لم يجدوهما أمسكوا ياسون وبعض المؤمنين وساقوهم الى حكام المدينة ، صارخين بأن أولئك الذين أشاعوا الاضطراب والبلبلة فى كل البلاد قد جاءوا الى سالونيكى أيضاً ليفعلوا فيها نفس الشىء ، محرضين المواطنين على التمرد على امبراطور الرومان قائلين إنه يوجد ملك آخر غيره هو يسوع الذى يقولون إنه ملكهم . فانزعج حكام المدينة إذ سمعوا هذا الاتهام وأخذوا كفالة من ياسون والمؤمنين الذين معه ، ثم أطلقوا سراحهم . وأما بولس وسيلا فقد أخذهما المؤمنون إلى خارج المدينة وانطلقا الى بيرية .

وحين وصل الرسولان الى بيرية دخلا مجمع اليهود وراحا يبشران الحاضرين فآمن كثير من اليونانيين ، فلما علم اليهود الذين فى تسالونيكى أن بولس قام بالتبشير أيضاً

فى بيرية ، جاءوا وهيجوا عليه أهلها معتزمين الفتك به ، لولا أن أخذه المؤمنون فى اتجاه البحر وصحبه بعضهم الى أثينا .

وفى أثينا صادف بولس قوماً من الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين اليونان فراح يبشرهم بالمسيح ، فأخذوه وذهبوا به الى ساحة تدعى « آريوس باغوس » وطلبوا منه أن يشرح لهم العقيدة التى ينادى بها ، فطفق يحدثهم عن مجىء المسيح وموته وقيامته، فاستهزأ به بعضهم ، ولكن بعضهم الآخر آمنوا بما بشرهم به ، ثم مضى من أثينا الى كورنثوس وأقام فيها عند صانع خيام يهودى يسمى أكيلا ، اذ كان بولس مثله يزاول حرفة صنع الخيام هذه . ثم راح يواصل التبشير فى مجمع اليهود كل سبت . ولكن اليهود كانوا يقاومونه مقاومة عنيفة ويناصبونه العداء والاعتداء ، فنفض ثيابه وقال لهم « دمكم على رؤوسكم . أنا برىء ومنذ الآن سأذهب الى الوثنيين » . وفعلاً انتقل من هناك وجاء الى بيت رجل تقى اسمه يسطس وكان بيته ملاصقاً لمجمع اليهود فأقام هناك سنة وستة أشهر يبشر بكلمة الله ويهدى كثيرين من الوثنيين الى الإيمان بالمسيح ، ومن ثم اجتمع عليه اليهود فى حقد وحنق وجاءوا به الى غاليون حاكم أخائية قائلين إن هذا الرجل ينقض ناموسهم الذى تسلموه من موسى . غير أن غاليون إذ كان رجلاً فاضلاً وعادلاً رفض أن يستمع الى تلك الأمور المتعلقة بعقيدتهم وطردهم من أمامه .

وذهب بولس بعد ذلك الى أفسس ، فلما وجد من أهلها العداوة والاعتداء أيضاً خرج إلى مقدونيا ثم جاء الى هيلاس فصرف فيها ثلاثة أشهر . وإذ تصدى له اليهود هناك ودبروا مكيدة لقتله عاد الى مقدونيا . ومن ميليتس أرسل إلى شيوخ المؤمنين بها يستدعيهم اليه . فلما جاءوا قال لهم « أنتم تعلمون من أول يوم دخلت فيه آسيا كيف كنت معكم كل الزمان أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى بمكائد اليهود ، كيف لم أؤخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفى كل سبت كنت شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة الى الله والإيمان الذى بربنا يسوع المسيح . والآن ها أنذا أذهب الى أورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفنى هناك . غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلاً إن وثقاً وشدائد تنتظرنى ولكنى لست أحتسب لشىء ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها

من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله . والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهى مرة أخرى ، أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كارزاً بملكوت الله . لذلك أشهدكم اليوم على هذا : إنى برىء من دم الجميع ، لأنى لم أتوان عن أن أخبركم بمشورة الله » . قال بولس هذا ثم جثا على ركبتيه معهم جميعاً وصلّى ، فاجهشوا بالبكاء ، ووقعوا على عنقه يقبلونه متألمين ومتوجعين ولا سيما من قوله أنهم لن يروه مرة أخرى . ثم شيعوه الى السفينة .

وقد انطلق بولس متجهاً الى أورشليم حتى إذا بلغ قيصرية . دخل مع رفاقه بيت أحد المؤمنين المسمى فيلبس . وبينما هم مقيمون هناك انحدر من اليهودية نبى اسمه أغابوس وجاء اليهم وأخذ منطقة بولس وربط يدى نفسه ورجليه وقال « هذا يقوله الروح القدس : إن الرجل الذى له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود فى أورشليم ويسلمونه إلى أيدى الوثنيين » . فلما سمع رفاق بولس ذلك مع كثيرين من أهل المدينة توسلوا اليه كى لا يصعد الى أورشليم ، فأجابهم قائلاً « ماذا تفعلون ؟ أتبكون وتكسرون قلبى لأنى مستعد ليس أن أربط فقط ، بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع ؟ » . ثم انطلق بالفعل الى أورشليم وانضم الى تلاميذ السيد المسيح وبدأ يتردد على الهيكل . فلما رآه اليهود فى الهيكل اهتاجوا واندفع جمع عظيم منهم وهم يصرخون صراخاً مدوياً قائلين « أيها الاسرائيليون هلموا . هذا هو الرجل الذى يعلم الجميع فى كل مكان ضد الشعب والناموس وضد هذا الموضع » . فهاجت المدينة كلها وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجرّوه خارج الهيكل ، ثم أغلقوا الأبواب وراحوا يضربونه وقد اعتزموا قتله لولا أن أسرع اليهم حرس الهيكل وفرقوهم واقترب قائد الحرس من بولس وأمسكه وأمر جنوده بأن يقيدوه بسلسلتين من الحديد وطفق يسأل اليهود الثائرين عن سبب ثورتهم ضده ، وإذ راح بعضهم يصرخ بشىء وبعضهم الآخر يصرخ بشىء آخر ، لم يستطع القائد أن يعرف منهم شيئاً ، فأمر جنوده بأن يسوقوا بولس الى المعسكر ، فساقوه بينما كان اليهود يتبعونه محرّضين على قتله . وفيما كان الجنود يصعدون به على درج المعسكر رفع بولس صوته وراح يقص على الجمع قصة ظهور المسيح له وإيمانه به ، فما سمعوا هذا حتى عادوا يصرخون قائلين لقائد

الجند « خذ مثل هذا من الأرض لأنه لا يجوز أن يعيش » . واستمروا هكذا يصيحون ويصخبون ويطرحون ثيابهم ويرمون غباراً من الأرض الى الجو ، فأمر القائد جنوده باعتقال بولس فى المعسكر وبضربه ضرباً مبرحاً متواصلاً حتى يبوح بسبب ثورة اليهود عليه . فلما مدّوه ليضربوه بالسياط قال بولس للقائد « أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً بغير تهمة موجهة اليه ؟ » ، وإذ علم القائد أن بولس يحمل الجنسية الرومانية خاف وأمر الجند بالكف عن ضربه لأنه لا يصح ذلك مع المواطنين الرومان ، ثم قرر تقديمه الى مجلس السنهدريم لمحاكمته ، وفى الغد حلّه من قيوده وقدمه الى ذلك المجلس . فتفرّس بولس فى أعضائه وقال لهم « أيها الرجال الأخوة إنى بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم » ، فأمر عندئذ حنانيا رئيس الكهنة بعض الواقفين أن يضربوه على فمه ، فقال بولس « سيضربك الله أيها الحائط المبيّض . أفأنت جالس تحكم علىّ حسب الناموس وأنت تأمر بضربى مخالفاً للناموس ؟ » وقد تشاور أعضاء المجلس طويلاً فيما يفعلونه ببولس ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم واحتد بينهم النقاش ، وإذ لم يصلوا الى قرار أمر القائد جنده بأخذ بولس عنوة فأختطفوه من بينهم وأعادوه الى المعسكر . ثم فى اليوم التالى اجتمع جمهور كبير من اليهود يزيدون على الأربعين رجلاً واتفقوا فيما بينهم متعاهدين على أن يصوموا فلا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس ، وأبلغوا هذا العزم الى رؤساء الكهنة وشيوخ المجلس وطلبوا منهم أن يعاونوهم فى ذلك بأن يتظاهروا لدى القائد بأنهم يريدون أن يفحصوا موضوع بولس بصورة أكثر تحقيقاً وتدقيقاً ، ومن ثم أن يطلبوا منه أن يجىء به الى المجلس ، حتى إذا كان فى الطريق يهجم المتآمرون عليه ويقتلونه . ولكن ابن أخت بولس علم بالمؤامرة فأفضى بها الى قائد الجند . فما كان من القائد إلا أن أعدّ مائتى جندى ومائتى محارب بالرماح وسبعين فاراساً وأمرهم بأن يأخذوا بولس تحت حمايتهم أثناء الليل ويذهبوا به الى الوالى فى قيصرية ، ويسلّموه له مع خطاب منه جاء به «ان هذا الرجل لما امسكه اليهود ، وكانوا مزمعين أن يقتلوه أقبلت مع الجند وأنقذته إذ علمت أنه رومانى . وكنت أريد أن أعرف العلة التى لأجلها كانوا يشتكون عليه فأنزلته الى مجلسهم فوجدته متهماً من جهة مسائل فى ناموسهم ، ولكننى لم أجد عليه أيّة علة تستوجب الموت أو السجن . ثم لما علمت بمكيدة مدبّرة للرجل من اليهود أرسلته على الفور اليك ، وقد

أمرت المشتكين أيضاً أن يخبروك بعلّة ما يشتكون به عليه » . فلما قرأ الوالى هذه الرسالة أمر بالتحفظ على بولس فى مقر هيرودس وبعد خمسة أيام حضر حنانيا رئيس الكهنة وشيوخ مجلس السنهدريم ومعهم محام يسمى ترتلّس ، وراحو يترافعون أمام الوالى الرومانى ضد بولس قائلين « إننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة وزعيم شيعة الناصريين ، وقد شرع أن ينجس الهيكل أيضاً ، أمسكناه وأردنا أن نحكم عليه حسب ناموسنا فأقبل القائد ليسياس بعنف شديد واختطفه من بين أيدينا وأمرنا ــ نحن المشتكين عليه ــ أن نأتى اليك » . وقد راحوا يكيلون المدح والثناء والنفاق والريّاء للوالى كى يحكم لصالحهم . ولما استمع الوالى الى دفاع بولس لم يستطع أن يحكم بشىء لأن النزاع كان متعلقاً بأمور الدين اليهودى الذى لا يعرف عنه ــ وهو الرومانى ــ شيئاً ، فأرجأ الحكم وأمر باستمرار سجن بولس . ثم راح بعد ذلك يؤجل نظر الدعوى مرات عديدة ، وهو يأمل أن يأخذ من بولس رشوة ليحكم فى صالحه ، لأنه كان موقناً ببراءته . ولكن بولس لم يحقق له أمله هذا حتى مضت عليه سنتان مقيداً بالأغلال فى السجن .

ثم جاء والٍ آخر خلفاً لذلك الوالى ، فعرض عليه رئيس الكهنة وشيوخ اليهود حين جاء إلى أورشليم دعواهم ضد بولس ، والتمسوا منه أن يستحضره الى أورشليم . وقد دبروا هذه المرة أيضاً أن يقتلوه وهو فى الطريق . غير أن ذلك الوالى الجديد رفض طلبهم هذا وأمرهم بأن يجيئوا هم إليه فى قيصرية . فلما جاءوا وإذ رأى بولس أن الوالى يميل الى إجابة اليهود الى طلبهم كى يستميلهم اليه ، قرر أنه يتمتع بالجنسية الرومانية ، وأنه لذلك يرفع دعواه الى قيصر الرومان الذى لا يصح محاكمة رومانى الا أمامه ، فأجابه الوالى قائلاً « الى قيصر رفعت دعواك ، الى قيصر تذهب » . ولكن ذلك الوالى كان ينبغى عليه أن يرسل مع بولس خطاباً الى قيصر يوضح فيه تهمته . ولما كان الوالى لا يعرف على وجه الدقة هذه التهمة ، فقد انتهز فرصة حضور الملك اليهودى أغريباس الى قيصرية وعرض عليه الدعوى قائلاً « يوجد رجل تركه الوالى فيلكس أسيراً ، وعرض لى عنه رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود لما كنت فى أورشليم طالبين حكماً عليه ، فأجبتهم أنه ليس للرومانيين عادة أن يسلّموا أحداً للموت قبل مواجهة المدعى عليه مع المشتكين حتى تتاح له فرصة للدفاع عن نفسه .. فلما وقف المشتكون

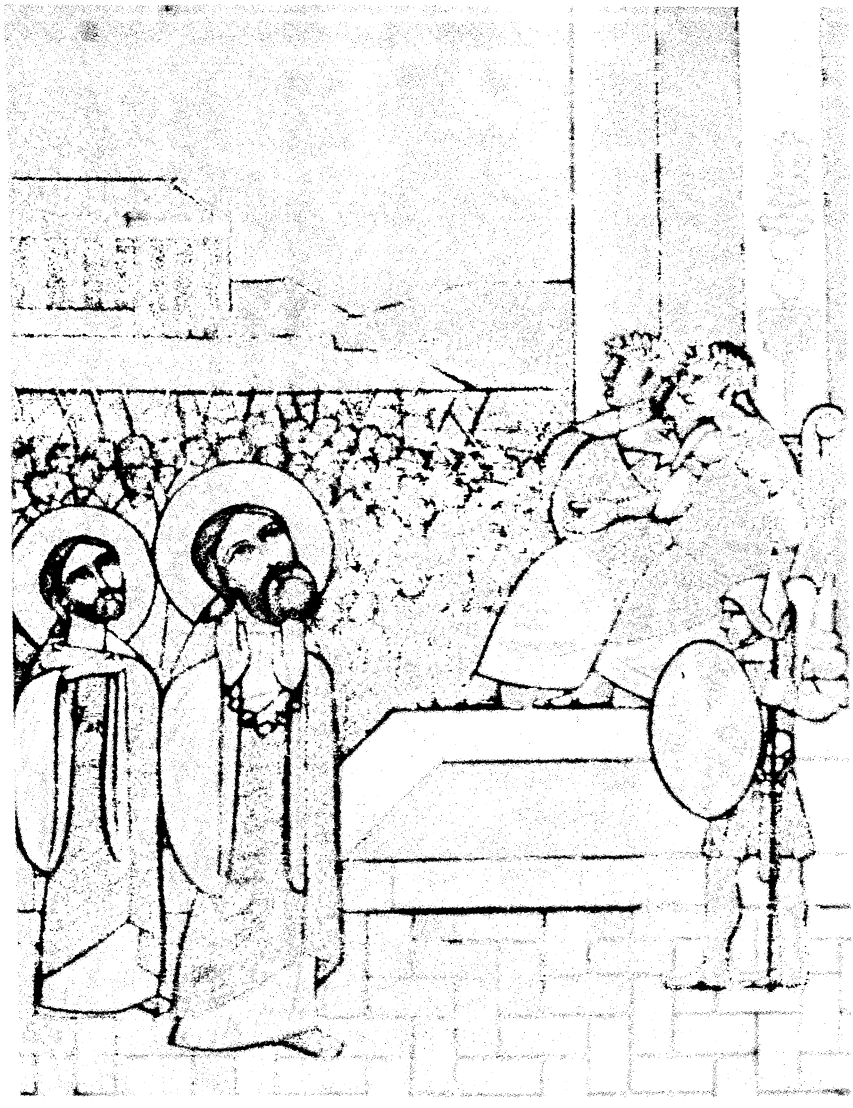

محاكمة القديس بولس الرسول أمام حكام فيلبى
بريشة الدكتور الفنان إيزاك فانوس

إزاءه ، لم يأتوا بعلة واحدة مما كنت أتوقع . غير أنهم كانت لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم ، وعن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول إنه حى ، وإذ كنت مرتاباً فى المسألة .. ولما رفع بولس دعواه الى قيصر كى يستمر التحفظ عليه حتى يتولّى أوغسطس قيصر فحص هذه الدعوى ، أمرت بالتحفظ عليه الى أن أرسله الى قيصر .. وقد توسل الىّ من جهته كل جمهور اليهود فى أورشليم وفى هذه المدينة صارخين أنه لا ينبغى أن يعيش بعد . وأما أنا فلما وجدت أنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت . وهو قد رفع دعواه الى أغسطس عزمت أن أرسله اليه ، وليس لى شىء يقينى من جهته لأكتب الى السيد . لذلك أتيت به لديكم ولاسيما لديك أيها الملك أغريباس ، حتى إذا صار الفحص يكون لى شىء لأكتب ، لأنى أرى من الحماقة أن أرسل اليه أسيراً ولا أشير الى الدعاوى التى عليه » .. وقد ترافع بولس أمام الملك والوالى دافعاً عنه كل تهمة تستحق الموت الذى يريده له اليهود ، ومن ثم « قام الملك والوالى وبرينيكى (زوجة الملك) والجالسون معهم ، وانصرفوا وهم يكلمون بعضهم بعضاً قائلين ان هذا الإنسان لم يفعل شيئاً يستحق الموت أو القيود . وقال أغريباس (الملك) لفستس (الوالى) : كان يمكن أن يُطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه الى قيصر » .

وبالفعل استقر الرأى على ترحيل بولس الى روما ، فسلّمه الجند مع أسرى آخرين الى قائد من قواد الرومان . وأقلعت بهم السفينة فى البحر الأبيض المتوسط . وقد استغرقت الرحلة أكثر من ثلاثة أشهر ، حتى إذا وصل بولس الى روما استدعى اليه كبراء اليهود فى المدينة وقال لهم : « أيها الرجال الإخوة مع أنى لم أفعل شيئاً ضد الشعب أو عوائد الآباء أسلمونى مقيّداً من أورشليم الى أيدى الرومانيين الذين لما فحصوا الأمر كانوا يريدون أن يطلقونى لأنه لم تكن ضدى علّة واحدة للموت . ولكننى أمام مقاومة اليهود اضطررت أن أرفع دعواى الى قيصر » . ثم راح يشرح لهم دعواه ، فانحاز الى صفّه بعضهم . وأما البعض الآخر فاتخذوا منه موقفاً معادياً . وكان أولئك المعادون له حرباً على الذين آمنوا ، وكانوا سوطاً فى يد الرومان يضربون به المسيحيين فى كل مكان . وقد بقى بولس فى سجنه بعد ذلك عامين كاملين ، ثم سيق أخيراً الى مجلس نيرون الطاغية المجنون . غير أنه بالرغم من طغيانه وجنونه ، حين عرض بولس دعواه

عليه ودافع عن نفسه ضد مكائد اليهود ورغبتهم الجنونية فى قتله ، حكم نيرون ببراءته واطلاق سراحه . فلم يلبث بولس أن واصل رحلاته التبشيرية على نطاق واسع حتى قيل أنه قام بالتبشير فى فرنسا وأسبانيا وفى الجزر البريطانية ، كما عاد الى التبشير فى البلاد التى سبق أن بشرها مثل فيليبى وكولوسى وأفسس وكريت . وفى هذه الاثناء بلغ الجنون بالامبراطور نيرون حداً دفع به الى أن يشعل النار فى عاصمة امبراطوريته روما . وإذ ثار عليه الرومانيون بسبب هذه الفعلة الشنعاء ، أراد أن يتنصل من جريمته تلك بأن القى التهمة على المسيحيين الأبرياء وأمر بقتلهم جميعاً ، وراح زبانيته ومنهم كثيرون من اليهود يشون بكل من يعرفونه منهم . فأمر الامبراطور بصلبهم أو بالقائهم الى الوحوش الجائعة فى المسارح تلتهم أجسادهم . أو باطلاق الكلاب الضارية عليهم تنهش أشلاءهم ، أو بتعليقهم على أعواد منصوبة على جانبى الشوارع والميادين بعد طلائهم بالقار ، ثم اشعال النار فيهم ليكونوا بمثابة المشاعل التى تضىء طرقات المدينة وساحاتها . وكان القديس بولس فى أثناء هذه المحنة بعيداً عن روما . بيد أن واحداً من أعدائه لم يلبث أن أبلغ السلطان عنه ، فصدر أمر نيرون بالقبض عليه وإرساله مكبلاً الى روما . فجىء به موثقاً وألقى به فى السجن ، ثم فى صيف عام ٦٦ للميلاد جىء به الى المحكمة مرة أخرى ، فصدر عليه الحكم هذه المرة بالأعدام ، وساقه الجند الى خارج أسوار روما حيث قطعوا رأسه بالسيف ، وكان عندئذ فى السبعين من عمره . فكان من أعظم شهداء المسيحية فى كل العصور .

٣ ــ وسائل اليهود فى اضطهاد المسيحيين :

وهكذا نرى أن اليهود بما جبلوا عليه من مكر ولؤم ومداهنة ، ونفاق ورياء ، قد سلكوا فى سبيل إشباع روحهم العدائية المعتدية ، وجرياً وراء تعصبّهم الأعمى وعصبيتهم المريضة ، سبلاً كثيرة تتفق مع طباعهم الوحشية وطبيعتهم الخبيثة . وقد كان من أشهر وأحقر تلك السبل ، أنهم حين تكون القوة فى يدهم ، والقدرة على القتل والتعذيب فى مقدورهم وفى سلطتهم ، يستغلون هذه القوّة وهذه القدره ضد المسيحيين أبشع وأشنع استغلال ، فيقتلون من يقتلون ، ويعذبون مَن يعذّبون دون

رقيب ولا حسيب . أما حين كانت تعوزهم القوة والقدرة على إصدار حكم الموت بأنفسهم فقد كانوا يلجأون الى الوشاية الدنيئة لدى السلطات الحاكمة أو إثارة المشاعر المعادية البذيئة لدى الأوباش والغوغاء والأدنياء من حثالة الشعوب . ليتوصلوا عن طريقهم الى قتل المسيحيين أو تعريضهم للأيذاء والتعذيب . وأما حين فقدوا القدرة على التأثير فى الحكام بأساليبهم الملتوية الحقيرة ، كما فقدوا القدرة على إثارة روح العداء والبغضاء لدى الجهلاء من أبناء الشوارع لدفعهم دفعاً الى الاعتداء على المسيحيين ، فقد راحوا حينئذ يلجأون الى أكثر الأساليب التواءاً وأحقرها انطواءاً على الغدر والمكر ، والدسيسة والشر ، بأن يسمّموا الأفكار ضد المسيحيين فيما يتعلق بعقيدتهم ، فيدفعوا بعض صغار النفوس الى إشاعة البدع والهرطقات التى يهزون بها عقول الجهلاء والبسطاء من الناس هزاً عنيفاً ، أو يشيعون فى المجتمعات المسيحية أسباب الانحلال والضلال التى تؤثر أبشع التأثير فى عقولهم أو فى قلوبهم أو فى ضمائرهم ، حتى يصبحوا حرباً على المسيح والمسيحيين فى كل مكان .

أ ــ ولعل أبشع مثل لليهود المتعصبين والمعادين والمعتدين على المسيح فى بداية الدعوة المسيحية ، ذلك الرجل الذى أصبح بعد ذلك أعظم مبشّر بالمسيحية كما سبق أن رأينا ، وهو بولس الرسول الذى كان اسمه من قبل شاول . وقد وصف لنا هو نفسه سلوكه حين كان يهودياً ضد المسيحيين ، اذ قال أمام ملك اليهود أغريباس وهو يدافع عن نفسه ، حين كان هذا الملك يحاكمه « فأنا أرتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لأسم يسوع الناصرى . وفعلت ذلك أيضاً فى أورشليم ، فحبست فى السجون كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قبل رؤساء الكهنة . ولما كانوا يقتلونهم كنت أنا موافقاً على ذلك . وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم الى التجديف . وإذ أفرط حنقى عليهم كنت أطردهم الى المدن التى فى الخارج » (الأعمال ٢٦ : ٩ــ١١) . وقال أيضاً « أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت فى هذه المدينة (أورشليم) . مؤدباً عند قدمى غمّالائيل على تحقيق الناموس الأبدى . وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت ، مقيداً ومسلّماً الى السجون رجالاً ونساء . كما يشهد لى أيضاً رئيس الكهنة وجميع الشيوخ الذين إذ أخذت أيضاً منهم رسائل للأخوة . إلى دمشق

ذهبت لآتى بالذين هناك الى أورشليم مقيدين بالسلاسل كى يعاقبوا » (الأعمال ٢٢:١ــ٥) . وبهذه الروح العدائية الوحشية التى كانت له وهو يهودى اشترك فى قتل استفانوس أول شهداء المسيحية ، بل كان راضياً ومسروراً بقتله ، إذ يقول هو نفسه عن ذلك : « وحين سفك دم استفانوس .. كنت أنا واقفاً وراضياً بقتله ، وحافظاً ثياب الذين قتلوه » (الأعمال ٢٢:٢٠) . وهو يقول فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس بعد أن أصبح مسيحيا « فأنا أفضل فى الأتعاب أكثر فى الضربات أوفر فى السجون أكثر . فى الميتات مراراً كثيرة . من اليهود خمس مرات تلقيت أربعين جلدة إلا واحدة . ثلاث مرات ضُربت بالعصا . ومرة رُجمت » (الأعمال ١١:٢٣ــ٢٥) وقد رأينا أن اليهود حين كانت السلطة فى يدهم قتلوا استفانوس الشماس (الأعمال ٨:٦٠) . كما أن ملكهم هيرودس قتل يعقوب الكبير شقيق يوحنا الرسول . وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود قبض على بطرس الرسول وألقى به فى السجن مزمعاً قتله ، لولا أن مات ذلك الملك قبل أن ينفذ تدبيره الأجرامى (الأعمال ١٢:١ــ٤) . وقد حنق اليهود على يعقوب الصغير المدعو أخا الرب ، لانتشار المسيحية فى أورشليم على يديه ، وقد كان أول أسقف لتلك المدينة ، فأجبره رئيس الكهنة على الصعود فى عيد الفصح فوق جناح الهيكل وطلب منه أن يشهد أمام جموع اليهود المحتشدة ضد السيد المسيح ، وأن ينكر ايمانه به ، ولكنه بدلاً من أن يفعل ذلك هتف داعياً اياهم الى الإيمان بالمسيح ، فألقوه من فوق جناح الهيكل ، ثم راحوا يرجمونه ويضربونه بهراوة غليظة على رأسه حتى أسلم الروح .

ب ــ أما إذا لم يكن لليهود سلطان وكانوا على العكس واقعين تحت سلطان دولة أخرى ، فقد كانوا كما سبق أن رأينا ــ يستخدمون أسوأ سلاح وأدنا سلاح ، وهو سلاح الدس والوقيعة والوشاية ضد المسيحيين لدى الحاكم الذى يحكمهم ، أو إثارة الحنق على المسيحيين والتحريض على قتلهم لدى الشعوب الأخرى التى يعيشون فى وسطها . وقد رأينا فيما سبق أمثلة كثيرة على ذلك . ومنها أن بولس الرسول وبرنابا حين كانا يبشران فى أنطاكية بيسيدية بآسيا الصغرى « آمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية ... ولكن اليهود حركوا النساء والمتعبدات الشريفات ووجوه المدينة

وأثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم » (الأعمال ١٣: ٤٩و٥٠) . وحدث فى أيقونية ــ كما سبق أن ذكرنا أيضاً ــ أن بولس وبرنابا « دخلا معاً الى مجمع اليهود وتكلما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين .. ولكن اليهود غير المؤمنين غرّوا وأفسدوا نفوس الأمم على الأخوة .. فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم ليبغوا عليهما ويرجموهما ، شعرا به فهربا الى مدينتى ليكاؤونية لسترة ودربة » (الأعمال ١٤: ١ــ٧) . كما رأينا أنه حدث فى مدينة لسترة أن « أتى يهود من أنطاكية وأيقونية وأحنقوا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات » (الأعمال ١٤: ١٨و١٩) . وحين كان بولس وسيلا يبشران فى تسالونيكى « اقتنع قوم منهم وانحاز الى بولس وسيلا من اليونانيين المتعبدين جمهور كثير من النساء المتقدمات عدد ليس بقليل . فغار اليهود غير المؤمنين واتخذوا رجالاً أشراراً من أهل السوق وتجمّعوا وبلبلوا المدينة وقاموا .. الى حكام المدينة صارخين أن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا الى هنا أيضاً .. وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين أنه يوجد ملك آخر اسمه يسوع ، فأزعجوا الجميع وحكام المدينة إذ سمعوا هذا » (الأعمال ١٧: ٤ــ٨) . كما حرّض اليهود شعب أزمير الوثنى على أسقفها بوليكاربوس ، مما أدى الى أنهم أمسكوه وأحرقوه ، فضلاً عن أنهم أشاعوا عن المسيحيين شائعات كثيرة شريرة أدت بالنسبة لهم الى أوخم العواقب . كما أن اليهود راحوا على مر السنين لا يتركون فرصة تسنح لهم إلا انتهزوها لإثارة الحكام أو الشعوب على المسيحيين ، ومن أمثلة ذلك دورهم الذى قاموا به فى عهد الامبراطور دومتيان فى أواخر القرن الأول الميلادى ، إذ أطلقوا شائعة مؤداها أن المسيحيين لهم أطماع سياسية يبغون تحقيقها إذ يدّعون أن يسوع المسيح هو ملكهم ، مما دفع هذا الامبراطور الى التفكير فى إبادة كل ذرّية داود الأحياء والى قتل المسيحيين جميعاً ، لولا أنه أرسل فاستحضر من فلسطين اثنين من أقاب الرب يسوع بالجسد ، وهما حفيدا يهوذا المدعو أخا الرب ، فلمس من مظهرهما مدى فقرهما وبساطتهما ، وعلم منهما أن المسيح ليس ملكاً أرضياً دنيوياً ، وانما هو ملك سماوى روحى ــ كما كان من المصائب التى حلت بالمسيحيين بسبب اليهود ما حدث حين ظهر فى أوائل القرن الثانى الميلادى رجل يهودى ادعى النبوة يسمى « باركوكبا » أن ابن الكواكب ، إذ أعلن عصياناً مسلحاً ضد

الدولة الرومانية فى عهد الامبراطور هدريان وطلب من المسيحيين فى فلسطين الانضمام اليه ، فلما رفضوا ذبح الغالبية العظمى منهم . وقد انتهى أمره بالهزيمة الساحقة ، كما انتهى بأن قامت الدولة الرومانية بقتل أكثر من نصف مليون يهودى ، وساقت اليهود الباقين ليكونوا عبيداً فى روما .. كما قامت بتخريب معظم بلادهم ، وفى مقدمتها عاصمتهم أورشليم ، التى تم تخريبها للمرة الثانية ، وقد دكها الرومان دكاً فلم يتركوا فيها حجراً على حجر كما أن من أمثلة المصائب التى حلت بالمسيحيين الدور الذى لعبه اليهود بالاسكندرية تحت حكم الامبراطور ديسيوس فى أواسط القرن الثالث الميلادى على عهد البابا ديونيسيوس البطريرك الاسكندرى الرابع عشر ، مما أدى الى مقتل عدد كبير من المسيحيين فى عهد ذلك الامبراطور .

جـ ــ أما حين زالت عن اليهود سلطتهم ، ودالت دولتهم ، وحين أصبحوا مطرودين مشردين هائمين على وجوههم فى كل أنحاء الأرض ، وقد انقلبوا كارهين للجميع ومكروهين من الجميع ، فقد دفعت بهم طبيعتهم الخبيثة وطباعهم اللئيمة لأن يسلكوا أكثر السبل خسة وأعظم الوسائل شناعة ووضاعة ، وأبشعها شراً ومكراً ، فراحوا ينفثون سمومهم ضد المسيحية والمسيحيين بطريقة مستترة غير مباشرة ، بأن ينخروا كالسوس فى مجتمعهم ، وينشروا بينهم الأفكار الهدّامة ، ويعملوا على تشويه عقيدتهم وتسفيه إيمانهم ، على يد الذين يدّعون العلم أو الفلسفة من اليهود أمثالهم . بل لقد لجأوا الى تظاهر البعض منهم باعتناق المسيحية ليطعنوهم من داخلهم ، وليهاجموهم فى ذات دارهم ومعقلهم . ومن ثم ظهرت كثير من البدع والهرطقات التى راح ضحيتها الآلاف المؤلفة من المسيحيين ، سواء باعتناقهم تلك البدع والهرطقات المنافية لاعتقادهم والنافية لصحة إيمانهم ، أو بالاستشهاد دفاعاً عن ذلك الاعتقاد وذلك الإيمان على يد المارقين منهم والمنشقين على ديانتهم . فكان من أولئك المارقين والمنشقين الكورنثيون والمانيون والغنوسطيون وأتباع بارسيليوس وكربوكراتس وفالنتيوس وسابيلوس وهيراكس واريوس ومكدونيوس ونسطور ، وغير أولئك من الذين اتبعوا مكائد اليهود وابتدعوا عقائد فى الديانة المسيحية أو فى غيرها من الديانات التى جاءت بعدها ، تهدم هذه الديانة ، بما أشاعوا من الكتب والاعتقادات التى زعموا أنها سمائية ، وأنها موحى بها من الله ، أو أن الله أنزلها ، مع أنها تنكر وتستنكر الطبيعة الإلهية للسيد

المسيح ، وهى جوهر المسيحية وحجر الزاوية فيها . ومن أمثال تلك الكتب وما تنطوى عليه من المعتقدات الغريبة والمريبة ما يسمونه انجيل برنابا الذى ادعى اليهود أن الذى كتبه هو ذلك التلميذ من تلاميذ السيد المسيح فى العصر الأول للمسيحية ، فى حين أن اليهود هم الذين كتبوه بعد ذلك العصر بمئات السنين ، وتعمدّوا فيه تشويه الديانة المسيحية تشويها يكاد أن يقضى عليها ، وغير ذلك من الكتب التى لقيت مع الأسف رواجاً فى العالم كله وكانت تنطوى على أخطر ضربة للمسيحية والمسيحيين ، وقد أضلت كثيراً من الحاكمين والمحكومين الذين لقى المسيحيون على أيديهم أبشع وأشنع صنوف الاضطهاد والاستعباد على مر العصور حتى اليوم . ونحن نجد فى التلمود وهو الكتاب المقدس لليهود بعد التوراة فى جزئه الأول المسمى « المشنة » وفى جزئه الثانى المسمى « الجمارة » من الوقائع والتعاليم والوصايا ما يعكس لنا فى وضوح مدى مقاومة اليهود للمسيحيين ، وما جلبوه لهم من المصائب والكوارث والأهوال . كما أن بعض الكتابات التى وصلتنا فى الرد على مزاعم اليهود وافتراءاتهم ضد المسيحية والمسيحيين ماكتبه أحد اليهود المتنصرين ويدعى أرسطو من قرية بيللا وهى التى لجأ اليها المسيحيون من أورشليم قبيل خرابها الأول سنة ٧٠ ميلادية ، فى كتابه الذى عنوانه « حوار جاسون وبابسكوس بخصوص المسيح » ويرجع الى النصف الأول من القرن الثانى ، وينتهى الحوار باقتناع بابسكوس اليهودى بالعقيدة المسيحية وعماده على يد جاسون المسيحى . وكذلك الحوار الذى وقع فى منتصف القرن الثانى الميلادى بين يوستينوس الشهيد المسيحى وبين تريفو اليهودى فى مدينة أفسس ، وقد تم تدوينه فى مجلد ضخم يضم ١٤٢ فصلاً . وفيه يفنّد يوستينوس كل مزاعم اليهود وافتراءاتهم ضد المسيح ، ومن خلال هذا الحوار تتضح العداوة الشنيعة والبغضاء البشعة التى يضمرها اليهود للمسيحيين والجرائم الدنيئة الوحشية التى ارتكبوها فى حقهم .

٤ ــ اضطهاد اليهود للمسيحيين على مدى العصور :

وقد ظل اليهود على كراهيتهم للمسيحيين وحقدهم عليهم ورغبتهم فى إيذائهم وسفك دمائهم كلما سنحت لهم الفرصة لذلك . حتى بعد أن فقدوا دولتهم وهاموا على وجوههم مشرّدين فى كل أرض ، ومنبوذين من كل شعب ، منذ دمار بلادهم وخراب هيكلهم على مدى العصور حتى اليوم .

ونحن نجد أن التلمود الذى هو الكتاب المقدس لليهود الذى يحترمونه بعد التوراة ، بل إنهم يحترمونه أكثر من التوراة ، قد وضع لهم المبدأ الذى عليهم أن يؤمنوا به ويعملوا على مقتضاه فى معاملتهم للمسيحيين ، وهو أن المسيح الذى ينتظره اليهود لم يأت بعد ، وأنه حين يجىء سيسيطر على العالم كله ، ويجعلهم سادة كل الشعوب .. وسيكونون هم أغنياء العالم ، وسيكون منهم الرؤساء والملوك على هذه الأرض . وأما فى الحياة الأخرى فسيقودهم جميعاً الى دخول الجنة والفردوس ، وينالون وحدهم الحياة الأبدية . وأما أتباع يسوع المسيح الذى جاء فإن مسيحهم هو المسيح الكذاب وسيحل عليهم غضب الله ويبيدون من على وجه الأرض ، وفى العالم الآخر يحشرون جميعاً فى جهنم لأنهم منحدرون من الشيطان ، وهم يعتبرون فى حكم الكلاب ، ويعتبرون كنائسهم كزرائب الحيوانات ، فهم نجسون وينبغى تطهير الأرض منهم . ولذلك فإن اليهودى الذى يسعى كل الأيام وراء واحد منهم ليقتله أنما يحق له أن يفاخر بعمله هذا ، لأنه إذا قتل مسيحياً فإنما يكون بذلك قد قدّم قرباناً لله ينال به رضاه ويستحق عليه غفران خطاياه . وقد ظل اليهود يطبّقون هذه التعاليم بحذافيرها حتى العصر الحديث الذى نعتبره عصر المدنية والسموّ . وظلّوا يقدّمون الذبائح البشرية من بين المسيحيين ولا سيما فى عيد الفصح كواحد من شعائرهم الدينية التى يعتقدون إنهم لا ينالون رضاء الله إلا بممارستها .

ولعل أبشع وأشنع مثل لذلك جريمة وحشية فظيعة أرتكبها اليهود فى دمشق فى القرن التاسع عشر ، حين كانوا خاضعين لحكم والى مصر محمد على باشا ، لا تدل على وحشيتهم وفظاعتهم فحسب ، وإنما تدل قبل كل شىء على مدى ما انحطت اليه معتقداتهم وممارساتهم الدينية التى استقوها من كتابهم الذى يقدسونه أكثر مما يقدسون شريعة موسى وهو الذى يسمونه « التلمود » . وقد تضمنت تفاصيل تلك الجريمة ، المستندات التى يحويها قصر عابدين بالقاهرة وهو الذى كان مقراً لأسرة ملوك مصر من سلالة محمد على . وتتلخص وقائع تلك الجريمة فى أنه كان يوجد فى أحد أديرة المسيحيين بدمشق راهب إيطالى الجنسية يدعى « توما الكابوشى » ، وقد اشتهر ببراعته فى علاج المرضى حتى يقال أنه كان أول من أدخل التطعيم ضد الجدرى فى بلاد الشام . وقد اتفق أن خرج ذلك الراهب من ديره ثم انقضى النهار ولم يعد . فقلق عليه

زملاؤه ، وذهب بعض المصريين الى قنصل فرنسا فى دمشق وأخبروه بذلك ، فاهتم القنصل بالأمر ولم يلبث أن حضر رجلان مسيحيان من طائفة الروم هما نعيم كسّاب وميخائيل قلام ، وشهدا بأنهما رأيا الراهب يدخل حارة اليهود فى يوم اختفائه . وقد انتهى البحث بتوجيه التهمة الى حلاق يهودى يسمى سليمان ، فألقى القبض عليه وباستجوابه أنكر فى بداية الأمر معرفته بأى شىء ، فلما ضربوه ضرباً مبرحاً بالسوط اعترف بارتكاب الجريمة البشعة واتهم بالاشتراك فى تلك الجريمة ثلاثة من حاخامات اليهود هم « مشوّن بيخار يهوذا » و « مشوّن أبو عافيه » و « مراد الفتّال » وسمعهم خمسة من الأثرياء اليهود فى دمشق هم « داود واسحق وهارون ويوسف هرارى ويوسف ليبادو » . وقد اعترف الحلاق أمام كل من القنصل الفرنسى وشريف باشا حاكم الشام الذى باشر التحقيق بنفسه ، قائلاً إن داود هرارى أرسل إليه خادمه ، فذهب معه الى منزله ، وهناك وجد أولئك المتهمين كلهم مجتمعين ووجد الراهب فى وسطهم يكتوف الأيدى . وقد طلب داود هرارى منه أن يذبح الراهب ، فرفض فى بداية الأمر ، ولكنهم حين وعدوه بالمال وافق ، ثم وضعوا عنق الراهب فوق وعاء كبير وأمسك داود السكين وذبحه ، وقد ساعده فى إتمام هذه العملية أخوه هارون ، وقد حرصوا على ألا تسقط نقطة دم واحدة على الأرض ، وبعد أن استنزفوا دمه كله سحبوا جسد الراهب بعيداً وقاموا بمساعدة الحلاّق بتقطيعه قطعاً صغيرة وفصلوا اللحم عن العظم والقوا باللحم فى جدول ماء ، وأما العظم فقاموا بتكسيره ودفنوه تحت بلاط الغرفة التى ذبحوه فيها ، ثم باستجواب الحاخام مراد الفتال كانت أقواله مطابقة لأقوال الحلاّق ، وبعد ذلك انتقل القنصل الفرنسى ومعه ضابط الشرطة الى مسرح الجريمة للمعاينة ، فأرشد الحاخام عن مكان أشلاء القتيل وأخرجوها . كما وجدوا فى مكان الجريمة قلنسوة الراهب السوداء . وبعد أن أصبحت الجريمة ثابتة إعترف آل هرارى بأنهم ترصّدوا للراهب حتى يقتلوه للحصول على دمه الذى جمعوه فى قنينة فى منزل الحاخام أبو عافية ، لأنهم يحتاجون الى هذا الدم طبقاً لتعاليم ديانتهم اليهودية ليصنعوا به فطير الفصح الذى كان تناوله قاصراً على رؤساء الدين اليهودى فقط وهم الحاخامات . ثم باستجواب الحاخام أبو عافية أقر بصحة الشهادات السابقة للشهود ، كما قرر بالنسبة لخلط الفطير بالدم أن الحاخام يعقوب الصنابى إعتاد أن يرسل اليه قبيل

عيد الفصح مقداراً من الدقيق المطحون ، فيصنع هو الفطير بفرك الدقيق بيده بعد خلطه بالدم ، وقرر أن طريقة خبز هذا الفطير هى سر من أسرار الديانة اليهودية لا يصح أن يعلم به أحد من العوام ، ثم يسوى الفطير فى الفرن ويوزع على الحاخامات فقط . وحين سئل عما إذا كان يشترط أن يكون هذا الدم من دم أحد الرهبان أجاب بأنه يكفى أن يكون لأحد المسيحيين ، وأن الحاخام يعقوب العنتابى هو الذى حدّد لهم الراهب توما لقتله واستخدام دمه فى عمل فطير الفصح . ولعلّ من الغريب أن هذه الجريمة البشعة ، على الرغم مما أثارت فى العالم كله من استنكار واشمئزاز ، فإن ضحيتها ذهب دمه هدرا ، لأن الحاخام موسى أبو عافية اعتنق الإسلام هرباً من العقاب ، فكوفىء بأن نال العفو وأخذ بعد ذلك يدلى باعترافات شنيعة عما يصنعه اليهود فى ممارسة طقوسهم الوحشية وعما تنطوى عليه نفوسهم من كراهية سوداء لأصحاب الديانات الأخرى ولا سيما المسيحية . إذ يعتبرون أصحاب هذه الديانات كفرة يحل سفك دمهم واغتيال أموالهم واستئصال وجودهم نفسه من الأرض . أما باقى المتهمين فقد اشترى أحد أثرياء اليهود العفو عنهم من محمد على باشا مقابل ستين ألف كيس من الذهب ، وبذلك أطلق سراح جميع المتهمين ، وذهب الراهب توما فى عداد الشهداء . ومن هذه الحادثة الشنيعة ندرك بعض نواحى الانحطاط فى طبيعة اليهود ، فلم يكتف أولئك السفاحون بقتل رجل برىء ، وإنما حين تعرضوا للخطر ، سرعان ماتنازل القاتل وهو أحد كهنتهم عن ديانته اليهودية التى يتظاهر بالتعصب لها ، والتى ارتكب جريمة قتل للحرص على ممارسة طقوسها ، فاعتنق الاسلام ، مع أنهم يزعمون أن كل الديانات ماعدا ديانتهم اليهودية باطلة ، ويستحق أصحابها الموت . وأما باقى المتهمين فقد لجأوا الى رشوة الحاكم ليطلق سراحهم لأنهم لا يعيشون إلا بالرشوة والارتشاء ، فهم يرشون ويرتشون فى كل أمور حياتهم مادام ذلك يكفل لهم الكسب والثراء ، ولو بأحقر الوسائل التى لا يلجأ إليها إلا اللؤماء الأدنياء .

الباب الثانى

إضطهاد الأمبراطورية الرومانية للمسيحيين

الفصل الأول
أشهر الأباطرة الرُّومان الذين اضطهدوا المسيحيين

١ ــ كلمة عامة عن الامبراطورية الرومانية :

كانت الامبراطورية الرومانية حين ظهور المسيحية تمثل السلطة الحاكمة للعالم المعروف حينذاك ، والمتحكمة فى شعوبه ، والمسيطرة على كل معتقداته وقوانينه وآدابه . وقد كان الرومان قوماً بدائيين ، مفتولى العضلات ، غلاظ القلوب ، شرسى الطباع . مجبولين على الفظاظة والقسوة ، مجرّدين من الرّحمة والعطف . بعيدين كل البعد عن سماحة الروح وسمو الأخلاق . فكانوا ــ ولا سيما فى بداية عهدهم ــ أقرب إلى الإنسان المتوحش الذى لا يزال يقطن الغابة ، منهم إلى الإنسان المتمدين الذى هذبته الحضارة ، وصقلته الحياة الكريمة الرحيمة فى المجتمع الراقى . وكانت معتقداتهم الدينية أقرب الى الخزعبلات الخيالية والأساطير التى صاغتها الأوهام البشرية ، منها الى المعتقدات السمائية والإلهامات الإلهية . وقد ظل الرومان على وحشيتهم تلك فى كل عصور تاريخهم ، حتى بعد أن ظفروا بحكم العالم كله وسيطروا على كل الأمم والشعوب . بل لقد زادهم الظفر قسوة ، وزادتهم السيطرة بشاعة طبيعة وشناعة طباع . فلم يشهد التاريخ أبشع ولا أشنع مما ارتكبه الرومان فى حروبهم ضد الأمم الأخرى ، وقد فاقوا فى وحشيتهم البابليين والأشوريين والفرس والتتار . وكان الرومان حين يهزمون ملكا من الملوك يذبحونه ويتخذون من جمجمته كأساً يشربون فيها الخمر ،

مبالغة فى النكاية وامعاناً فى التشفّى . وكان القائد الرومانى الذى ينتصر فى الحرب يدخل روما فى احتفال عظيم ، وقد امتطى عربة حربية فاخرة ، يسير خلفها ملوك الأعداء المهزومون وهم حفاة الأقدام عراة الرؤوس يرسفون فى الأغلال ، حتى إذا بلغ الموكب هياكل الآلهة فوق الكابيتول ، أصدر القائد أمره بذبح أولئك الملوك قرباناً للآلهة ، واحتفالاً بالنصر على الأعداء .

وقد كان نظام الحكم عند نشأة روما هو النظام الملكى ، ثم فى عام ٥١٠ قبل الميلاد استبدل الرومان ذلك النظام بنظام جمهورى يتولى الحكم فيه قنصلان متساويان فى السلطة ، يجرى انتخابهما كل عام ويتمتع كل منهما بالسلطة التى كان يتمتع بها الملوك . وكان فى الجمهورية الرومانية هيئتان تتمتعان بنفوذ عظيم ، هما مجلس الشيوخ صاحب السلطان الأعلى فى البلاد ، والجمعية التشريعية التى كانت تمثل كل الطبقات فى روما . وقد ظل النظام الجمهورى قائماً فى روما خمسة قرون كاملة حتى عام ٣١ قبل الميلاد ، وهو التاريخ الذى انفرد فيه أكتافيوس بحكم الدولة الرومانية بعد انتصاره على القائد الرومانى أنطونيوس فى موقعة أكتيوم .

وكان القانون فى روما فى البداية مجموعة من العادات القبلية القاسية والطقوس الدينية الرهيبة . وكان الكهنة والعرافون هم الذين يقررون ما هو حق وما هو باطل فى كل الأمور ، بعد أن يتظاهروا باستشارة الآلهة واستطلاع النجوم ، حتى قام مجلس الشيوخ الرومانى فى عام ٤٥٤ قبل الميلاد بوضع مجموعة من القوانين ، ودوّنوها فى اثنتى عشرة لوحة ، فكانت هى الأساس الأول للقانون الرومانى .

وكانت الديانة الرومانية حينذاك تجمع بين عبادة الطبيعة والإيمان بالسحر والخرافات .. وكانت بعض معتقدات هذه الديانة منحدره من عصر ما قبل التاريخ وبعضها منحدرة من القبائل التى غزت شبه الجزيرة الإيطالية منذ الفى عام قبل الميلاد . وكانوا يؤمنون بوجود مجمع للآلهة يتألف من اثنى عشر إلهاً يرأسهم الإله « تينيا » ، وكانوا جميعاً موضع الخوف والرهبة من الرومانيين . وكان أشدهم سطوة الإله « مانتوس » سيد العالم السفلى وزوجته الإلهة « مانيا » . وكانت لهذه الديانة الوثنية طقوس رهيبة تقتضى تقديم الذبائح البشرية لاكتساب رضاها واجتناب غضبها . فكانوا

كلما نزلت بهم نازلة بادروا إلى ذبح البشر فى هياكل الآلهة استرضاء لها وتقرّباً إليها . وقد كانت آلهتهم كثيرة جداً ، حتى قيل إنها تبلغ ثلاثين ألفاً . وكانوا يعتقدون أن لتلك الآلهة قوة سحرية تستطيع بها أن تنفع الناس أو تؤذيهم ، وتستطيع أن تسعدهم أو تشقيهم . فكانوا يطلبون رضاها أو يتجنبون شرها بأن يواظبوا على تقديم القرابين إليها بمقتضى طقوس سحرية ذات ألفاظ معينة وحركات محدّدة ، وكانوا يعتقدون أنهم لو أدّوا هذه الطقوس على الوجه الأكمل ، دفعوا الالهة بذلك الى أداء عملها ونالوا منها ما يبتغون . أما إذا وقع أى خطأ ولوطفيف فى قول من الأقوال أو فعل من الأفعال التى تقتضيها الطقوس ، لا تثمر هذه الطقوس ثمرها ، وينبغى عندئذ اعادتها من جديد ، ولو تطلّب ذلك تكرارها ألف مرة . وكانوا أحياناً إذا أحسُّوا بأن الآلهة قد اشتد غضبها عليهم ، يذبحون الآدميين ويقدمونهم قرباناً لها . ولما كانت الطقوس السحرية هى الوسيلة الوحيدة لدى الرومان لتحقيق آمالهم ودفع الشرور عنهم ، لجأوا فضلاً عن تقديم القرابين الى استخدام التعاويذ والتمائم والطلاسم والرقى السحرية . ومن ثم سيطر عليهم السحر كما سيطر عليهم السحرة ، فكانوا لا ينجزون عملاً من الأعمال مهما كان صغيراً أو كبيراً إلا بعد استشارة العرافين والسحرة الذين كانت وسيلتهم الى ذلك أن يفحصوا أكباد المذبوحين قرباناً للآلهة من إنسان أو حيوان ، ويقرروا على ضوء محتوياتها ما إذا كانت الآلهة راضية أو غير راضية عن العمل الذى يريدون إنجازه . وكثيراً ما كان يحدث أن تنفضّ الجمعية الشعبية بعد انعقادها ، أو يتقرر تأجيل حرب أو الغاء معاهدة أو العدول عن عمل من أخطر أعمال الدولة لأن العرافين قرروا أنهم رأوا فى أكباد الذبائح ما يدلّ على أن الآلهة غير راضية . كما أن من العلامات التى كانوا يعتمدون عليها غير أكباد الأضاحى اتجاه الطيور أو لمعان البرق أو هزيم الرعد أو هبوب الريح أو ماشابه ذلك من الظواهر الطبيعية التى كان العرافون يزعمون مالها من معان ودلالات . وكانوا يتخذون ذلك سبيلاً الى الكسب ويستغلونه أسوأ استغلال . حتى إذا بدأت روما تبسط سلطانها على الشعوب المحيطة بها . كانت حين تقهر مدينة من المدن أو دولة من الدول لا تأسر حكامها فحسب ، وإنما تأسر الهتها كذلك وتجىء بهم الى روما لتضمّهم إلى آلهتها . وقد تأثر الرومان بالديانة اليونانية ، فلم يلبث الرومان أن فتنهم ديونيسيوس إله الحب وباخوس إله الخمر . كما فتنتهم

أفروديتى إلهة الجمال ، وسحرتهم كذلك العقيدة الأورفية والعقيدة الديونيسية والعقيدة الديمترية وغيرها من العقائد اليونانية التى تجرى طقوسها فى الخفاء . والتى تتسم بكل ما تتصف به الطبيعة الرومانية من الانحلال والانطلاق ، وتمتلىء بكل ما تصبو اليه من القسوة وانحطاط الأخلاق . وقد كان من مقتضيات تلك الطقوس ارتكاب أبشع أفعال التهتك والفسق والفجور ، فكانت الديانة الرومانية تصوّر الآلهة على مثال الرومان أنفسهم ، ماديين نفعيين غلاظ القلوب مجردين من الأخلاق ، ومن ثم لم يفكروا فى التذرع بأى صلاح أو فضيلة لاكتساب رضى الآلهة وإنما وضعوا كل همهم فى رشوتهم بالماديات لكى يوفر لهم آلهتهم بفضلها ما يطمحون اليه من الماديات . فكان هذا هو دستورهم الذى ساروا عليه فى كل شئون حياتهم وكل معاملاتهم مع أبناء بلدهم ، أو مع التعساء من أبناء البلاد الأخرى الذين أوقعهم حظهم العاثر تحت رحمتهم .

٢ ــ نماذج من الأباطرة الرومان :

أ ــ يوليوس قيصر :

ولعل القائد الذى استكمل للدولة الرومانية سطوتها ، ومدّ الى أقصى الحدود رقعتها وجعلها دولة من أقوى الدول التى عرفها التاريخ هو يوليوس قيصر الذى كان له دور كبير فى الأحداث التى دارت فى العالم وشكّلت كثيراً من ملامحه فى الفترة السابقة مباشرة على ظهور السيد المسيح . وقد ولد يوليوس قيصر فى عام ١٠٠ قبل الميلاد ، وكان فى حداثته صبياً فاسقاً يتهامس الناس بعلاقاته الشاذة الشائنه . حتى إذا بلغ طور الشباب ، انطلق يعربد ويعيث فساداً حتى لقد ضج الأشراف الرومان بالشكوى منه لأنه كان يغوى زوجاتهم . وكان سياسياً رقيعاً لا ضمير ولا أخلاق له ، فكان يرشو الجميع ويرتشى من الجميع . فكان صورة صادقة وصارخة لكل زعماء الرومان فى عصره . وبعد أن اشتهر يوليوس قيصر بفتوحاته التى انتصر فيها ، دخل روما عام ٤٩ قبل الميلاد ، وعيّنه مجلس الشيوخ الرومانى دكتاتوراً . وفى عام ٤٤ قبل الميلاد عيّنه ذلك المجلس دكتاتوراً مدى الحياة . ومن ثم أصبح امبراطوراً بالفعل . وقد أضفى عليه مجلس الشيوخ لقب أوغسطس ، وهو لقب التشريف الذى رفع من شأن مركزه كما رفع من قدره ، إذ أن هذا اللقب كان يعنى أنه مخصص ومكرّس لخدمة الآلهة وبذلك

أحاطه هذا اللقب بهالة ترتفع به عن مستوى البشر ، إن لم تكن تضفى عليه صفة الألوهية . ثم قتل يوليوس قيصر فى ١٤ مارس سنة ٤٤ قبل الميلاد . ويمكننا أن نعتبر أنه هو مؤسس الامبراطورية الرومانية . وقد ظل فى السلطة من عام ٤٩ قبل الميلاد الى عام ٤ للميلاد ، أى ما يقرب من خمسين عاماً .

ب ــ أوكتافيوس :

وبعد مقتل يوليوس قيصر نشب الصراع بين القائدين أنطونيوس وأوكتافيوس على السلطان . وانتهى ذلك الصراع بمصرع أنطونيوس ، واستأثر أوكتافيوس بالسلطان كله . وقد أضفى عليه مجلس الشيوخ الرومانى لقب التشريف « أوغسطس » فأصبح اسمه « أوغسطس قيصر » . وكان كسلفه شاباً ماجناً يطلق العنان لشهواته ويمعن فى التهتك والمجون ، ويرتكب أبشع الأعمال وأفظع الجرائم فى فظاظة بشعة وغلظة لا رحمة فيها ولا وخز ضمير . وقد اتصف بكل ما اشتهر به الطغاة الجبابرة فى كل عصور التاريخ ، وظل زهاء نصف قرن هو الحاكم بامرة فى العالم كله . وقد كانت تتركز فى يديه السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والعسكرية مجتمعة ، وفى عام ٢٧ بعد الميلاد أسبغ عليه مجلس الشيوخ لقب أوغسطس الذى كان يعتبر لقباً الهياً ، ثم لم يلبث مجلس الشيوخ أن اعتبره الهاً بالفعل ، وأضاف إسمه الى أسماء الآلهة الرسميين لروما ، وأصبح يوم ميلاده يوماً مقدّساً تقام فيه الطقوس لعبادته والتوجّه إليه بالصلوات والترانيم . وقد بلغ من إيمان بعض الرومان به أنهم وهبوا حياتهم له فقطعوا على أنفسهم عهداً بأن يقتلوا أنفسهم حين يموت . ثم سرعان ما امتدت عبادة أوغسطس من روما الى غيرها من الولايات الرومانية . وقد اتخذت بعض ولايات آسيا عبادته ديانة رسمية لها ، وعينت لخدمة مذبحه طائفة جديدة من الكهنة أسمهم « الأوغسطيون » ، بل لقد زعم البعض أنه هو المسيح ابن الله المنتظر . وهكذا أصبح ذلك الفاسق الزانى والآثم الظالم عند الرومان وأتباع الرومان الهاً ابن إله . وقد ظلت الدولة الرومانية فى عهده دولة رأسمالية يسيطر عليها كبار الأغنياء من أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان . وكان الامبراطور هو الرأسمالى الأول فى الدولة . فكان أغنى أغنيائها ، وقد اعتبر أموال الدولة كلها أمواله . وقد تزايد الثراء فى روما فى عهده ، فتزايد الفساد واشتد انحطاط أخلاق

الرجال وانحلال أخلاق النساء ، واضمحلال الروابط بين الزوج وزوجته والولد وولده ، فانطلق كل منهم فى سبيله ، وأطلق كل منهم العنان لشهواته ، فأصبحت العلاقات غير الشرعية هى السائدة ، وأصبح الزنا هو القاعدة . وكان أوغسطس نفسه من أكثر الرومان فجوراً وعاراً . وكانت الفضائح التى تحدث فى بيته تزكم أنوف القريبين والبعيدين فى كل أنحاء الامبراطورية .

وفى عهد أوغسطس قيصر ولد يسوع المسيح فى بيت لحم إحدى مدن اليهودية بفلسطين . إذ كانت أمه مريم العذراء تقيم فى مدينة الناصرة إحدى مدن الجليل ، وقد ذهبت مع خطيبها يوسف ليسجلا إسميهما فى مسقط رأسيهما مدينة بيت لحم ، فجاءها المخاض هناك وولدت إبنها فى تلك المدينة . وقد جاء عن ذلك فى الإنجيل للقديس لوقا قوله « فى تلك الأيام صدر مرسوم من أغسطس قيصر بإجراء تسجيل لسكان العالم كله . وكان هذا هو التسجيل الأول الذى جرى حين كان كيرينيوس والياً على سوريا ، فذهب الجميع لتسجيل أسمائهم كل واحد فى مدينته . ومن ثم ذهب يوسف أيضاً من مدينة الناصرة التى بالجليل الى مدينة داود المسماة بيت لحم التى باليهودية ، إذ كان من بيت داود ومن عشيرته ليسجل اسمه مع مريم خطيبته التى كانت حبلى . وفيما كانا هنالك حان موعد ولادتها فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته فى مذود ، إذ لم يكن لهما مكان فى الفندق » (لوقا ٢ : ١ــ٧) . وحين علم هيرودس ملك اليهودية بميلاد يسوع من بعض حكماء المشرق المدعوين بالمجوس الذين قالوا له إن هذا الطفل سيكون ملكاً لليهود ، تملّكه الذعر وأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فأقل ، عسى أن يقتل يسوع من بينهم . وقد جاء عن ذلك فى الانجيل للقديس متى قوله إنه « إذ ولد يسوع فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس جاءوا من المشرق إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ، فاننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له . فلما سمع هيرودس الملك ذلك اضطرب وكل أورشليم معه . وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب ، وسألهم اين ينبغى أن يولد المسيح ، فقالوا له : فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى : وأنت يا بيت لحم بأرض يهوذا لست الصغرى بين ولايات يهوذا لأن منك يخرج الحاكم الذى يرعى شعبى اسرائيل . وعند ذلك اختلى هيرودس

بالمجوس وتحقق منهم عن الوقت الذى ظهر فيه النجم . ثم بعث بهم الى بيت لحم قائلاً : إذهبوا وابحثوا عن الصبى بتدقيق فإذا وجدتموه فأخبرونى لكى أجىء أنا أيضاً وأسجد له . فاستمعوا الى الملك وانصرفوا وإذا النجم الذى كانوا قد رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذى كان فيه الصبى ، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً . وحين أتوا إلى البيت رأوا الصبى مع مريم أمه فخرّوا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدّموا له هدايا من ذهب ولبان ومر . ثم أوحى اليهم فى حلم ألا يرجعوا الى هيرودس ، فانصرفوا من طريق آخر الى بلادهم . ولما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً : قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر ، وامكث هناك حتى أقول لك ، فإن هيرودس سيبحث عن الصبى ، ليهلكه ، فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً وانطلق الى مصر ، ومكث هناك حتى موت هيرودس ، ليتم ما قاله الرب بفم النبى القائل : من مصر دعوت ابنى .. أما هيرودس فحين رأى أن المجوس قد سخروا به استشاط غضباً وأرسل فقتل كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها من سنتين فأقل وفقاً للزمان الذى تحققه من المجوس » (متى ٢ : ١ــ١٦) . ويقال إن الأطفال الذين قتلهم هيرودس فى تلك المذبحة أكثر من عشرة آلاف طفل . ويمكننا القول إن أولئك الأطفال كانوا أول شهداء المسيحية .

وقد ظل أوغسطس قيصر يحكم الامبراطورية الرومانية منذ مقتل يوليوس قيصر عام ٤ قبل الميلاد الى عام ١٤ بعد الميلاد أى نحو ثمانية وخمسين عاماً ، وظل يحكم مصر من عام ٣١ قبل الميلاد الى عام ١٤ بعد الميلاد ، أى ٤٤ عاماً .

جـ ــ طيباريوس :

وكانت ليفيا زوجة أغسطس قيصر قد أنجبت ولداً من زوجها الأول يدعى طيباريوس ، فتبناه أوغسطس وأشركه معه فى الحكم فى أواخر أيامه ، حتى إذا توفى أوغسطس قيصر فى ١٩ أغسطس عام ١٤ بعد الميلاد ، جلس على العرش بعده طيباريوس . وقد بادر مجلس الشيوخ الرومانى بعد وفاة أوغسطس الى منح طيباريوس كل سلطاته وألقابه فأصبح اسمه « طيباريوس قيصر » وكان عندئذ فى الخامسة

والخمسين من عمره . وكان رجلاً فظاً صارم التقاطيع طويل الصمت بطيء الكلام سريع الغضب شديد البطش ، لا ضمير له ولا رحمة فى قلبه . وقد أقام حكمه على الطغيان العسكرى ولطخ يديه بدم الآلاف من الضحايا ، وكان لايفتأ يطارده الرعب من أن يقتله المحيطون به ، فكان يقتلهم واحداً بعد الآخر ولو كانوا من أقرب الناس إليه ، وقد قتل كل من خامره الشك فى أنه يتآمر عليه أو يضمر له العداء ولو كان من أقرب أقربائه . فكان ممن قتلهم ابنته الصغرى ، وقتل ابنه دروسوس هو وزوجته لبفيللا ، وأراد أن يقتل زوجته فانتحرت . وقد ارتكب من أعمال القسوة والقتل مالا يصدقه العقل .

وفى عهد أوغسطس قيصر ظهر يوحنا المعمدان ، إذ جاء فى الانجيل للقديس لوقا إنه « فى السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس قيصر ، حين كان بيلاطس البنطى والياً على اليهودية وميرودس حاكماً فى الجليل ، وفيلبس أخوه حاكماً فى أيطورية ، وأراضى تراخونيتس ، وليسانيوس حاكماً فى أبيلينية ، وكان حنان وقيافا رئيسين للكهنة كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرّية . فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالاردن يبشر بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » (لوقا ٣:١-٣) . وقد أعلن يوحنا المعمدان أن المسيح المنتظر قد جاء فعلاً ، وأن ظهوره للناس قد أوشك ، إذ جاء فى الانجيل للقديس يوحنا إن الفريسيين استفسروا منه عما إذا كان هو المسيح الذى ينتظرونه فأجاب قائلاً « أنا أعمّد بماء ، ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ، هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » (يوحنا ١:٢٦-٢٨) .

وفى عهد طيباريوس أقدم هيرودس ملك اليهود على قتل يوحنا المعمدان ، وهو هيرودس أنتياس الذى كان الإبن الثانى لهيرودس الكبير الذى هربت العائلة المقدسة فى عهده ، والذى قتل أطفال بيت لحم عسى أن يكون المسيح من بينهم ، وقد أصبح هيرودس أنيتباس بحكم وصية أبيه ومصادقة أوغسطس قيصر عليها والياً على الجليل وبيرية . وكان يسمى « رئيس ربع » وإن كان اتخذ لنفسه لقب ملك . وقد أبدى الخضوع الكامل للرومان وانتهج سياسة استرضائهم وتملّقهم . ومن مظاهر ذلك أنه

جدّد مدينة بيت صيدا وسمّاها « جوليا » على اسم زوجة الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر ، كما بنى مدينة على اسم الامبراطور الذى جاء بعد أوغسطس وهو طيباريوس ، إذ سمّاها طبرية ، وهى التى تقع على ساحل بحيرة جنّيسارت ، وأصبحت بعد بناء المدينة تسمى « بحيرة طبرية » . وقد كان هيرودس أنتيباس مثل أبيه هيرودس الكبير شريراً شهوانياً ، سيء السيرة سفّاك دماء . ومن الأعمال التى تدل على انحلاله وانحطاطه أنه اغتصب هيروديّا زوجة أخيه فيلبس واتخذها زوجة له ، فكان يوحنا المعمدان لا يفتأ يصرخ قائلاً « لا يحل لك أن تأخذ لنفسك زوجة أخيك » ، فحنق عليه هيرودس وقتله بأن قطع رأسه وأهداها الى سالومى إبنة زوجته هيروديا (مرقس ٦:١٧ــ٢٨) .

كما أن فى عهد طيباريوس حكم كهنة اليهود على السيد المسيح بالصّلب وطلبوا إلى الوالى الرومانى بيلاطس البنطى أن يصلبه ، فلما تردّد فى ذلك هدّدوه بقولهم إنه غير محب لقيصر ، فرضخ لهم وأسلمه اليهم ليصلبوه . وفى ذلك يقول الانجيل للقديس لوقا إن بيلاطس حقّق مع السيد المسيح واتضحت له براءته ، ومن ثم « دعا بيلاطس اليه رؤساء الكهنة والرؤساء والشعب وقال لهم : لقد جئتمونى بهذا الرجل كمفسد للشعب ، وها أنذا قد استجوبته أمامكم فلم يثبت لى أىّ شر مما تتّهمون به هذا الرجل .. فها أنتم ترون أنه ما من شيء يستوجب الموت قد صدر عنه » (لوقا ٢٣:١٣ــ١٥) ، فهاج هائج اليهود وصرخوا قائلين « إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر » (يوحنا ١٩:١٢) . وبذلك أدرك بيلاطس أنه إن أطلق سراح السيد المسيح سيتّهمه اليهود هو نفسه بخيانة قيصر ، إذ أطلق سراح رجل متمرّد على قيصر . وقد كان قيصر الرومان فى ذلك الوقت كما ذكرنا هو طيباريوس الذى كان من أقسى أباطرة الرومان وأشرسهم وأكثرهم حماقة وجنوناً وتعطشاً الى سفك الدماء وقتل الأبرياء . ومن ثم كان بيلاطس يخشى أىّ وشاية تبلغه عنه ، لأنها كفيلة بأن تطيح بمنصبه ، بل أن تطيح برأسه . ولذلك فإنه على الرغم من اقتناعه الكامل ببراءة السيد المسيح جبن عن أن يحكم ببراءته ، فأسلمه الى أعدائه ليصلبوه .

وفى سنة ٣٧ بعد الميلاد ، بينما كان طيباريوس فى ميسينيوم انتابته نوبة إغماء ، فظن المحيطون به أنه قد مات ، وكان بينهم جايوس أحد أبناء أجريبينا من زواجها

السابق ، فالتفوّا حوله باعتباره الامبراطور الجديد ، غير أنهم لم يلبثوا أن ذعروا إذ رأوا طيباريوس يفيق من أغمائه فانقضّوا عليه وكتموا أنفاسه . وإذ كان طيباريوس أثناء حياته قد رشح حفيده الصغير طيباريوس جميلوس ، سارع جايوس الى قتله واحتل العرش باسم « جايوس قيصر » وقد اشتهر باسم « كاليجولا » أى الحذاء الصغير .

د ــ كاليجولا :

وكان كاليجولا طويل القامة ضخم الجسم كثيف الشعر غائر العينين بشع الصورة مصاباً بالصرع ، وقد بدأ حكمه بداية حسنة ، ولكنه لم يلبث أن أطاحت السلطة بعقله ، فراح يطلب الى أعضاء مجلس الشيوخ تقبيل قدميه تعظيماً له ، معلناً إنه إله لا يقل شأناً عن الإله الأعظم جوبيتر نفسه ، وحطّم تماثيل الآلهة ووضع فى مكانها تماثيله . وكان يجد سروراً عظيماً فى أن يجلس فى هيكل الآلهه كاستور وبوللیكس ويتلقى عبادة الناس له . كما كان يحلو له فى بعض الأحيان أن يوجّه الحديث أمام الناس الى الإله جوبيتر منددا به معنّفاً إياه . وقد زعم ذات مرة لجلسائه أن إلهة القمر نزلت اليه وعانقته . ثم أقام هيكلاً ليعبده الناس فيه وخصص له طائفة من الكهنة ، ثم عيّن جواده المحبوب ضمن أولئك الكهنة . ثم اقترح على مجلس الشيوخ تعيين ذلك الجواد قنصلاً . وقد سيطرت على كاليجولا شهوات جنونية شائنة فعاشر شقيقاته كلهن معاشرة الأزواج . وحين تزوجت أخته دوزيلا أرغمها على تطليق زوجها واحتجزها لنفسه كأنها زوجته الشرعية . ولم تكن تروق فى عينيه امرأة مهما كانت مكانتها إلا انتزعها من زوجها . وقد حضر حفل زواج ليفيا أوسنيلا الى خطيبها جايوس بيزو ، فما كان منه وقد أعجبته إلا أن اختطفها اختطافاً وهى فى ثوب الزفاف الى قصره وتزوجها ، ثم طلّقها بعد بضعة أيام . وسمع أن جوليا بولينا بارعة الجمال فاستدعاها وطلّقها من زوجها وأمرها بأن لا يكون لها علاقة بأى رجل سواه . ولم تقتصر علاقته الشائنة على النساء ، فقد انغمس كذلك فى أبشع العلاقات الشاذة مع الجنسين على السواء . فكانت حياته أقبح وأقذر صورة يمكن أن يتصورها الخيال لحياة رجل من الرجال . وكما كان داعراً بجنون ، كان كذلك مسرفاً بجنون ، فلم يكن يستحم بالماء وإنما بالعطور . ولم يكن ينفق على وليمه من ولائمه أقل من عشرة ملايين سيستروس ،

أى ما يوازى خمسمائة ألف جنيه . ومن نزواته الغريبة أنه أراد تكريم جواده المحبوب ، فأقام له وليمة قدم له فيها الطعام فى مذود مصنوع من العاج داخل حظيرة من الرخام . وقد زاد فى جنونه أن اكتشف مؤامرة لقتله ففرض على البلاد عهداً من الارهاب تفيض على جنباته بحور من الدماء ، وأصبح يجد لذة فى تعذيب ضحاياه ، فكان يأمر الجلادين بأن يقتلوهم قتلاً بطيئاً . ومتى نفد ما يلزمه من اللحم لإطعام الوحوش التى كان يستخدمها فى الألعاب ، أمر بذبح جميع المساجين واستخدم لحمهم طعاماً لتلك الوحوش ، كما صب نقمته على جميع أبناء الطبقة العليا فى روما فأمر بالقائهم للوحوش الضارية أو اعتقالهم فى أقفاص حديدية ونشر أجسامهم بالمناشير أو حرقهم بالحديد المحمّى . وقد أرغم بعض أعضاء مجلس الشيوخ على مصارعة الوحوش فى حلبة الألعاب بدلاً من العبيد المصارعين . كما أرغم جدته أنطونيا على أن تقتل نفسها . وأراد أن يقتل عمه كلوديوس لولا أنه تظاهر بالجنون ، وأمر باعدام الفيلسوف الرومانى سينيكا ، ثم علم بأنه مصاب بمرض خطير فعفى عنه ليتلذذ برؤيته وهو يموت موتاً بطيئاً .

ولم تلبث أن جاءت نهاية كاليجولا قبل أن يستكمل على العرش أربع سنوات ، إذ قتله ضابط فى الحرس الامبراطورى فى ٢٤ يناير سنة ٤١ للميلاد ، حتى إذا ذاع الخبر فى روما لم يصدّقه الأهالى فى بداية الأمر ، إذ اعتقدوا أنه مجرّد حيلة من حيل امبراطورهم الخبيث لينتقم من الذين يبتهجون بخبر موته ولكنهم سرعان ما تأكدوا أن الخبر صحيح ، وأن رجال الحرس لم يقتلوا الامبراطور وحده ، وإنما قتلوا معه زوجته الرابعة ، كما أمسكوا ابنته وظلّوا يدقون رأسها فى جدار من جدران القصر حتى حطّموها ، ثم راحوا يجرّون جثتها فى شوارع روما ، فأقام مجلس الشيوخ فى مكان كاليجولا خليفة له من عائلة أغسطس ، وهو طيباريوس كلوديوس عم كاليجولا .

هـ ــ كلوديوس :

إرتقى كلوديوس العرش فى عام ٤١ للميلاد ، وهو حفيد أوغسطس قيصر ، وقد بدأ عهده بإصلاح ما أفسده أسلافه من الأباطرة . ولكنه لم يلبث أن انحدر إلى ذات الهوة التى انحدر إليها كل أولئك الأسلاف ، فأصبح بيته يضم أقذر الفضائح وأقبح

صور الفساد . وقد تزوج أربع مرات ، وكانت زوجته الرابعة هي فليريا ميسالينا حفيدة انطونيوس ، وقد تزوجها وهي فى السادسة عشرة من عمرها ، بينما كان هو فى الثامنة والأربعين ، وكانت فتاة فاسقة ، فلم تلبث أن أحبت راقصاً يدعى فيستر ، ولكنه لم يبادلها الحب ، فطلبت الى زوجها أن يأمره بالاستجابه لها ، فلمّا أمره بذلك خضع وأصبح عشيقها ، حتى إذا زهدت فيه وتاقت إلى غيره طلبت الى زوجها أن يأمر ذلك الثانى كما أمر الأول بأن يرضخ لرغبتها — وهكذا اعتادت أن تفعل بالنسبة لأى رجل يروق لها . وفى نظير ذلك كانت تقدّم اليه ما يشاء من الفتيات ذوات الجاذبية والجمال ، وقد كان مفرطاً فى شهواته ، فكانت زوجته تعاونه فى فجوره ليعاونها هو فى فجورها ، بل أنه يقال إنها احترفت الدعارة كأى امرأة ساقطة . بل لقد انتهزت ذات مرة فرصة غياب زوجها وتزوجت زواجاً رسمياً من شاب يدعى كايو سيليوس . ولم يلبث الامبراطور أن علم بأن زوجته تدبر مؤامرة لاغتياله وتنصيب سيليوس فى مكانه ، فسارع بالعودة الى روما وأمر بذبح سيليوس وكل عشاق ميسالينا الآخرين ، وانتهى الأمر بقتلها هى نفسها . ولم يلبث الامبراطور أن أدارت رأسه امرأة أخرى هى أجريبينا الصغرى ابنة أجريبينا الكبرى ، وقد ورثت عن أمها جمالها وفسوقها ، وكانت قبل ذلك قد ترمّلت مرّتين ، وقد رزقت من زوجها الأول كنايوس ديمتيريوس بابنها نيرون الذى كانت تحلم بأن تجعله امبراطوراً . أما زوجها الثانى فقد دست له السم وورثت عنه ثروة طائلة . وعلى الرغم من أن كلوديوس كان عمها فقد اعتزمت أن تتزوجه وتتخلص من ابنه بريتانيكوس الذى أنجبه من ميسالينا . ولم تلبث بالفعل أن نجحت فى اغراء الامبراطور الشيخ فتزوجهاعام ٤٥ بعد الميلاد . ثم نجحت فى اقناعه بأن يتبنّى نيرون ويزوّجه من إبنته أوكتافيا ، كما نجحت فى إقناعه بأن تجلس هى نفسها معه على العرش ، وقد أصبحت صاحبة الكلمة العليا فى البلاد ولم تلبث أن أطلقت العنان لجشعها وولعها بالمؤامرات ، فذبحت جوليا بولينا إذ سمعت الامبراطور يبدى اعجابه برشاقتها ، ودست السم لماركوس سيلانوس إذ رأت الامبراطور يميل اليه وخافت أن يجعله وارثا له ، وراحت تلفّق التهم للأغنياء وتقتلهم لتستولى على أموالهم . وقد كان ممن حكمت عليهم بالاعدام وصادرت أملاكهم خمسة وثلاثون من أعضاء مجلس الشيوخ ، وثلاثمائة من الفرسان ، بينما كان زوجها الامبراطور غارقاً فى ملذاته

لا يفارق النساء ولا يفيق من الخمر ، وقد ظل مستسلماً لزوجته الخبيثة العابثة أجريبينا . ولكنه لم يلبث أن تنبه للمؤامرة التى كانت تحيكها لتنصيب ابنها نيرون امبراطوراً . وقد حاول تعيين ابنه بريتانيكوس وارثاً للعرش ، ولكنها كانت أسرع منه تدبيراً ، فدسّت له السم فى الطعام ، فقضى نحبه دون أن يقوى على النطق بكلمة واحدة . وهكذا نجحت أجريبينا فى بلوغ الغاية التى ظلت تسعى الى تحقيقها زمناً طويلاً وجلس ابنها نيرون على العرش .

و ــ نيـــرون :

وقد كان نيرون هو حفيد أنطونيوس وأوكتافيا أخت أوغسطس . وكان اسمه عند ميلاده لوسيوس ، ثم أضيف اليه لقب نيرون . وقد نجحت أمه بعد مقتل كلوديوس عام ٥٤ بعد الميلاد فى أن تكتسب له تأييد الحرس الامبراطورى ، فلم يجد مجلس الشيوخ مناصاً من تجليسه امبراطوراً . وكان نيرون عندئذ شاباً فى السابعة عشرة من عمره . وكان قد تلقى العلم على يد نخبة من الفلاسفة ، ولا سيما « سينيكا » وقد شرع فى بداية الأمر يسير سيرة حسنة ، ولكنه لم يلبث أن أسلم قياده لأمه وتركها تتصرف فى شئون الامبراطورية كما تشاء ، فلم تلبث أن انفردت بالسلطان ونقشت صورتها على نقود الامبراطورية مع صورة ابنها . وقد استاء سينيكا أستاذ نيرون ومستشاره من ذلك ، لأنه كان يريد أن يكون هو مستشاره الأوحد . فراح يحرّضه ضد أمه حتى بدأ يجافيها ، ثم أجبرها على أن تعتكف بصفة دائمة فى قصرها . ولم يلبث أن ظهر على حقيقته حاكماً مستبداً فاسداً فاسقاً مجنوناً . وقد أحاط نفسه ببطانة من الفتيات الفاجرات والفتيان الساقطين ، وراح يقضى أيامه ولياليه فى عهر وعربدة وعبث بالأعراض . وكان يتخفّى تحت جنح الليل مع بطانته تلك ، ويطوفون فى الشوارع والأزقة ، ويرتادون الحانات والمواخير ، وينهبون الحوانيت ، ويغتصبون النساء ، ويسلبون الرجال ما معهم ثم يضربونهم أو يقتلونهم . وكان سينيكا يشجع الامبراطور على التمادى فى مفاسده وموبقاته لينفرد هو بتوجيه دفة الحكم . فكان يأتيه بالنساء الجميلات ، ويمهد له أسباب المتعة معهن . ولم يلبث أن أفتتن بامرأة بارعة الجمال تدعى يوبيا سابنيا وكانت زوجة صديقه أوتو فأبعد زوجها بأن عينه والياً على

لوزيتانيا ، ثم غرق فى هواها ، حتى لقد اعتزم أن يطلق زوجته أوكتافيا ويتزوجها ، إلا أن أمه أجريبينا وقفت فى صفها ، حتى ليقال انها عرضت عليه فى سبيل ذلك أن يتخذها هى ذاتها ــ وهى أمه ــ عشيقة له ، ولكن يوبيا كانت أكثر تأثيراً عليه وأشد إغراء ، حتى لقد أقنعته بأن يقتل أمه فقتلها ، ثم طلّق أوكتافيا وتزوج يوبيا ، فلما غضب الشعب لذلك وحطّم التماثيل التى أقامها نيرون ليوبيا ، بينما كلّل بالازهار تماثيل أوكتافيا ، حنقت يوبيا وحرضت الامبراطور على أوكتافيا فقتلها ، وأهدى إلى يوبيا رأسها . ثم حدث بعد ذلك أن كانت يوبيا حاملاً وقد غضب نيرون عليها فركلها فى بطنها فماتت . وإذ كان يحبها ظل حزيناً عليها ، ثم لم يلبث أن عثر على شاب ذى ملامح شديدة الشبه بملامحها يدعى سبورس فتزوجه فى احتفال رسمى وعاشره معاشرة الزوجات .

وكان نيرون مغرماً بالرقص والغناء والتمثيل فكان يجمع فى قصره الراقصين والمغنين والممثلين ، ويعقد المباريات بينه وبينهم . ثم لم يلبث أن راح يقيم حفلات عامة يظهر فيها على المسرح ويرقص ويغنى ويمثل . ولما احتج مستشاره سينيكا على مسلكه هذا عزله ثم قتله . واستمر يمارس هوايته المحبوبة ، فسافر إلى بلاد اليونان لإحياء الحفلات الموسيقية والتمثيلية هناك كأى ممثل محترف ، وإذ صفقت له الجماهير مجاملة له واتقاء لغضبه امتلأ بالنشوة والسرور ، واعلن أنه حرّر بلاد اليونان منذ تلك اللحظة وأعفاها من دفع الجزية لروما . وقد اشتدّ سخط أعضاء مجلس الشيوخ على نيرون بسبب سلوكه الذى نال من كرامة العرش ، ومن ثم راح بعضهم يدبرون مؤامرة لقتله وتنصيب كالبيرينوس بيزو فى مكانه . إلا أنه علم بهذه المؤامرة فبدأ عهداً من الإرهاب ترتعد من هوله الفرائص ، وراح يقتل كل من يشك فى ولائه أو يوقن فى ثرائه . وقد أقسم أن يقتل أعضاء مجلس الشيوخ جميعاً وأن يقضى على طبقة الأثرياء ، فأرسل رجاله الى كل مكان يقبضون على الأبرياء ويعذبونهم ثم يذبحونهم ، وينهبون أموالهم دون أن يوجهوا إليهم أى اتهام . وقد ذهب ضحية هذا الارهاب كذلك قائد الحرس الامبراطورى فاليسيوس روفوس والشاعر لوكان والكاتب بترونيوس والفيلسوف بركاسورانوس وشقيقان للفيلسوف سينيكاهم هما أمونيوس ميلا وأنيوس نيوفاسوس . وكان هذا الاخير هو جاليو الذى أطلق سراح بولس الرسول . ولم يلبث نيرون أن

أرتكب جريمة جنونية لا يمكن للعقل أن يصدّق أنها تصدر عن إنسان مهما بلغ به الإجرام ، ومهما بلغ به الجنون ، فقد أشعل النار فى روما ، لا لشيء إلا ليتمتع برؤيتها وهى تحترق ، وقد راح يراقبها من أحد الأبراج وهو ينشد على قيثارته قصيدة كان قد كتبها عن حريق طروادة ، وقد ظلت النار مشتعلة تسعة أيام حتى التهمت ثلاثة أرباع المدينة واحترق عشرات الألوف من سكانها ، وهرع مئات الألوف منهم هائمين على وجوههم بلا مأوى ، وقد ذهب الرعب بعقولهم ، حتى إذا استوفى ذلك المعتوه متعته ورأى أن تهمة احراق المدينة لاصقة به أراد أن يلقيها على عاتق غيره ، فراح يبحث عن ضحية يجعلها كبش الفداء ، فاستأجر نيرون بعض الأوباش كى يشهدوا بأن المسيحيين هم الذين احرقوا المدينة ، ومن ثم أصدر أمره بقتلهم جميعاً ، وقد استخدم فى ذلك أبشع صنوف القسوة والوحشية ، متخذاً من أنواع التعذيب الرهيبة التى أنزلها بهم متعة له ، ووسيلة لتسليته ، وقد قال تاسيتوس المؤرخ الرومانى الوثنى أن نيرون « كان يضع المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم . ويطلى بعضهم الآخر بالقار ويعلقهم على مشانق ثم يضرم فيهم النار ليجعل منهم مشاعل يستضىء بها وهو يمر بالليل . وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم » .

ثم شرع نيرون فى بناء روما من جديد ، وقد أرغم كل الولايات الرومانية على دفع النفقات اللازمة لذلك ، وكان أول ما أقامه بها قصره الذهبى على مساحة عظيمة من الأرض كانت تشغلها قبل الحريق آلاف من بيوت الفقراء . وقد انفق على هذا القصر أموالاً طائلة ، حتى لقد نهب هياكل الآلهة وصهر تماثيلها الذهبية ليكسو جدرانه بالذهب الخالص ، وأقام أمام القصر تمثالاً ضخماً لنفسه بلغ ارتفاعه مائة وعشرين قدماً . وقد أحاطت برأسه هالة من أشعة الشمس باعتباره الإله فويلاس أبوللون ، إذ كان يعتقد فى نفسه الألوهية ، وكان يطلب من رعاياه على هذا الاعتبار أن يسجدوا له ويعبدوه .

وفى عام ٦٠ بعد الميلاد كان بولس الرسول يبشر بالمسيحية فى فلسطين فقبض عليه فيلكس حاكم اليهودية الرومانى ، وانتهى الأمر بعرض دعواه على نيرون فحكم

بقتله كما حكم بقتل بطرس الرسول ، فماتا شهيدين . كما أنه فى عهد نيرون استشهد مرقس الرسول فى مصر .

ثم فى سنة ٦٦ ميلادية شبت الثورة فى أورشليم ضد الرومان ، وحين عجز حاكم سوريا الرومانى عن أخمادها أرسل اليها نيرون جيشاً بقيادة فسباسيان فحاصر أورشليم وظل محاصراً إياها حتى دكّها الرومان فى النهاية دكاً واحرقوها . ثم لم تلبث أن جاءت الأنباء فى سنة ٦٨ ميلادية بأن يوليوس فندكس حاكم بلاد الغال التى هى فرنسا قد تمرد وأعلن استقلاله بالبلاد التى يحكمها ، فأعلن نيرون عن جائزة مقدارها مليونان وخمسمائة الف سيستروس لمن يأتيه برأس فندكس ، ثم راح يعدّ العدة لملاقاة هذا العدو الباسل فى الميدان . إلا أنه لم يلبث أن جاءته الأنباء بأن سرفيوس سلبشيوس جالبا قائد الجيش الرومانى فى أسبانيا قد انضم إلى فندكس فى تمرّده .. وأنه يزحف على روما . ولم يلبث الحرس الأمبراطورى أن انضم الى الجيش الزاحف ونادى بتنصيب جالبا امبراطورا ثم أعلن مجلس الشيوخ الرومانى اعتبار نيرون عدواً للشعب وقرّر صلبه ، فتأهب نيرون للفرار وراح يتوسل الى أصدقائه وأعضاء حاشيته أن يرافقوه فى فراره ، فرفضوا جميعاً ، فهرع وحده إلى قصره الريفى خارج روما ، وهناك حاول أن ينتحر ولكنه جبن ، حتى إذا سمع وقع أقدام الجنود الذين أرسلهم مجلس الشيوخ للقبض عليه حاول مرة أخرى أن يطعن نفسه بالخنجر ، ولكنه تخاذل وعجز ، فتوسّل إلى أحد عبيده أن يعاونه فى دفع الخنجر إلى حلقه . فعاونه فى ذلك حتى زهقت روحه ، ومات موت الجبان ، وكان موته فى عام ٦٨ بعد الميلاد ، وكان هو آخر الأباطرة الرومان من أسرة يوليوس قيصر بعد أن ظلّت هذه الأسرة فى الحكم أكثر من مائة وعشرين عاماً .

هذه هى سيرة ستة من أباطرة الرومان الأوائل ، تعمدّنا أن نكتب عنهم وأن نسهب فى سرد تفاصيل حياتهم التى تنطوى بالنسبة لهم جميعاً على أبشع صور القسوة والقهر والاستبداد والاستعباد والفسق والفجور ، وقد أسهبنا هذا الإسهاب لأن أولئك الأباطرة الستة كانوا مثالاً لكل أباطرة الرومان الذين جاءوا بعدهم ، والذين بسبب قسوتهم وجورهم وفسقهم وفجورهم أعلنوا الحرب على المسيحية والمسيحيين ، وساموهم أبشع صور الاضطهاد والاستبداد والتنكيل والتعذيب فى كل بلد من البلاد ،

فما فتئوا يحصدونهم حصداً حتى قتلوا منهم الملايين ، فتألف من تلك الملايين على مدى السنين جيل كامل من الشهداء والقدّيسين ، وقد بلغ من شناعة وبشاعة ما لقيه الأقباط فى مصر على يد أولئك الأباطرة أن الأقباط إزاء العدد الهائل من شهدائهم أطلقوا على تقويمهم تقويم الشهداء ، وظل هذا التقويم سارياً لديهم منذ أوائل القرن الرابع الميلادى الى اليوم .

٣ ــ الأباطرة الرومان الذين اشتد فى عهدهم اضطهاد المسيحيين :

١ ــ نيرون : (٥٤م ــ ٦٨م) :

وقد اشتهر عشرة من أباطرة الرومان على وجه الخصوص بالتمادى فى اضطهاد المسيحيين والعمل على إبادتهم والقضاء عليهم وعلى عقيدتهم . وكان أول أولئك العشرة هو نيرون الذى سبق أن شرحنا سيرته وأوضحنا مدى قسوته وجنونه . وقد رأينا كيف أن من مظاهر هذه القسوة وهذا الجنون أنه قتل أخاه وأمه أجريبينا وزوجته أوكتافيا وأستاذه سينيكا وعدداً كبيراً من الشخصيات الرومانية البارزة . وقد بدأ اضطهاده للمسيحيين فى سنة ٦٤ ميلادية وهى السنة العاشرة من حكمة . وذلك أنه فى ليلة ١٩ يوليو من هذه السنة ــ كما سبق أن ذكرنا ــ أشعل النار فى مدينة روما ليمتع نفسه المريضة برؤيتها وهى تحترق ، ولكى يبعد الشبهة عن نفسه ألصق التهمة بالمسيحيين ، فصبّ عليهم جام نقمته وجنونه ، وشن عليهم حملة شعواء فى كل انحاء الامبراطورية الرومانية ، متفننا فى تعذيبهم ، مبتدعاً أبشع الوسائل فى الفتك بهم . وقد صلب البعض منهم إمعاناً فى السخرية بالمسيح الههم . ويقول المؤرخ الرومانى تاسيتوس « إن نيرون كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات المسلوخة ويطرحهم للكلاب تنهشهم ،، ويطلى بعضهم الآخر بالقار ، ويعلّقهم على مشانق ثم يضرم فيهم النار ليجعل منهم مشاعل يستضىء بها وهو يمر بالليل . وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم » . كما أسهب فى وصف المجازر التى ارتكبها نيرون ضد المسيحيين عدد كبير آخر من المؤرخين ، ومنهم سوثونيوس وترتليانوس والقديس إكليمنضوس الرومانى . وفى أثناء هذا الإضطهاد الذى شنّه نيرون على المسيحيين استشهد فى روما القديس بولس والقديس بطرس تلميذا السيد المسيح .

وقد سبق أن ذكرنا ظروف استشهاد القديس بولس . أما القديس بطرس فيذكر العلماء المسيحيون الأوائل ، ولا سيما بابياس وإيرونيموس وترتوليانوس وأوريجانوس وكايوس ويوسابيوس وإكليمنضوس الاسكندرى أن الامبراطور الرومانى نيرون جزع من نشاط بطرس فى التبشير بالمسيحية بين أهل روما ، مما أدى إلى ايمان عدد كبير من الرومان على يديه ، فأمر بقتله مصلوباً . ولكن بطرس ــ من فرط تواضعه وقوة إيمانه ــ رأى أنه أقل شأناً من أن يصلبوه بنفس الطريقة التى سبق لليهود أن صلبوا بها سيّده ، فطلب أن يصلبوه منكّساً ليحتمل من العذاب قدراً أكبر ، ومن الهوان قدراً أوفر . وبهذه الطريقة الشديدة الإيلام والإيجاع ، نفذ الرومان حكم الموت فى ذلك الرجل العظيم الشجاع ، فمات شهيداً ، وكان ذلك فى نحو عام ٦٥ بعد الميلاد . كما أن فى عهد نيرون استشهد القديس مرقس بالاسكندرية فى ٢٦ ابريل عام ٦٨ بعد الميلاد .

وقد رأينا أن نيرون انتحر فى عام ٦٨ بعد الميلاد فجاء بعده الأباطرة جالبا وفينيليوس وفسباسيان وتيطس ، ولم يستمر عهدهم جميعاً أكثر من ثلاثة عشر عاماً ، خفّت أثناءها حدّة اضطهاد المسيحيين لانشغال أولئك الأباطرة بالصراع فيما بينهم ، ذلك الصراع الذى امتد من عام ٦٨ للميلاد حتى عام ٨١ للميلاد ، فكانت هذه فرصة هيأها الله لانتشار الديانة المسيحية فى أرجاء الامبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على كل العالم المعروف فى ذلك الحين .

٢ ــ دومتيانوس (٨١ ــ ٩٦م) :

وفى خلال عام ٨١ بعد الميلاد ارتقى عرش الامبراطورية الرومانية دومتيانوس ، وقد كان كأسلافه من الأباطرة الرومان يعتبر نفسه إلهاً وإذ بلغه أن المسيح مزمع أن يملك فى كل العالم كملك واله ، خاف أن يتم ذلك فى عهده ، ومن ثم أمعن فى اضطهاد المسيحيين وقتل كثيرين منهم ، وقد اعتبر اعتناق المسيحية جريمة ضد الامبراطورية وضد الامبراطور بالذات ، فعزم على ذبح كل المسيحيين .. إلا أنه حين أكد له العلماء المسيحيون أن المسيح لن يكون ملكاً أرضياً بل روحياً يملك على القلوب خفف عنهم وطأة الاضطهاد قليلاً . وقد كان ككل الذين سبقوه من أباطرة الرومان سفّاحاً سفّاكاً

للدماء . فكان ممن قتلهم أقرب أقربائه القنصل فلافيوس كليمنس ، كما نفى البعض الآخر وصادر ممتلكاتهم كما حدث مع دومتيلا زوجة كليمنس ، ويذكر المؤرخون ايريناوس وايرونيموس ويوسابيوس أن هذا الامبراطور أثار اضطهاداً عنيفاً على كنائس آسيا الصغرى ، وقد أشير الى ذلك فى سفر الرؤيا فى الكلام الموجّه الى ملاك كنيسة سميرنا ، وهو أسقف هذه المدينة ، إذ يقول « هوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضاً منكم فى السجن لكى تجربوا » (الرؤيا ٢:٨ــ١٠) وفى الكلام الموجه الى ملاك كنيسة برغاموس وهو أسقف هذه المدينة ، إذ يقول « أنا أعرف أعمالك وأين تسكن حيث كرسى الشيطان وأنت متمسك باسمى ولم تنكر إيمانى حتى فى الايام التى كان فيها أنتيباس شهيدى الأمين الذى قتل عندكم حيث الشيطان يسكن » (الرؤيا ٢:١٢و١٣) . ويؤكد المؤرخون المذكورون أن دومتيانسوس هو الذى أمر بإلقاء القديس يوحنا فى خلقين الزيت المغلى فى روما ، ثم عاد فنفاه الى جزيرة بطمس ، كما استشهد فى عهده أنسيموس ، وديونيسيوس الأريوباغى وكثيرون غيرهم . ولكن دومتيانوس لم يلبث أن وقع فى قبضة أعدائه وقرر مجلس الشيوخ الرومانى محو اسمه من كل السجلات والآثار حتى لا يبقى له ذكر ، كما أصدر المجلس عدة مراسيم للتشهير به ، وكان موت هذا الطاغية فى عام ٩٦ للميلاد ، ثم جاء بعده الأمبراطور نرفا فلم يستمر على العرش غير عامين ثم جاء بعده الامبراطور تراجان .

٣ ــ تراجان (٩٨ ــ ١١٧م) :

وقد جلس الامبراطور تراجان على عرش الدولة الرومانية فى عام ٩٨ للميلاد وكان من أقسى الأباطرة فى اضطهاد المسيحيين . ثم فى عام ١٠٦ للميلاد أصدر أمره الى ولاته فى كل أنحاء الامبراطورية بأن يقضوا على المسيحيين ويمنعوا اجتماعاتهم التى كانوا يعقدونها فى الخفاء ليقيموا صلواتهم ويحتفلوا بأعيادهم ، فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة . وقد استخدم هذا الامبراطور ساحة الملعب الرومانى المسمى بالكلوسيوم فى إعدام المسيحيين بالقائهم هناك الى الوحوش تمزقهم شر ممزق . وهو يتلهى بمنظرهم وهم يتحولون بين الانياب المفترسة الى أشلاء ، كما يتلهى بذلك الآلاف من الرومان الذين كانوا يحتشدون فى ذلك المدرج الكبير المقام

على مسافة كبيرة من الأرض ، والذى تتوسطه مساحة متّسعة يطلقون فيها الوحوش على المسيحيين الشهداء .

وتظهر الروح العدائية لهذا الامبراطور ضد المسيحيين من رسالة يرد بها على رسالة أرسلها اليه « بلينى » حاكم ولاية بثينيه بآسيا الصغرى بين سنتى ١٠٩ و ١١١ يقول له فيها « إنه من عادتى يا سيدى أن أرفع اليك كل أمر يخامرنى فيه شك . وما من أحد سواك فى مقدوره أن يعلمنى ويهدينى . ولما كنت لم أحضر من قبل محاكمة المسيحيين ، فإننى أجدنى جاهلاً بنوع العقاب الذى ينبغى الحكم به وبالاجراءات التى ينبغى اتخاذها والتحريات التى لابد من إجرائها . فهل يجب أن أميز فى السن بين الطفل والرجل ، وبين الضعيف والقوى ، وهل أقبل التوبة لمن يتوب وأعفو عنه أم يتحتم أن أعاقب كل من كان فى يوم من الأيام مسيحياً حتى ولو ارتد عن مسيحيته ؟ وهل أوقع العقاب لمجرد أن يكون الشخص مسيحياً أم ينبغى أن تكون ثمة شكوى ضده ، إن الطريقة التى اتبعتها أنا فى ولايتى هى أننى أسأل المقبوض عليهم عما إذا كانوا مسيحيين ، فإذا اعترفوا بذلك أسألهم مرة ثانية وثالثة نفس السؤال مهدداً إياهم بالتعذيب وبالقتل ، فإذا أصروا على اعترافهم أمرت بقتلهم ، وإذ كان بعض الذين اعتنقوا هذا الجنون مواطنين رومانيين اعتدت أن أفرزهم ، كى أرسلهم الى روما لمحاكمتهم هناك ، ولما كانت هذه الجريمة قد انتشرت انتشاراً سريعاً وفظيعاً فى كل الأنحاء ، فقد كثرت الدعاوى التى تجيئنى بهذا الخصوص . وقد وصلنى خطاب ذات يوم يتضمن اتهاماً لكثيرين بأنهم مسيحيون . فلما استدعيتهم انكر بعضهم ذلك على الفور ، ولكى يثبتوا براءتهم سجدوا أمام آلهتنا ولصورة جلالتكم ، وقدموا قرابين الخمر والبخور ، ولعنوا المسيح ، ولهذا أمرت باطلاق سراحهم . وأقر بعضهم الآخر بأنهم كانوا من قبل مسيحيين ، ولكنهم سارعوا الى الارتداد ، وسجدوا لتماثيل الآلهة ولصورة جلالتكم ، ولعنوا المسيح . وكانت جريمتهم أنهم كانوا قد اعتادوا الاجتماع ليلاً فى موعد معلوم ليرتلوا معاً ترتيلة للمسيح كما لو كان إلهاً ، ويتعاهدون فيما بينهم بقسم عظيم على عدم ارتكاب أية معصية ، وأن يمتنعوا عن السرقة والزنا وسائر الخطايا ، ثم بعد ذلك يتناولون الطعام معاً فى وقار وهدوء ، ولكن هؤلاء المسيحيين المتهمين قرروا أنهم تركوا ذلك كله منذ اعلان أمرى الذى أصدرته بناء على تعليمات

جلالتكم ، بمنع مثل هذه الاجتماعات . وإنى أكتب هذا الخطاب اليكم بعد أن انتشرت خرافة المسيحية انتشاراً عظيماً فى كل مدن وقرى آسيا الصغرى ، ومن كل سن وجنس ومركز . حتى لقد أقفرت المعابد الوثنية من المؤمنين بآلهتنا ، وإننى فى انتظار أوامر جلالتكم » فأجابه تراجان بخطاب يقول له فيه « إنك قد سلكت الطريق الصائب أيها العزيز بلينى فى معاملتك للذين جيء بهم إليك متهمين بأنهم مسيحيون ، إذ لا يمكن وضع قاعدة عامة تنطبق على كل الحالات . فإذا أنكر أحد أنه مسيحى ، وبرهن على ذلك عملياً بالتضحية لألهتنا ، فاصفح عنه بناء على توبته » .

وبناء على هذا القرار تعرض المسيحيون لاضطهادات عنيفة وقد أصاب سوريا وفلسطين ومصر على وجه الخصوص الكثير منها . ومن ذلك أن اليهود المتعصبين فى فلسطين وشوا بسمعان اسقف أورشليم فصدر الحكم عليه بالموت مصلوباً سنة ١٠٧ ميلادية ، وهو فى سن المائة والعشرين من عمره . وفى نفس هذه السنة تقريباً صدر الحكم على القديس أغناطيوس أسقف انطاكية بالموت وتم ارساله الى روما حيث القى الى الوحوش الضارية فى مسرح الكلوسيوم .

وقد توفى تراجان فى عام ١١٧ للميلاد ، ثم جاء بعده الأباطرة هادريان وأنطونيوس بيوس وفيروس . وفى عهدهم خفّت وطأة الاضطهاد بعض الشيء على المسيحيين . ثم لم تلبث أن اشتعلت ناره من جديد فى عهد ماركوس أوريليوس الذى جلس على العرش فى عام ١٦٩ للميلاد .

٤ ــ ماركوس أوريليوس (١٦٩ ــ ١٧٧م) :

جلس الامبراطور ماركوس أوريليوس على عرش الامبراطورية الرومانية فى عام ١٦٩ للميلاد ، وكان مثقفاً ثقافة عالية ولكنه كان ينظر الى العقيدة المسيحية باعتبارها خرافة سخيفة وكان ينظر الى المسيحيين باعتبارهم جهلاء متعصبين على الرغم من دفاع ميليتيوس وملتياس وأثيناغوراس عنهم . ومن ثم كان عهده حقبة مروّعة ضد المسيحية وقد أصدر أمره بإبادة جميع المسيحيين . وقد بدأ بقتل رؤسائهم . وتبدو بشاعة أعمال الاضطهاد فى هذا العهد فى رسالة كتبها بوليكاربوس أسقف أزمير يقول فيها « إن الذين

اعترفوا بمسيحيتهم ضربوا ضرباً عنيفاً بالسياط حتى ظهرت عروقهم ، ولكنهم فى معمعان هذا العذاب كانوا ثابتين لا يبدون ألماً ، فى حين أن الحاضرين كانت تنفطر قلوبهم إشفاقاً عليهم .. والذين حكم عليهم بأن يطرحوا للوحوش قاسوا أشد العذاب فى السجن وهم ينتظرون اليوم المعين لاستشهادهم ، إذ كان السجانون يطرحونهم وهم عراة على حجارة مسنونة ، فتنبثق الدماء من أجسادهم . ولكن الله كان يؤازرهم بنعمته فيصبرون ويتشجعون فى هذا العذاب الفظيع » . وكان من أولئك الشهداء شاب يدعى جيرمانيكوس كان دائباً على تشجيع الآخرين ، فحاول الحاكم أن يغريه بالوعود كى ينكر إيمانه ، ولكنه ألقى بنفسه بين أنياب الأسود ، مفضلاً اياها على انكار عقيدته . وكان من أولئك الشهداء كذلك الفيلسوف يوستينوس الذى طالما دافع عن المسيحيين ولا سيما أمام اليهود والوثنيين ، لأنه كان ملماً بفلسفاتهم ، كما أنه كان يداوم الاحتجاج على الظلم الواقع على المسيحيين من الولاة .. وكان الشعب الوثنى يتهم المسيحيين بإغضاب الآلهة ، مما أدى فى اعتقادهم بهذه الآلهة الى إثارة كثير من كوارث الطبيعة . ومن ذلك الفيضان المدمر فى نهر التيبر ، والزلزال المروع الذى أدى الى تخريب مدن بأسرها ، ووباء الطاعون الذى انتشر من أثيوبيا الى بلاد الغال التى هى فرنسا الحالية ومنها الى إيطاليا ، وقد نجم عن ذلك أن الوثنيين صبوا جام غضبهم على المسيحيين ، واستخدموا الوحشية فى اضطهادهم . وقد أبدى الفرح لهذا الاضطهاد الفيلسوف الوثنى كلسوس الذى هاجم المسيحية بعنف فى كتاب فنده فيما بعد الفيلسوف القبطى أوريجانوس .

وفى عهد ماركوس أوريليوس تعرضت كنائس ليون وفينا وجنوب فرنسا لمحنة شديدة ، إذ اضطر العبيد الوثنيون تحت تهديد الحكام الى اتهام سادتهم المسيحيين بارتكاب رذائل قبيحة كانت قوانين الدولة تحرّمها . ومن مشاهير الضحايا فى هذا الاضطهاد الأسقف يوثينوس . وكان عند استشهاده شيخاً فى التسعين من عمره . كما استشهدت فى هذا الاضطهاد بليدينا التى أظهرت أثناء تعذيبها من قوة الاحتمال ما يفوق قدرة البشر ، وأخيراً القيت الى وحش ضار افترسها . وكذلك الصبى يونتيكوس الذى احتمل أقسى صور الوحشية ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة

من عمره . وقد ملأت جثث الضحايا كل الطرقات ، فأحرقها الدهماء والقوا رمادها فى نهر الرون بحجة عدم تنجيس الأرض ببقايا أعداء الآلهة .

وقد مات ماركوس أوريليوس فى عام ١٨٠ للميلاد ، فخلفه على عرش الامبراطورية الرومانية كومودوس حتى عام ١٩٢ ثم اشتد الاضطهاد فى عهد سبتيموس سافيروس .

٥ ــ سبتيموس سافيروس (١٩٣ ــ ٢٠٩ للميلاد) :

وقد اشتد الاضطهاد فى عهد الامبراطور سبتيموس سافيروس سنة ١٩٣ ميلادية ، وازداد عدد الشهداء فى أيامه زيادة مروّعة . وقد كان ممن قتل فى تلك الأيام إريناوس أسقف ليون . وليونيداس والد العلاّمة القبطى أوريجانوس . كما كان ممن قتلوا فى تلك الأيام عدد كبير من النساء ، ومنهن بوتامينا العذراء العفيفة ، وبرباتوا وميليتاس اللتان استشهدتا فى قرطاجنة بشمال افريقيا . ونورد هنا تفصيل ما قالته برباتوا عن استشهادها كمثال لما كان يحدث فى هذه المآسى الفاجعة ، إذ كتبت تقول « حين قبض الجند علينا اندفع أبى نحوى ، وكان مايزال وثنياً ، وحاول إقناعى بإنكار إيمانى ، فلما رفضت ثار وكاد فى ثورته أن يفقأ عينىّ ، ولكنه لم يلبث أن تراجع خجلاً ، ثم تركنى بضعة أيام كنت فى غضونها هادئة مواظبة على الصلاة . ثم لم نلبث أن نقلنا الى سجن آخر كريه الرائحة ، فارتعدت فرائصى ، لأننى لم أكن قد شاهدت من قبل مكاناً تتقزز منه النفس كهذا المكان ، وقد كدت أختنق من نتانة الرائحة ووحشية الجنود ، فضلاً عن انزعاجى لابتعاد أبى عنى ، فلما جاءوا به نقلونى الى سجن آخر أقل فظاعة ، فرحت أهتم بإرضاع طفلى الذى كان قد أشرف على الموت من شدة الجوع والعطش ، حتى زارتنى أمى فسلمتها إياه وأوصيتها به . وكنت أزداد حزنا حين أرى أقاربى يتوجعّون من أجلى . ومكثت فى هذه الحال المؤلمة تتنازعنى الهواجس ، حتى حدث أن أخى المسجون معى قال لى : ان لك حظوة عند إلهنا ، فاطلبى منه أن يكشف لك عما إذا كنت مزمعة أن تموتى أو يطلق سراحك ، فأجبت طلبه وصلّيت ، حتى إذا انتهيت من صلاتى رأيت سلّماً منيراً مرتفعاً نحو السماء يحيط بجانبيه سياج من السيوف والحراب والخناجر ، وفى أسفله تنيّن فاتح فاه على أهبة الاستعداد لأن يفترس

من يتقدم للصعود على السلم ، ورأيت كأن أخي صعد عليه ، ثم نادانى قائلاً يا أختى إننى فى انتظارك ولكن احترسى من التنين . فأجبته بأنى بمعونة إلهى لا أخافه . ثم تقدمت نحو التنيّن ، ووضعت قدمى على رأسه وبدأت فى الصعود على السلم حتى بلغت نهايته ، وهناك رأيت جنة فسيحة ، ينتظرنى فى وسطها إنسان فى هيئة راع . ويحيط به جمهور من الناس بثياب بيض ، فما رآنى حتى رحّب بى فرحاً وقال لى : أهلاً يا ابنتى . ثم وضع فى فمى طعاماً شهياً . وفى الصباح قصصت هذه الرؤيا على أخى ففسرها بأننا كلينا سنموت شهيدين ، ومن ثم تأهبنا للعذاب . وبعد أيام قليلة سمعنا أن موعد المحاكمة قد اقترب ، ثم جاء أبى الى السجن حزيناً وراح يقول لى : يا إبنتى ارحمى شيخوختى ، أنا الذى ربّيتك بأتعاب كثيرة ، ولا تلطّخى شيخوختى بالعار ، وراعى خاطر أملك ، وفكّرى فى إبنك الذى لا يقدر أن يعيش بدونك .. وكان أبى وهو يقول ذلك لا يكفّ عن تقبيل يدى وقدمى ويبلّلها بدموعه ، حتى جرح قلبى من فرط حزنه . غير أننى لبثت صابرة وصامدة فلم أتزعزع وقلت له : حتى تأتى المحاكمة فليفعل الله بى ما يسرّه . ثم مضى أبى . وفى اليوم التالى بينما كنت أتناول الطعام جاء الجنود وأخذونى الى مجلس الحاكم حيث كان المكان غاصّاً بالناس . فلما سأل الحاكم رفاقى عن ديانتهم أجابوه بغير مبالاة بأنهم مسيحيون — حتى إذا جاء دورى حضر أبى بغتة يحمل على ذراعه ولدى ، وسحبنى من مكانى وأخذ يرجونى فى إلحاح شديد أن أنكر المسيح ، وكان الحاكم يساعده قائلاً لى : ارحمى شيخوخة أبيك وأشفقى على ولدك وقدّمى ذبيحة للآلهة ، فأجبته بأنى لا أقدّم ذبيحة لغير يسوع المسيح إلهى . فقال لى : إذن أنت مسيحية ؟ فأجبته : نعم . وعند هذا حاول أبى أن يجذبنى بعيداً ويخرجنى من أمام الحاكم ، فانتهره الحاكم وأمره بالخروج ، فلما توقف انهال عليه يضربه بالسياط . وكنت بينذاك أشعر أن الضربات نازلة على جسمى أنا ، وكدت أموت حزناً وكمداً . ثم لم يلبث الحاكم أن أصدر الحكم علينا بأن نطرح للوحوش . وأعادونا الى السجن فعدنا فرحين . ولكن فرحنا كان مشوباً بالأسى لأن إحدى زميلاتنا كانت حبلى منذ ثمانية أشهر ، وكانت تخشى أن يوقفوا تنفيذ الحكم عليها حتى تلد . وقبيل موعد العذاب قمنا جميعنا للصلاة متوسلين الى الله أن يمنّ على زميلتنا بسرعة الولادة . وفعلاً استجاب الله لنا وأتى زميلتنا المخاض على الفور ،

وكانت الآم الولادة شديدة عليها . فلما شاهدها أحد الجنود تتوجع قال لها : إذا كانت هذه هى أوجاعك الآن من الولادة ، فياترى كم يكون عذابك حين تمزّق الوحوش أشلاءك ؟ ثم ولدت هذه البائسة ابنة فأخذتها امرأة مسيحية . أما حارس السجن فعمل معنا معروفاً ، إذ سمح لكل من يريد زيارتنا بالدخول الينا . ومن ثم دخل أبى لآخر مرة وراح يبذل آخر مالديه من جهد لإقناعى بالعدول عن تشبثى بإيمانى ، وقد انطرح على وجهه امامى لاعناً شيخوخته فى صراخ وعويل مزق أحشائى من شدة الألم . غير أننى تجلدت وقد ساعدتنى نعمة سيدى وإلهى فى هذه المحنة القاسية » . ثم فى اليوم المخصص للتعذيب أخرجوا المحكوم عليهم الى مكان خاص بالجموع . وكان المحكوم عليهم هم برباتوا وزميلتها التى عانت آلام الوضع وأخوها المسمى ساتورس ، ومسيحى آخر يسمى ورستيكوس ، وشابّان آخران ، وسألهم الحاكم للمرة الأخيرة فاعترفوا بأنهم مسيحيون ، وحينئذ أطلق عليهم الوحوش فمزقتهم شر تمزيق .

وقد كتب ترتليانوس فى ذلك الوقت رسائل احتجاج الى الامبراطور سافيروس يدافع فيها عن المسيحيين ، وكان قساً نشأ فى قرطاجنة وكان محامياً مشهوراً واعتنق المسيحية فى سنة ١٩٠ ميلادية ــ وقال إكليمنضوس الاسكندرى عن ذلك العهد « إن كثيرين من الشهداء كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون أمام أعيننا كل يوم » . وفى عام ٢٠٢ للميلاد أصدر سبتيموس سافيروس مرسوماً يقضى بمنع المسيحيين من تبشير غيرهم ، ومن ثم حلت أشد الاضطهادات بالمسيحيين ولا سيما فى مصر وشمال أفريقيا .

وقد توفى سبتيموس سافيروس فى عام ٢١١ للميلاد ، وجاء بعده الامبراطور كاراكلا .

٦ ــ كاراكلا (٢١٢ ــ ٢١٧م) :

كان كاراكلا شريكاً للامبراطور سبتيموس سافيروس فى الحكم ، حتى إذا توفى هذا الأخير انفرد كاراكلا بالسلطان منذ عام ٢١٢ للميلاد . وقد بدأ حكمه بمعاملة المسيحيين بشىء من التسامح ، لأنه كان ربيب امرأة مسيحية ، وكان المسيحيون فى البداية يسمونه نصف مسيحى ، ولكنه سرعان ما تنكر للمسيحيين وضاعف عليهم

الجزية فى مصر . وقضى عليهم بأنهم إذا قاوموا الحكومة يعاقبون بالصلب أو يطرحون للوحوش . وقد فتك بمالا يقل عن عشرين الفاً من المسيحيين .

ومن الجنايات البشعة التى ارتكبها هذا الامبراطور ضد المسيحيين المصريين أنه أقام احتفالاً خارج الإسكندرية ، فلما احتشد أهالى المدينة لمشاهدته أشار الى جنوده فجردوا أسلحتهم وذبحوا جميع الحاضرين فى وحشية لا مثيل لها . فلم ينج منهم إلا القليل .

وفى آخر عهد كاراكلا اضطرب عقله فراح يتشبه بالإسكندر الأكبر المقدونى ، وراح يرتدى ملابس تشبه ملابسه . ويقلّده فى حركاته وعاداته ، واتخذ لنفسه ستة آلاف جندى مقدونى وراح يغزو الممالك كما كان يفعل الاسكندر ، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً ، حتى إذا سئم جنوده من جنونه ثاروا عليه وقتلوه . فجاء بعده على العرش الامبراطور جابالوس ، ثم الاسكندر ، و لم تتجاوز مدة حكمهما معاً ثمانية عشر عاماً ، ثم جاء بعدهما الامبراطور مكسيميانوس .

٧ ــ مكسيميانوس (٢٣٦ ــ٢٣٨م) :

ما أن جلس مكسيميانوس على عرش الامبراطورية الرومانية فى عام ٢٣٦ للميلاد حتى شرع فى اضطهاد المسيحيين اضطهاداً مروعاً ولا سيما فى مصر . وكان فى معاملتهم بربرياً قاسياً ، فاستشهد كثيرون فى عهده ، واضطر كثيرون الى الفرار من وجهه ، ومنهم البابا ياروكلاس بطريرك الاسكندرية . وقد أطلق على المسيحيين غضب الدهماء عليهم بدعوى أنهم أعداء للآلهة الوثنية . وقد عامل رجال الدين المسيحيين معاملة وحشية ، فقتل كل من وقع تحت يده منهم .

وقد حاول مكسيميانوس فى أواخر أيامه أن ينتحر ، فتناول السم ، ولكن السمّ لم يؤثر عليه تأثيراً قاتلاً لقوّته البدنية . غير أنه ظهرت عليه أعراض تشبه أعراض الطاعون . ومن شدة الآلام التى حلّت به كانت تنتابه نوبات يفقد فيها عقله ، فكان

يلتهم تراب الأرض . ثم فى إحدى النوبات دقّ رأسه بعنف فى الحائط فجحظت عيناه وفقد بصره ، وكان يتخيّل أنه يرى الله وأنه موضوع على آلة تعذيب فيصيح « أنا برىء » وينتحب ويتضرّع الى المسيح أن يرحمه ، وهكذا لفظ انفاسه الأخيرة فى عام ٢٣٨ للميلاد ، فخلفه الامبراطور جورديانس ، ثم فيليب . ولم تتجاوز مدة حكمهما معاً عشر سنوات ثم جاء بعدهما الامبراطور ديسيوس .

٨ ــ ديسيوس (٢٤٩ ــ ٢٥١م) :

وقد صمم الامبراطور ديسيوس منذ أن جلس على عرش الامبراطورية الرومانية فى عام ٢٤٩ للميلاد على استئصال المسيحية من العالم كله ، فأصدر فى عام ٢٥٠ مرسوماً وجّهه الى جميع حكام الولايات فى كل أنحاء الامبراطورية يحتم عليهم فيه ضرورة اعادة الديانة الوثنية للدولة الى مكانتها الأولى مهما كلفهم الأمر . وقد استخدم حكام الولايات كل ألوان العنف والعسف والوحشية لحمل المسيحيين على الارتداد عن عقيدتهم ، وقد نكلوا بهم تنكيلاً لم يسبق له مثيل وتفنّنوا فى تعذيبهم بوسائل تقشعر من هولها الأبدان . ولكن جموع المسيحيين اندفعوا فى غيرة وحماسة وشجاعة مذهلة للاستشهاد فى سبيل الاحتفاظ بعقيدتهم . ويقول القديس يوسابيوس القيصرى أنه فى فترة من فترات ذلك العهد استشهد عشرة آلاف مسيحى دفعة واحدة ، ثم يقول « إننى رأيت عدداً كبيراً يقتل فى أحد الأيام ، حتى أن السيوف من كثرة ما استعملت فى ذلك اليوم تهشمت ولم تعد تقطع ، بينما أنهك التعب الجلاّدين ، فكانوا يتناوبون حتى يعمل البعض منهم ويستريح الآخرون » . ويقول القديس ديونسيوس بابا الاسكندرية الرابع عشر عن ذلك الاضطهاد « إنه كان من الفظاعة والبشاعة حتى لقد كان كفيلاً بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكاً وثباتاً » ثم يصف بعض حوادث التنكيل فيقول « أمسك الوثنيون رجلاً هرماً يدعى مترا ، وطلبوا اليه أن ينكر المسيح ، فرفض الرجل طلبهم ، فانقضّوا عليه كالوحوش وراحوا يضربونه ضرباً مبرحاً ويدفعون مناخس فى وجهه وعينيه ، وهو ثابت القلب . فلما يئسوا منه سحبوه الى خارج المدينة وراحوا يرجمونه بالحجارة حتى مات . ثم اندفعوا الى منازل المسيحيين فنهبوها واشعلوا فيها النار . وأخذوا عذراء فاضلة اسمها أبولونيا وحطّموا عظامها وهدّدوها بالحرق ان لم

تنطق بكلمات الكفر بإيمانها ، فتجلّدت وثبتت فطرحوها فى النار حتى صارت رماداً . وأمسكوا رجلاً آخر اسمه سرابيون وأذاقوه عذاباً يقصر القلم عن وصفه حتى سحقوا عظامه سحقاً ، وأخيراً طرحوه من ارتفاع شاهق فتحطّم ومات .. واذا سار الانسان ليلاً أو نهاراً فى الشوارع والأزقه لا يسمع إلا ضجيج قوم يهدّدون ويتوعدون ويعذّبون كل من يرفض أن يجحد إيمانه وينكر مسيحه . ولا يرى المرء إلا أبراراً يجرّهم الأشرار على وجوههم ثم يطرحونهم فى النار المتقدة فيحترقون كالهشيم » .

ويقول القديس ديونيسيوس كذلك « إن الخوف عمّ الجميع ، وقد فصل المسيحيون جميعاً من خدمة الحكومة ، مهما كانت كفاءتهم أو مقدرتهم فى عملهم . وكان الوثنيون يشون بالمسيحيين ويرشدون عنهم فيؤتى بهم فى الحال ويطلب إليهم تقديم الذبائح للأوثان . ومن أولئك الأتقياء رجل اسمه يوليانوس كان مقعداً فحمله رجلان الى دار الحكم وطلبوا اليه أن ينكر ايمانه فرفض ، وعندئذ حملوه على جمل وطافوا به شوارع الاسكندرية وهم يجلدونه بالسياط ، ثم أخيراً طرحوه فى لهيب النار فظل يحترق حتى مات » .

كما يقول العلاّمة القبطى أوريجانوس عن هذا الاضطهاد إنه « كان المقصود به القضاء على المسيحية قضاءاً تاماً واستئصال المسيحيين فى كل مكان » . ويقول « إن القضاة كانوا يتميزّون غيظاً إذا تحمّل المسيحى ألوان العذاب المريع بشجاعة واستبسال ، فى حين أنهم كانوا يبدون من السرور ما لا حدّ له إذا ظفروا بمسيحى واحد يضعف أمام الإرهاب ويخر ساجداً للأوثان » .

وقد كتب المسيحيون المعترفون من سجنهم فى روما الى القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة وإخوتهم فى أفريقيا أثناء هذا الاضطهاد يقولون « ماذا يكون أكثر مجداً ؟! هل يمكن أن تهب نعمة الله للإنسان نصيباً أكثر مجداً وبركة من أن يعترف بالرب يسوع وسط العذابات ، وفى مواجهة الموت ذاته ، وأن يصبح شريكاً فى الآلام مع المسيح وباسمه ؟ إننا مع أننا لم نبذل دمنا بعد ، مستعدّون أن نبذل هذا الدم ، وإننا نضرع اليك أيها العزيز كبريانوس أن تصلّى عناّ الى الرب قائدنا الأعظم كى يقوّى كل واحد منا ، وأن يقودنا فى النهاية الى ساحة الاستشهاد كجنود أمناء مسلحين بالاسلحة المقدّسة التى لا يمكن لأحد أن يتغلّب عليها أو يقهرها » .

وكانت السلطات أكثر قسوة ووحشية مع رؤساء الكنائس وخدّامها . ومن الذين استشهدوا أثناء هذا الاضطهاد القديس مرقوريوس المعروف بأبى سيفين ، وفابيانوس الرومانى ، وبابيلاس الأنطاكى ، واسكندر الأورشليمى .

وبسبب فظاعة ذلك الاضطهاد وما كان يتخلله من ألوان العذاب والآلام والأوجاع القاتلة ، خانت الشجاعة بعض المسيحيين فقدّموا الى السلطات شهادات تثبت أنهم قدّموا الذبائح للآلهة الوثنية كى تطلق سراحهم . وقد تم العثور فى الفيوم سنة ١٨٩٣ على أحدى هذه الشهادات ، وقد جاء بها « إلى مأمورى الذبائح فى قرية جزيرة اسكندر ، من أوريليوس ديوجينيس ، إبن استابوس ، من قرية جزيرة اسكندر ، وله من العمر أثنان وسبعون سنة ، وتميزه ندبه فوق حاجبه : إننى أقرر أننى كنت أضحى دائماً للآلهة . وقد فعلت ذلك الآن فى حضوركم طبقاً لنص المرسوم . لقد قمت بالتضحية وسكبت السكائب ، وذقت الذبائح . فألتمس أن تشهدوا بذلك والسلام » وفى نهاية هذه الشهادة تذييل من المأمور مكتوب فيه « أشهد أنى رأيته يقدم ذبيحة للآلهة » . والتوقيع ، أوريليوس سيروس » والتاريخ ٢٥ أبيب من السنة الأولى للأمبراطور ديسيوس » (وهو يوافق ٢٦ يونية سنة ٢٥٠ ميلادية) .

وقد حدث أن الامبراطور ديسيوس فى أحد حملاته على المتبربرين سقط فى أيديهم ، فذبحوه هو وابنه وعدداً كبيراً من قواد جيشه . وألقوا بهم فى الخلاء فنهشت أجسادهم الطيور الجارحة .

٩ ــ فاليريان (٢٥٣ ــ ٢٦٠م) :

جلس الامبراطور فاليريان على عرش الامبراطورية الرومانية فى عام ٢٥٣ للميلاد ، وكان فى بداية عهده متسامحاً نحو المسيحيين ، ثم لم يلبث أن تغيّر نحوهم ، فأصدر أمره بقتلهم ، وأرسل الى مجلس الشيوخ الرومانى تعليمات تقضى بإعدام كل رجال الاكليروس ، من أساقفة وشمامسة وقساوسة ، وراح يجرّد المسيحيين من أعضاء مجلس الشيوخ والرجال البارزين والفرسان من ألقابهم وممتلكاتهم ، فإذا أصرّوا على التمسك بإيمانهم المسيحى أطاح برؤوسهم ، أما النساء المتزوجات فيجرّدن من أملاكهن ويتم

نفيهن . وأما صغار المواطنين ممن يعترفون بالمسيحية فكان مصيرهم أن يقيدّوا بالسلاسل ويرسلوا للعمل فى ضياع الأمبراطور . وكان الوثنيون فى عصر هذا الامبراطور يشقّون بطون الأطفال المسيحيين أمام والديهم إمعاناً فى تعذيبهم والانتقام منهم .

وقد كتب البابا ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية عما كان من فظائع هذا العهد يقول « لقد أصبح الوقت الحاضر كغيره من الأوقات الغابرة ، وقد أصبحت سيان عندنا أوقات الحزن والغم وأوقات الفرح والسرور التى لا يكاد يراها أحد ولو فى المنام لكثرة توالى المصائب وتتابع النكبات ، حتى أصبح الإنسان لا يقع نظره الا على عيون دامعة وقلوب مفجوعة على أناس أتقياء كثيرين ماتوا . فلو أنك مررت اليوم فى المدينة ، إذن لسمعت التنهدات والزفرات يكاد القلب ينفطر منها ألماً ووجيعة على قوم مشرفين على الهلاك ، يرون أبواب القبور فتوحة أمامهم تكاد أن تبتلعهم قبل أن تفارق الروح أجسامهم ، حتى أصبحنا فى زمن أشبه بالزمن الذى مات فيه كل بكر فى أرض مصر فى أيام موسى . فلم يخل بيت من البكاء والعويل ، لأنه يوجد ميت على الأقل فى كل بيت . وكنت أتمنى لو يكون هذا هو كل البلاء ، ولو يقف المصاب عند هذا الحد ، مع ما حدث من أهوال تشيب لها النواحى . بل زادوا على ذلك انهم طردونا طرداً من ديارنا وراحوا يضيّقون الخناق علينا حتى هلك أكثر من بقى منا . ومع ذلك فإننا لم نترك حقلاً ولا مغارة ولا سفينة ولا سجناً إلا اجتمعنا فيه منادين بكلمة الرب . » . كما كتب يقول « ومالبث أن داهمنا وباء فتاّل أصاب المسيحيين والوثنيين معاً ، فكنا نواسى الوثنيين ونعطف عليهم ، معتبرين أياهم اخوتنا فى الأنسانية . وقد انقطع المسيحيون الى تمريض المصابين وسد حاجات المعوزين ، وكانوا أحياناً يصابون بالعدوى منهم ويموتون بدلاً عنهم ، وهكذا مات كثيرون من المسيحيين فداءاً عن المرضى من الوثنيين » .

ومن أشهر شهداء ذلك العصر سكستوس الثانى أسقف روما ، وكبريانوس أسقف قرطاجنة ، وقد لقى البابا ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية فى ذلك الاضطهاد عذاباً شديداً ثم أبعد منفياً عن مركز كرسيه .

وقد كانت نهاية الامبراطور فاليريان بشعة كأعماله ، إذ أسره أعداؤه الفرس ،

وأمضى بقية حياته كعبد . وقد قيل أن سابور ملك الفرس كان حين يريدأن أن يركب عربته أو يمتطى جواده ، يأمر بإحضاره كى ينحنى حتى يضع قدمه على ظهره ليعتلى العربة أو الجواد . وكثيراً ما كان يحضره أمامه ليسخر منه . وقد أنهى حياته فى الأسى ، فلما مات أصدر سابور أمره فسلخوا جلده ، وصبغوه باللون الأحمر القرمزى ، وعلّقوه فى معبد آلهة الفرس ، تذكاراً للنصر العظيم الذى أحرزته فارس على الدولة الرومانية . وقد جلس على عرش الدولة الرومانية بعده الامبراطور جالينوس ، ثم كلوديوس الثانى ، ثم أدرليان الذى جلس على العرش فى عام ٢٧٠ للميلاد . فما أن تولى الحكم حتى أصدر منشورات ومراسيم تقضى بقتل المسيحيين جميعاً . ولكن قبل أن تصل هذه المنشورات والمراسيم الى الولايات النائية ذبحه أصدقاؤه المقربون . وكان موته فى عام ٢٧٥ للميلاد ثم جلس على العرش بعده بروبوس ، ثم كارينوس ، ولم تستمر مدة حكمهما أكثر من أحد عشر عاماً . ثم جاء بعدهما دقلديانوس .

١٠ ــ دقلديانوس وأعوانه (٢٨٤ ــ ٣٠٥م) :

كان دقلديانوس ابناً لأبوين مغمورين ، وقيل أنهما كانا عبدين ، وقد وصل بذكائه ودهائه الى اغتصاب منصب الامبراطور فى عام ٢٨٦ للميلاد . ونظراً لاتساع أرجاء الامبراطورية . عين مكسيميانوس هيراكليوس معاوناً له فى الولايات الغربية برتبة قيصر ، ثم رقاه الى رتبة « أوغسطس » ، وهى نفس رتبة دقلديانوس نفسه ، فأصبح مكسيميانوس بذلك امبراطوراً للغرب ، بينما اختص دقلديانوس بحكم الشرق . ثم قام دقلديانوس بتعيين مساعد له ومساعد لمكسيمانوس برتبة قيصر لتدعيم حكم الامبراطورية المترامية الأطراف .. فعين معه جاليريوس قيصراً للشرق ، وعين قنسطنطين كلوروس قيصراً للغرب : فاختص مكسيميانوس بحكم ايطاليا وأفريقيا . واختص جاليريوس بحكم شواطىء الدانوب وبعد ذلك حكم الشرق .. واختص قنسطنطينوس وهو والد الامبراطور قسطنطين الكبير بحكم غاليا وهى فرنسا الحالية وأسبانيا وبريطانيا . واختص دقلديانوس نفسه بحكم آسيا ومصر وتراقيا ، وجعل مقره فى نيقوميديا بآسيا الصغرى .

وكان دقلديانوس يعتبر نفسه إلهاً وسيداً للعالم . كما كان يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للإله جوبيتر ، ولم يكن يسمح لأى أحد بأن يقترب منه إلا وهو راكع على ركبتيه وقد لامست جبهته الأرض ، بينما يكون هو جالساً على عرشه فى ثيابه الامبراطورية الفاخرة . وعلى الرغم من كفاءة دقلديانوس الحربية والادارية كان يستشير العرّافين وكهنة الأوثان قبل البدء فى أى مشروع . وقد استهلّ عهده بإصدار عدة تشريعات تهدف الى اصلاح الدولة والابقاء على هيبتها . وكان فى البداية مسالماً للمسيحيين ، وظل خلال العشرين سنة الأولى من حكمه يحترم منشور التسامح الدينى الذى كان قد أصدره سلفه كارينوس ، وقد كان معظم ضباط قصره وعبيده فى البداية من المسيحيين فضلاً عن عدد كبير من الاداريين فى الدولة . بل لقد قيل إن زوجته بريسكا وابنته فاليريا كانتا مسيحيتين أو على الأقل تعطفان على المسيحيين . ولكن كهنة الوثنيين الذين فزعوا من انتشار المسيحية وخشوا أن يفقدوا سلطاتهم ومراكزهم صمموا على أن يعملوا كل ما فى استطاعتهم لوقف انتشار الإيمان الجديد ، فانتهزوا فرصة اعتقاد دقلديانوس بالسحر وأقوال العرّافين ، وأفهموه أن الآلهة لا تعينه فى أوقات الضيق بسبب المسيحيين ، وقد حدث ذات مرة أن كان الامبراطور على رأس جيشه فى الشرق ، فاستشار العرّاف ولكنه لم يظفر منه بأى إجابة ، ومن ثم انتهز كهنة الأوثان الفرصة وأدخلوا فى روعه أن المسيحيين منعوا الآلهة من إعطاء أى رد على سؤاله فاشتد الحنق بالامبراطور وقرر أن يمحو كل المسيحيين من على وجه الأرض .

بيد أن لاكتانيوس الذى كان معاصراً لدقلديانوس يقول أن اضطهاد دقلديانوس بعد ذلك للمسيحيين قد حدث بتأثير جاليريوس مساعده وزوج ابنته فاليريا ، الذى كان وثنياً متعصباً شرساً ، وكان يستحث دقلديانوس على سحق الكنيسة المسيحية ، بدعوى أنها أصبحت دولة داخل الدولة ، ومن ثم أصدر دقلديانوس فى ٢٤ فبراير سنة ٣٠٣ منشوراً يقضى بهدم الكنائس وحرق الكتب المقدسة المسيحية والزج بجميع رجال الدين المسيحيين فى السجون واكراههم على السجود لتمثال الإله ، وطرد جميع ذوى المناصب الرفيعة من المسيحيين وحرمانهم من الحقوق المدنية . وقد بدأ تنفيذ هذا المنشور فى نفس يوم صدوره ، فهدمت كنيسة نيقوميديا الجميلة التى كانت قائمة على أحد التلال فى مواجهة القصر الامبراطورى . وعلّق المنشور على حوائط قصر

دقلديانوس ، فتقدم فارس شاب مسيحى ومزقه ، فكان جزاؤه التعذيب ثم الموت حرقاً . والمعروف أن هذا الفارس الشاب هو مارجرجس الكبادوكى الشهيد . وسرعان ما سرت موجات الاضطهاد الى كل ولايات الامبراطـورية . وقد قدّر عدد الذين استشهدوا حينذاك بنحو مائة وأربعة وأربعين الفاً . ثم لم يلبث الاضطهاد أن ازداد حدة وشراسة بعد أن اندلع الحريق مرتين متواليتين فى قصر دقلديانوس . وقد اتهم جاليريوس موظفى القصر المسيحيين بتدبير هذا الحريق ومحاولة قتله هو ودقلديانوس . غير ن لاكتانيوس ينسب تدبير حادثتى الحريق الى جاليريوس نفسه ، قائلاً انه افتعلهما لأثارة دقلديانوس ضد المسيحيين .

وفعلاً أصدر دقلديانوس بعد منشوره الأول منشورين آخرين متلاحقين ، يقضى أولهما بسجن جميع رؤساء الكنائس ، ويقضى الثانى بتعذيبهم عذاباً أليماً حتى ينكروا إيمانهم المسيحى . ثم بعد ذلك أصدر مكسميانوس المنشور الرابع وهو أسوأ هذه المنشورات وأكثرها وحشية ، ويقضى بإرغام جميع المسيحيين فى كل أنحاء الامبراطورية على أن يضحوّا للآلهة الوثنية وإلا عوقبوا بالموت . وكان دقلديانوس قد وثق فى مكسيمينوس دازا وهو ابن أخى جاليريوس فرفعه الى رتبة قيصر وأطلق يده فى حكم سوريا ومصر . ويعتبر هذا الرجل أفظع الحكام الذين نكلوا بالمسيحيين ، وقد أصدر منشوراً خامساً يقضى بسرعة اعادة بناء مذابح الأوثان ، وأن يقدم جميع الرجال والنساء والأولاد وحتى الأطفال الذبائح والسكائب للآلهة الوثنية ، مع أكراههم على تذوق هذه التقدمات ، وتدنيس الأطعمة التى تباع فى الأسواق بسكائب الذبائح ، وأن يقف الحراس أمام الحمامات ليدنسوا بدم الذبائح الوثنية كل من يدخل للاغتسال فيها . فلم يكن أمام المسيحيين ألا أن يموتوا شهداء أو يموتوا جوعاً ، أو يجحدوا الإيمان .

ويعتبر عهد دقلديانوس أقسى عهود اضطهاد المسيحيين ولا سيما الأقباط فى مصر . فقد أصدر هذا الامبراطور أمره بتجريد حملة على مصر لقتل المسيحيين فيها حتى تسيل دماؤهم فتصل الى ركبة فرسه حين يأتى اليها ويمر بطرقاتها ، وقد جاء فى كتاب للقديس أثناسيوس بابا الاسكندرية فى ذلك العصر أنه . فى شهر مارس سنة ٣٠٣ استعد الأقباط للاحتفال بعيد القيامة المجيد بكل ما لطقوس هذا الاحتفال من رونق وبهاء ، ولاسيما

أن هذا العيد كان مناسبة لمنح عدد كبير من الموعوظين سرّ العماد المقدس . وفجأة سرى وسط الاستعدادات العظيمة لهذا العيد نبأ مروّع سقط كالصاعقة على الأقباط ، وهو أن الامبراطور دقلديانوس أصدر أمره بهدم كل الكنائس المسيحية . ولم يلبث أن ظهر فى الصباح رئيس الشرطة على رأس قوة من رجاله أمام مبنى الكنيسة ، ثم راحوا يحطمون أبوابها ويشعلون النار فى كتبها المقدسة . ويتركون أثاث الكنيسة للسلب والنهب . ثم لم يلبثوا أن هدموا مبنى الكنيسة من أساسه ثم أصدر الامبراطور فى اليوم التالى مرسوماً بتحريم ممارسة الشعائر الدينية المسيحية . مع تهديد من يقاوم ذلك بالموت . وقد ارتاب كثيرون فى بداية الأمر فى هذه الأنباء ، بيد أن صحتها لم تلبث أن ظهرت سريعاً . وقد ذاع خبر إرغام الامبراطورة وابنتها على تقديم الذبائح للآلهة ، واعلان قطع رأس أسقف نيقدميديا وهى مقر البلاط الامبراطورى . وإذ قامت مظاهرات صاخبة فى انطاكية ضد هذا المرسوم تم قمعها على الفور بكل قسوة ، وقد استشهد عدد كبير من المسيحيين . ولم يلبث القرار الامبراطورى أن وصل الى الاسكندرية ، وقد تضمّن الأمر للموظفين المسيحيين بإنكار عقيدتهم وإلا تعرّضوا للفصل من وظائفهم . ثم وصل القرار الثانى بسجن جميع رجال الاكليروس . ثم وصل القرار الثالث بتعذيب كل من يتمسك بالعقيدة المسيحية . وبذلك زال كل شك ، وتأكد للجميع أن الاضطهاد قد عاد بكل قوته وعنفه . واذ عجز الحكام عن مطاردة المسيحيين لانتشار الديانة المسيحية فى كل مكان ، أقام دقلديانوس أبشع عهد من عهود الاضطهاد . وقد صدر الأمر بمنع اقامة الشعائر المسيحية منعاً باتاً . وتم طرد جميع رجال الاكليروس وجميع رجال الجيش المسيحيين من وظائفهم . وقد أصبح التجسس وأصبحت الوشاية بالمسيحيين هى الدليل على الولاء للدولة . وقد أوصى الامبراطور كل الحكام وكل القضاة بانتزاع الاعترافات من المسيحيين بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة . حتى إذا ما اعترفوا يأمرونهم برفع البخور أمام الآلهة ، وإلا صدر الحكم عليهم بأن تفقأ عيونهم وأن تكسر أيديهم وأرجلهم ، وأن يعذبوا بالسياط أو يشوى جسدهم بالنار . فإذا اصروّا على الاحتفاظ مع ذلك بعقيدتهم المسيحية ، يستمر الجلادون فى تعذيبهم حتى الموت .

ويصف المؤرخ يوسابيوس القيصرى بعض فظائع هذا العهد فيقول « إنه ليعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرّعه الشهداء فى مصر من ألوان العذاب القاسية والآلام التى تشيب من ذكرها النواصى . فقد كانوا يأتون بأولئك الشهداء ويشقون بالخناجر أجسادهم ، ويروحون ينزعون عنها الجلد عضواً عضواً حتى تزهق الروح . أما النساء فقد كانت تربط الواحدة منهن من أحدى قدميها وترفع فى الهواء بآلة مخصصة لذلك ، وتظل معلّقة هكذا بصورة تنفر منها الانسانية حتى تزهق روحها . وكانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متقاربتين بآلة جعلوها لهذا الغرض ، ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ، ثم يتركونهما ليعودا الى وضعهما الأول . والشهيد بينهما تتمزق أضلاعه وتسحق عظامه سحقاً فتتطاير أشلاء جسمه فى الفضاء ، وقد كانت هذه االفظائع تستمر أعواماً طويلة ، وكثيراً ما كان يصدر حكم بقتل عشرة أشخاص فى لحظة واحدة ، وأحياناً بقتل عشرين مرة واحدة ، وأحياناً ثلاثين وأحياناً ستين . وقد حكموا مرة على مائة رجل بالموت فماتوا فى يوم واحد مع زوجاتهم وأولادهم الصغار ، بعد أن ذاقوا من العذاب ما تقشعر منه الأبدان » .

وقال يوسابيوس أيضاً « إننى شاهدت بعينى بينما كنت واقفاً بالقرب من الموقع جمعاً غفيراً من المسيحيين حشدهم الحكام لينالوا الشهادة ، ولكن بطرق مختلفة » فكان بعضهم يحرقون فى أتون النار ، وبعضهم تقطع رؤوسهم بالسيف . وقد كانوا من الكثرة بحيث أن السيف قد تلم حدّه من كثرة ما قطع من الرقاب . وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين ، فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يستردون أنفاسهم . وأما المؤمنون فقد كانوا يقبلون الموت بصدور منشرحة ، وثغور باسمه ، بعد أن يجاهدوا بكل شجاعة وجرأة باعترافهم بالمسيح . حتى إذا حكم عليهم بالموت كانوا يرنمون ويرتلون الى آخر نسمة من حياتهم . كما أن الذين سبق لهم أن اشتهروا بالغنى أو التبحّر فى العلم والفلسفة كانوا يتقدمون الى الشهادة فى فرح عجيب » .

ثم يروى لنا يوسابيوس أنهم « كانوا يقطعون أصابع المسيحيين بالحديد المحمى بالنار ، وينزعون جفونهم ويحرقون عيونهم ، حتى إذا صمد الشهيد واحتمل كل تلك الآلام قادوه رغماً عنه الى مذبح الآلهة ووضعوا النار والبخور فوق يديه واعتبروه جاحداً

للأيمان ، ثم ألقوا به وهو شبه ميت الى الوحوش تلتهمه . فإذا جاهر أحد المسيحيين بإيمانه ضربوه على فمه وأجبروه على الصمت . فإذا صمت اعتبروه مستسلماً وخاضعاً واعتبروا أنفسهم منتصرين عليه وقد حاول رجال الشرطة أن يبذروا الشك فى قلوب المسيحيين بوسائل شتى ، فكانوا مثلاً يقبضون على أحد الكهنة ويسجنونه بضعة أيام ، ثم يطلقون سراحه معلنين أنه قد جحد إيمانه وخضع لأوامر الحاكم . وكانوا بين الحين والحين ينفذون حكم الاعدام فى جماعات عظيمة من الأقباط ليلقوا الفزع والرعب فى قلوب الآخرين المتمسكين بإيمانهم . وكانوا يخترعون أنواعاً عديدة من العذاب ليجعلوا موت المؤمنين أقسى ألما وأبشع وأشنع عذاباً » .

ويصف يوسابيوس إحدى هذه المجازر بالاسكندرية قائلاً : « إقتيد أحد المؤمنين الغيورين واسمه أغابيوس الى ساحة الاستشهاد ، وقدموه الى الوحوش الضارية مع القديسة تكلا لمجرد العرض المسرحى ، ثم سحبوه ، ثم أعادوا هذا العرض مرة ثانية ثم سحبوه ، وفى المرة الثالثة كان الامبراطور حاضراً فأتوا بالقديس فدخل الى الساحة أحد المجرمين الذى كان قد قتل سيده ، وقبل القائهما الى الوحوش تراءف الامبراطور على القاتل ، قائلاً إنه جدير بالرحمة والعطف . فدوّت الساحة بالتهليل والهتاف للعفو عن القاتل . وأما أغابيوس المتمسك بعقيدته فقد اقتيد أمام الامبراطور ، فطلب منه أن يجحد إيمانه حتى ينال حريته . فأجابه أغابيوس قائلاً : إننى لا أحاكم من أجل جريمة ارتكبتها ، بل من أجل ايمانى بدين الاله الحقيقى للعالم ، ولذلك فإننى سأحتمل بكل شجاعة كل العذاب الذى سيلحق بى . وقد القى الحكام الوثنيون القبض على شاب آخر جاهر بمسيحيته . فانهال عليه الجنود ضرباً ، ثم القوا به فى السجن مقيداً بالأغلال الحديدية . وعند ماجىء به أمام الحاكم طلب منه أن يقدم الذبائح للآلهة فرفض ، فمزقوا لحمه حتى ظهرت عظامه وتشوه وجهه من اللكمات والضربات التى انهالت عليه . واذ استمر على إيمانه بعد هذا كله ربطوا قدميه بلفائف مبللة بالزيت ثم أشعلوا فيه النار . وبعد أن احترق ألقوا ما تبقى منه فى البحر » .

وفى سنة ٣١١ ميلادية أمر مكسيمينوس دازا بإقامة الهياكل الوثنية فى كل مدينة ، كما أمر بسرعة إعادة الاحراش المقدسة التى كانت قد أزيلت على مر الزمن ، وعين كهنة للأصنام . وأقام عليهم فى كل مقاطعة موظفاً سياسياً كرئيس كهنة .

ولم يكن نصيب دقلديانوس فى الاضطهاد الكبير المنسوب الى عهده أكثر من سنتين وشهرين فى المدة من سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣٠٥ ، ومع ذلك فقد استمر الاضطهاد بعد ذلك حتى سنة ٣١٣ فى الشرق على يد جاليريوس ومكسيمينوس دازا وكانت أقسى هذه الفترات من سنة ٣٠٨ الى سنة ٣١١ . بل لقد قيل إن هذا الاضطهاد هو أفظع اضطهاد شهده المسيحيون منذ البداية فى تاريخ الامبراطورية كله . وكثير من الشهداء الذين استشهدوا فى الشرق ونسب استشهادهم الى عهد دقلديانوس استشهدوا فى هذه الفترة . وكان المحرك الاكبر لاضطهاد السنوات الاخيرة هو مكسيمينوس دازا الذى كان يحكم مصر وسوريا . وكانت الاضطهادات فى الشرق أعنف منها فى الغرب بسبب جاليريوس ومكسيمينوس دازا . أما فى الغرب فكان هناك قسطنطينوس كلوروس الذى كان يعطف على المسيحيين ، وقد خلفه ابنه قنسطنطين الكبير بنفس المشاعر . وكان الاضطهاد غالباً فى أقاليم الامبراطورية التى كانت تحت حكم مكسينيوس ابن مكسيمينوس ، وكانت جثث الشهداء فى عهده تتكدس فى الشوارع فتحملها العربات وتلقيها فى البحر ، وقد استمرت هذه الاضطهادات ما يقرب من عشر سنوات ، وكانت كنيسة مصر هى الهدف الأول لهذه الاضطهادات . وقد كان آخر شهداء الأقباط فى ذلك العصر هو القديس بطرس بابا الإسكندرية . ولذلك تدعوه الكنيسة القبطية « خاتم الشهداء » .

ومن المعروف أن شهداء مصر فى عهد دقلديانوس وأعوانه بلغوا مليون شهيد . مما دفع الأقباط أمام هذا الهول الأكبر لأن يخلدوا تاريخ من ذهبوا ضحية هذا العهد من شهدائهم . فبدأوا تقويمهم سنة ٢٨٤ للميلاد وهى السنة التى ارتقى فيها دقلديانوس عرش الامبراطورية الرومانية ، واعتبروها السنة الأولى فى تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء ، ويبدأ من يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٦ ميلادية .

وقد اعتزل دقلديانوس الحكم فى أول مايو سنة ٣٠٥ بعد أن تدهورت صحته . كما أصيب جاليريوس خليفته بمرض خطير مما اضطره لأن يصدر فى سنة ٣١١ من مقره فى نيقوميديا مرسوم التسامح الدينى للمسيحيين ، وقد طلب فيه منهم أن يتضرعوا الى الههم كى يشفيه من مرضه . وأما مكسيمينوس دازا فقد رفض أن يوقع على هذا المرسوم .

ثم فى سنة ٣٠٦ أصبح قسطنطين ابن قنسطنيطينوس أحد الحكام فى عصر دقلديانوس امبراطوراً على غاليا وهى فرنسا الحالية وأسبانيا وبريطانيا . وكان قد تربى فى بلاط دقلديانوس فى نيقوميديا . وقد هرب من وجه جاليريوس الى بريطانيا ، وهنا نادى به الجيش امبراطوراً بلقب « أوغسطس » خلفاً لوالده المتوفى ، فعبر جبال الألب والتحم جيشه مع جيش منافسه مكسيمينوس ابن مكسيميانس شريك دقلديانوس فى حكم الغرب . وقد انتصر عليه عند قنطرة مالفيا على بعد ميل واحد من روما وقد غرق مكسيمنوس مع جيشه فى مياه نهر التيبر فى أكتوبر سنة ٣١٢ . وقد أشار لكتانيوس الى هذا الطاغية باعتباره آخر أعداء المسيحية فى الامبراطورية الرومانية .

وقد أصدر الامبراطور قسطنطين الكبير مرسوم ميلان سنة ٣١٣ وبه فاز المسيحيون بحريتهم فى أن يمارسوا عباداتهم دون اضطهاد من الامبراطورية الرومانية .

الفصل الثانى
اسباب اضطهاد الامبراطورية الرومانية للمسيحيين

كانت العقيدة المسيحية حين أعلنها السيد المسيح بمثابة ثورة على كل العقائد والمفاهيم التى كانت سائدة فى الامبراطورية الرومانية ، والتى كانت تلك الامبراطورية قائمة على أساسها ، أو كانت بمثابة الريح العاتية التى هبت على شجرة تلك الامبراطورية ، وكان من شأنها أن تخلعها من جذورها ــ وكان هذا هو ما شعر به الأباطرة الرومان ، ولا سيما حين رأوا العقيدة المسيحية تنتشر فى العالم بسرعة مذهلة ، حتى أصبحت خطراً حقيقياً يهدد الامبراطورية الضخمة بالانهيار والاندثار . ومن ثم نتناول بشىء من التفصيل فى هذا الفصل كل عنصر من العناصر التى كانت تمثل أسباب أضطهاد الامبراطورية الرومانية للمسيحيين :

١ ــ نادت المسيحية بعبادة الله وحده وليس عبادة الامبراطور :

كان كل امبراطور من أباطرة الرومان يطالب كل الشعوب الخاضعة لسلطانه بأن يعبدوه ، لا باعتباره هو الملك فحسب ، وإنما باعتباره هو الإله كذلك . ولما كان المسيحيون يعتبرون السيد المسيح ملكهم ويعتبرونه فى نفس الوقت الههم ويتوجهون اليه بالطاعة كملك وبالعبادة كإله ، فقد كان ذلك يتضمن الخروج على طاعة الامبراطور ، والامتناع فى نفس الوقت عن عبادته ، وكانت هذه جريمة كبرى فى نظر الامبراطور ، تستوجب المحاكمة والموت ، لكل من يرتكبها . ومن ثم كانت أوامر الامبراطور صريحة وصارمة الى كل الولاة الذين تحت سلطانه فى العالم كله أن يشنوا حملة شعواء على المسيحيين للقضاء عليهم واستئصالهم من الأرض كلها .

٢ــ نادت المسيحية بفصل الدين عن الدولة ، فى حين أن الديانات الوثنية كانت تخلط بين الدين والدولة :

كانت الديانات الوثنية القديمة فى الولايات التى تخضع للامبراطورية الرومانية يعتبرها أصحاب كل منها ديناً ودولة فى نفس الوقت ، وذلك لأن كهنة تلك الديانات كانوا يصورون أنفسهم باعتبارهم ممثلين للآلهة لكى يسيطروا بهذه الصفة على شعوبهم ، ولكى يسيطروا فى الوقت نفسه على ملوك تلك الشعوب ، ومن ثم يحتفظون بالمكانة العليا فى بلادهم ، ويجنون من وراء ذلك فوائد وامتيازات أدبية ومادية لا تتمتع بمثلها أى طبقة من الطبقات الأخرى ، فهم لا يفتأون متمسكين بتلك الفوائد وتلك الامتيازات بكل ما فيهم من قوة ومن حيلة ووسيلة ، وبكل ما لكهنوتهم من سطوة وجبروت ، وكان الملوك فى نفس الوقت يستندون فى تسلطهم على الشعوب الى سلطان الآلهة حتى يتحكموا فى رقاب تلك الشعوب ، وبالتالى يستندون الى سلطان ممثلى تلك الآلهة على الأرض ، وهم الكهنة ، ومن ثم كانت طائفة الملوك وطائفة الكهنة تستند كل منهما إلى الأخرى ، مرتكنه اليها فى تدعيم سلطتها ومكانتها ازاء الشعوب المغلوبة على أمرها .

حتى إذا جاءت المسيحية قضت على كل تلك المظاهر والظواهر المفتلعة قضاءاً كاملاً وشاملاً ، إذ اعتبرت أن الدين منفصل كل الانفصال عن الدولة ، لأنه علاقة خاصة بين الانسان وربه تحكمها شريعة الله الثابتة والدائمة التى لا تتغير بأى حال من الأحوال ولا يطرأ عليها أى تعديل أو تبديل . فى حين أن نظام الدولة ينحصر فى نطاق العلاقة بينها وبين الناس على أساس يتغير بتغير الزمان والمكان ، وبتغير الظروف والملابسات من جيل الى جيل . ولقد أكد السيد المسيح مبدأ الفصل بين الدولة والدين إذ نادى قائلاً « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . وقد كان من شأن هذا المبدأ أن يزلزل بنيان الدولة الرومانية من أساسه ، لأنه ينطوى على إعطاء الحق للشعوب فى عدم الخضوع للامبراطور ، إذا كان ذلك يتضمن الخروج عن طاعة الله . وقد ورد هذا المعنى صراحة فى الكتاب المقدس للمسيحيين ، إذ جاء فى سفر أعمال الرسل أنه « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (الأعمال ٥:٢٩) .

٣ ــ نادت المسيحية بالمساواة بين جميع الناس فى حين كان المجتمع الرومانى هو مجتمع السادة والعبيد :

كانت الظاهرة التى يتميز بها المجتمع الرومانى ولا سيما فى عصر التوسع والثراء هى العدد الضخم الذى به من العبيد ، حتى لقد كان العبيد فى روما أكثر من الأحرار ، حتى قيل أن الدولة الرومانية هى دولة عبيد . وكان الاستعباد فى روما أكثر وحشية من الاستعباد فى بابل ، إذ كان القانون الرومانى يعتبر العبد شيئاً وليس شخصاً أى جماداً وليس إنساناً ، فكان من حق سيده أن يتصرف فيه كما يتصرف فى أى متاع يملكه ، فيبيعه أو يؤجره أو يعدمه أو يقتله كما يتراءى له وبالطريقة التى تروقه ، فيجعله خادماً فى بيته أو زارعاً فى حقله أو عاملاً فى مصنعه . وكان منهم من يقيد عبده بالأغلال ليلاً ثم يدفعه بالسياط الى العمل نهاراً . كما كان منهم من يلقى عبده فى جب تحت الأرض أثناء الليل ، ثم يقسره على العمل وقدماه مكبلتان بالحديد أثناء النهار ، فإذا تذمر العبد كواه سيده بالنار ، أو فقأ عينه ، أو بتر ذراعه ، أو سلخ جلده ، أو أنزل به أى لون آخر من ألوان التعذيب التى لا تخطر ببال إنسان من فظاعتها ووحشيتها ــ أما إذا رأى أن يقسو عليه أكثر من ذلك قتله . فإذا ثار عبد وقتل سيده كان جزاؤه الصلب هو وكل عبيد ذلك السيد . فإذا عرفنا أن أغلب أولئك العبيد الذين يسامون كل هذا العذاب والهوان كانوا أحراراً قبل استعبادهم ، وكان بعضهم من عظماء قومه أو من الساده الأثرياء المرموقين فى بلادهم ، أمكننا أن نتصور ما كانوا يعانونه من محنة لا يتصورها العقل ولا تحتملها العاطفة ، وقد تدفق العبيد على روما عقب الحروب التى شنتها والفتوح التى قامت بها ، فكان كل من يقع من الأسرى فى تلك الحروب والفتوح يباع فى سوق العبيد . ومن ذلك أن الجيوش الرومانية أسرت فى عام ١٧٧ قبل الميلاد أربعين الفاً من أهل سردينيا ، وأسرت فى عام ١٦٧ قبل الميلاد مائة وخمسين ألفاً من أهل أبيروس . وكان ثمن الواحد منهم لا يزيد عما يعادل خمسين قرشاً . ولم يكن من الأمور غير المألوفة أن يباع فى أسواق ديلوس مائة الف من العبيد فى يوم واحد . كما كان حكام الولايات الرومان لا يفتأون يورّدون للأسواق أعداداً عظيمة من الأحرار الذين حكموا عليهم بالعبودية فى ولاياتهم بسبب مخالفتهم للقوانين أو بغير سبب على الأطلاق الا الطغيان والظلم . وقد حدث فى عام ١٩٧

قبل الميلاد أن ثار العبيد فى أتروريا فهجمت عليهم الجيوش الرومانية وأبادت الغالبية العظمى منهم ، ثم صلبت البقية الباقية من الأسرى . وفى عام ١٣٥ قبل الميلاد ثار العبيد فى صقلية يتزعمهم رجل سورى يدعى أنطيوخوس ، فذبحتهم الجيوش الرومانية جميعاً . وفى عام ١٠٣ قبل الميلاد ثار نحو ستة آلاف من العبيد ، فقضت الجيوش الرومانية على الغالبية العظمى منهم ، ثم نقلت الباقين الى روما حيث ألقت بهم الى الوحوش لمصارعتها فى الاحتفال بانتصار القائد الرومانى اكويلوس . ولكنهم لم يصارعوا الوحوش وانما أغمد كل منهم خنجره فى صدر زميله . وفى عام ٧٣ قبل الميلاد ، تزعم سبارتاكوس ثورة كبرى للعبيد فى كل ايطاليا . وقد انضم اليه أكثر من ١٢٠ ألف عبد ، وقد صمد للجيوش الرومانية طويلاً ــ ثم استسلم أخيراً ، فذبحه الرومان وصلبوا أتباعه على جانبى الطريق الأبيانى الذى كان يمتد أميالاً طويلة من روما الى أقصى الجنوب ، وتركوا أجسادهم معلقة عدة شهور تأكلها الطيور .

ولم تكن القوانين الرومانية جائرة فقط على العبيد ، وإنما كانت جائرة أيضاً على الفقراء عموماً ولو كانوا يتمتعون بالمواطنة الرومانية . وقد كانت قوانين الجمهورية فى عهدها الأول تبيح للدائن أن يسجن المدين ، وأن يبيعه بيع الرقيق ، بل وأن يقتله . وكان فى وسع الدائنين المتعددين لشخص واحد إذا عجز عن أداء ديونهم أن يمزقوا جسده ويوزعوا اشلاءه فيما بينهم . وقد كان العامة الفقراء على الدوام هم ضحية هذا النظام . ومن ثم ثاروا فى عام ٤٩٤ قبل الميلاد مطالبين بإلغاء القوانين الجائرة ، وإعفائهم من الديون الباهظة التى تراكمت عليهم . إلا أن مجلس الشيوخ الذى كان يضم أثرياء الرومان وأشرافهم رفض هذه المطالب فأعلن العامة العصيان ، فلم يسع مجلس الشيوخ إلا الرضوخ لهم وقام فى عام ٤٥٤ قبل الميلاد بتشكيل لجنة لدراسة شرائع صولون وغيره من المشرّعين ، ووضعوا مجموعة من القوانين ، دوّنوها فى إثنتى عشرة لوحة ، فكانت هى الأساس الأول للقانون الرومانى . غير أنه حدث فى عام ٨٧ قبل الميلاد أن قام الصراع بين الأشراف يتزعمهم أوكتافيوس والعامة يتزعمهم سينّا . وقد اشتبك الفريقان فى السوق العامة ، فقتل منهما عشرة آلاف فى يوم واحد .

والخلاصة أن الامبراطورية الرومانية كانت تنقسم الى قسمين كبيرين ، أحدهما هم الأحرار والاخر هم العبيد ، وإن الأحرار بدورهم كانوا ينقسمون الى قسمين هما الأشراف والعامة ، أو الأغنياء والفقراء . فكان نظام الدولة يقوم على هذا الأساس ، حتى إذا ظهرت المسيحية نادت بنظام آخر على العكس تماماً من هذا النظام ، وهو المساواة الكاملة بين البشر جميعاً . فلا فرق بين أى إنسان وإنسان على أى أساس من أسس التفرقة بين البشر . إذ كان السيد المسيح هو أول من نادى بالأخاء والمساواة بين الناس ، وأن يعامل الناس بعضهم بعضاً على هذا الأساس . فلا فرق بين سيد وعبد ، ولا بين عظيم وحقير ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين رجل وطفل ، ولا بين ذكر وأنثى . لأن الجميع هم أبناء الله وهو أبوهم . إذ أوصى السيد المسيح الناس جميعاً حين يصلّون الى الله أن يقولوا « أبانا الذى فى السماوات » (متى ٦:٩) . والأبناء متساوون عند أبيهم ، يحبهم جميعاً ، ويعاملهم معاملة الأب للأبناء ، دون تفريق بين أحد وأحد ، أو تفضيل أحد على أحد ، لأن الله كما جاء فى الأنجيل للقديس متى « يجعل شمسه تشرق على الأشرار والصالحين ، وينزل المطر على الأبرار والظالمين » (متى ٥:٤٥) . ومن ثم قال السيد المسيح لتلاميذه وللناس جميعاً « أنتم جميعاً اخوة ، لأن أباكم واحد هو الذى فى السماوات » (مت ٢٣:٨ و ٩) . وقد كانت أقوال السيد المسيح وأعماله كلها قائمة على هذا الأساس ، حتى لقد اعترف أعداؤه أنفسهم بذلك قائلين أنه لا يحابى أحداً مهما كان مركزه ، ومهما يكن ثراؤه ، إذ جاء فى الانجيل للقديس متى « عندئذ ذهب الفريسيون وتآمروا لكى يصطادوه بكلمة ، ثم أرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين : يا معلم نحن نعلم أنك صادق وتعلّم طريق الله بالحق ، ولاتبالى بأحد ، لأنك لا تحابى وجه انسان » (متى ٢٢:١٥و١٦) . وقد رأينا أن نظام العبودية كان سائداً فى زمن السيد المسيح — وكانوا يعتبرونه وقتذاك نظاماً مسلّماً به حتى يكاد يكون طبيعياً . ومع ذلك فإن السيد المسيح عامل العبيد على قدم المساواة مع السادة ، وأسبغ عليهم ما كان يسبغه على السادة من عطفه ورحمته ونعمته ، وكان يصنع لأولئك ما كان يصنعه لهؤلاء من معجزاته . بل أن السيد المسيح على الرغم من أنه سيّد السادة ، ومع أن اليهود أنفسهم كانوا يلقّبونه بالسيد ، عاش حياته كلها كعبد ، فى تواضعه وخدمته وبذله كل جهد

من أجل الآخرين ــ ولذلك قال بولس الرسول فى رسالته الى أهل فيلبى «فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً ، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ، ولكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس . وإذ وجد فى الهيئة كإنسان ، وضع نفسه ، وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فيلبى ٢:٥ــ٨) . كما اقتفى بولس الرسول أثر السيد المسيح فى تعليمه بأنه ليس ثمة حر ولا عبد ، وإنما الكل أبناء الله ، إذ قال فى رسالته الى أهل غلاطية « ليس عبد ولا حر ، لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غلاطية ٣:٢٨) .. وقال لهم « بما أنكم أبناء ، أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم .. إذن لست بعد عبداً بل ابناً » (غلاطية ٤:٦و٧) . كما يقول بولس الرسول فى رسالته الى أهل غلاطية « لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر ولا أنثى ، لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غلاطية ٣:٢٧و٢٨) .

وإذ كان نظام العبيد معتبراً من أسس الحياة الاجتماعية والسياسية لدى الرومان ، كان الغاء هذا النظام ــ كما تنادى بذلك المسيحية ــ يتضمن زعزعة الأسس التى تقوم عليها الدولة من جذورها . ولا سيما أن نظام العبيد كان قديماً فى بلاد العالم كله منذ عهد بعيد جداً . وكان هذا النظام متغلغلاً فى كل المجتمعات البشرية وفى فكر البشر جميعاً . حتى لقد قال أرسطو أكبر فلاسفة اليونان أن الغاء هذا النظام لا يمكن أن يتصوره الإنسان . ومن ثم فزع أشراف الرومان وعلى رأسهم امبراطورهم من هذا الدين الجديد الذى ينادى بالغاء هذا النظام ، فيحرمهم من استغلال العبيد فى ضياعهم ومصانعهم ومتاجرهم وبيوتهم وفى كل شئونهم . وقد تصدوا للمسيحيين بروح شرسة وأحاسيس مفترسة ، يريدون لو يقضوا عليهم القضاء الأخير ، وأن يقضوا على عقيدتهم تلك التى من شأنها أن تلحق بهم أضراراً لا يطيقونها ولا يحتملون صبراً عليها . ومن ثم كانت هذه المذابح التى تعرض لها المسيحيون فى كل ولاية من ولايات الامبراطورية الرومانية ، وجعلت الدماء تسيل من شهدائهم أنهاراً وبحاراً لا تجف ولا تنضب .

٤ ــ نادت المسيحية بالحياة الاشتراكية فى حين كانت الامبراطورية الرومانية من أبشع الدول الرأسمالية فى التاريخ كله :

كان المجتمع فى الامبراطورية الرومانية مجتمعاً طبقياً ، يشتمل على أكثر الناس ثراء وأرستقراطية ، كما يشتمل على أكثر الناس فقراً وهواناً وامتهاناً وكان الناس فى ذلك المجتمع كما سبق أن رأينا ينقسمون الى سادة يملكون كل شيء ، وعبيد لا يمتلكون أى شيء . بل أنهم هم أنفسهم يعتبرون ملكاً لسادتهم يتصرفون فيهم تصرف المالك فى كل ما يملك من حيوان أو جماد . كما سبق أن رأينا أنه حتى السادة الذين لا تعتبرهم الدولة عبيداً ، كانوا ينقسمون فيما بينهم الى أغنياء وفقراء ، يتمتع الأغنياء منهم بالفقر الفاحش ، ويعانى الفقراء منهم أبشع صور الفاقة والضنك والحرمان . فلم تكن السنون تمضى إلا ومعها ثورات عارمة من العبيد ضد السادة ، وإلا ومعها حركات التمرد من الفقراء على الاغنياء . بيد أن الدولة نفسها لم تكن تقوم إلا على أساس من المال فلا ينتصر فيها المنتصرون إلا به ، ولا ينهزم المنهزمون إلا بسبب الحاجة اليه . وكان الأباطرة هم أقوى الأقوياء فى الدولة لأنهم هم أغنى الأغنياء فيها . وأما الأقل منهم ثروة فعليهم تدور الدوائر ، وبهم تحل الهزيمة والخراب ، وفى النهاية الموت .

أما المسيحية فقد نادت بمبادىء تختلف عن هذا المبدأ كل الاختلاف ، فلا فرق فيها بين غنى وفقير ، والثروة فيها هى ثروة الجميع يقتسمونها على قدم المساواة ، لأن الثروة من الله ، والله عادل العدل المطلق ، فهو لا يعطى أحداً على حساب أحد ، وإنما الجميع لديه سواء ، يعطيهم حسب مجهود كل منهم ، وحسب احتياج كل منهم . فلا تفاضل لديه ولا محاباة . فقد جاء السيد المسيح والأغنياء فى العالم كله وفى الامبراطورية الرومانية على وجه الخصوص يستأثرون بالاحترام والإكرام والتعظيم والتبجيل بين الناس ، فى حين أن الفقراء لم يكن نصيبهم الا الازدراء والتحقير والضعة والهوان . بيد أن السيد المسيح جاء بتعليم آخر قلب هذا المفهوم رأساً على عقب ، فحذّر الأغنياء من غناهم ، قائلاً أنه سيؤدى بهم الى الهلاك إذا لم تدركهم رحمة الله ، وعزى الفقراء على فقرهم ، بل حض الناس جميعاً على أن يختاروا الفقر سبيلاً لهم فى الدنيا ، لكى ينالوا الحياة الأبدية . وقد كان هذا التعليم غريباً على الناس فى ذلك الزمن ،

حتى لقد أدهش تلاميذه أنفسهم ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى أن شاباً غنياً « تقدم اليه وقال له : أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل كى أرث الحياة الأبدية ؟ فقال له .. ان أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع ما تملك وأعط الفقراء فتقتنى لك كنزاً فى السماء وتعال اتبعنى . فلما سمع الشاب هذا القول مضى حزيناً ، لأنه كان ذا أملاك كثيرة .. وعندئذ قال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم أنه يعسر على غنى أن يدخل ملكوت السماوات . كما أقول لكم أنه لأسهل أن يدخل الجمل فى ثقب الإبرة من أن يدخل غنّى ملكوت الله . فلما سمع التلاميذ ذلك دهشوا جداً قائلين : فمن يستطيع أن يخلص ؟ أما يسوع فنظر اليهم وقال لهم : هذا عند الناس غير مستطاع . أما عند الله فكل شيء مستطاع » (متى ١٩:١٦ــ٢٦) . وفى حين قال السيد المسيح ذلك عن الأغنياء ، قال عن المساكين المتواضعين : « سعداء هم المساكين بالروح ، فإن لهم ملكوت السماوات » (متى ٥:٣) . وقد أعطى السيد المسيح نفسه قدوة ومثلاً أعلى لهذا التعليم الذى نادى به ، إذ طبّقه على نفسه ، فعاش طول حياته على الأرض فقيراً كأفقر ما يكون الفقراء ، مع أنه كان فى استطاعته أن يكون غنياً ، بل أن يكون أغنى الأغنياء ، وهكذا هدم السيد المسيح الحاجز البغيض الذى كان يفصل بين الأغنياء والفقراء ، وجعل الجميع أمام الله سواء ، لايفترق أحدهم عن الآخر إلا بما يقدم من خير أو شر ، وما ينتهج فى حياته من صلاح أو فساد . وقد اقتفى تلاميذ السيد المسيح أثره فيما اختار لنفسه من فقر ، وفيما نادى به من مساواة بين الناس جمعاً ، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، ومن تفضيل للفقر مع التقوى عن الثراء مع الخلاعة ومعصية الله . إذ يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى الى تلميذه تيموثاوس : « أما التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة ، لأننا لم ندخل العالم بشيء ، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء .. لأن محبة المال أصل كل الشرور ، الذى إذا ابتغاه قوم ضلّوا عن الايمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (تيموثاوس الأولى ٦:٦ــ١٠) . ويقول يعقوب الرسول فى رسالته « هلم أيها الأغنياء إبكوا مولولين على شقاوتكم القادمة . غناكم قد تهرّأ وثيابكم قد أكلها العث . ذهبكم وفضّتكم قد صدءا ، وصدأهما قد يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار . قد كنزتم فى الأيام الأخيرة . هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنجوسة منكم تصرخ . وصياح الحصادين قد

دخل الى أذنى رب الجنود . قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح . حكمتم على البار . قتلتموه » (يعقوب ٥:١ــ٦) . وكان تلاميذ السيد المسيح جميعاً بعد قيامته وصعوده الى السماء يقتسمون فيما بينهم كل ما يمتلكون ويعيشون فى حياة مشتركة ليكفلوا المساواة التامّة فيما بينهم . إذ جاء فى سفر أعمال الرسل أنهم « كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات .. وجميع الذين آمنوا كانوا معاً ، وكان عندهم كل شيء مشتركاً ، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسّمونها بين الجميع . كما يكون لكل واحد احتياج » (الاعمال ٢:٤٢ــ٤٥) . ويقول بولس الرسول فى رسالته الثانية الى أهل تسالونيكى أنه « إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً ، لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينهم بلا ترتيب ولا يشتغلون شيئاً ، بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم » (تسالونيكى الثانية ٣:١٠ــ١٢) .

وهكذا أدى هذا الدين الجديد إلى انهيار الأساس الذى كان المجتمع الرومانى يقوم عليه ، وهو استغلال الأغنياء للفقراء ، واستغلال الأقوياء للضعفاء ، واعتبار الفقراء والضعفاء مصدراً لثروة الأغنياء والأقوياء . وبدون هذا المصدر ينهار المركز الاجتماعى للأغنياء والأقوياء فلا يعودون قادرين على الاستيلاء على السلطة فى الدولة الرومانية ، سواء كأعضاء فى مجلس الشيوخ ، أو كحكّام للولايات ، أو كمرشّحين لمنصب الامبراطور ، ومن ثم انقلب أولئك جميعاً فى الامبراطورية الرومانية على المسيحيين ، يريدون أن يمحوهم محواً من الوجود وأن يقضوا عليهم القضاء الأخير .

٥ ــ كان المسيحيون بسبب خوفهم من الاضطهاد يمارسون صلواتهم وطقوسهم سراً ، فأثار ذلك حولهم الشبهات والشائعات :

كان المسيحيون فى العصور الأولى من المسيحية ، بسبب ما كانوا معرّضين له من أسباب الاضطهاد والمطاردة والعداوة والاعتداء ، يضطرون الى ممارسة صلواتهم وطقوسهم تحت جنح الليل ، أو مختبئين فى أماكن بعيدة عن الأنظار ، حتى لا ينكشف

أمرهم ، ويتعرضون لأبشع وأشنع ألوان التعذيب والتنكيل والرعب والموت ومن ثم اعتبرهم الوثنيون طائفة تعتنق عقائد سرية غامضة ، وأثاروا حولهم أفظع الشبهات وأقذر الأقاويل والشائعات ، متهمين إياهم بأنهم يمارسون الشرّ فى اجتماعاتهم الخاصة ، ويأكلون لحوم البشر ، ويرتكبون أعمال الزنا ويقترفون كل أنواع الموبقات . وإذ كان المسيحيون لا يشاركون الوثنيين فى عبادة الآلهة الوثنية ، إتهموهم بأنهم أعداء لتلك الآلهة ، وإنهم بما يمارسون من سحر ، يثيرون تلك الآلهة على البشر ، ويعملون على صب نقمتها عليهم ، فلا تفتأ تنشر الأوبئة الفتّاكه ، وتثير العواصف المدمّرة ، وتفجّر البراكين الثائرة ، وتفتح ميازيب الفيضانات الرهيبة التى تجتاح المدن وتشيع الخراب والدمار فى كل الأرض ، فلم تكن تقع كارثة من تلك الكوارث حتى يلقى الوثنيون المسئولية فيها على المسيحيين . ومن ثم يروحون يهاجمونهم فى بيوتهم ، وينهالون عليهم ذبحاً وتقتيلاً ، أو يحرّضون السلطات عليهم ، فتفتك بهم وتملأ الشواراع والميادين بدمائهم . ومثال ذلك ما حدث بالاسكندرية أثناء اضطهاد الامبراطور ديسيوس للمسيحيين فى عهد البابا ديونيسيوس .. إذ راح الدهماء من الوثنيين يتعقّبون المسيحيين الى ساحات القضاء ، ويتدخلّون فى سير التحقيق ، فلا يهدأ لهم بال حتى تصدر أحكام الموت ضدهم . وقد أورد يوسابيوس قصة استشهاد بوليكاربوس أسقف أزمير ، قائلاً إنه « ما كاد القاضى يجلس على كرسيه حتى ضجت القاعة بصياح الغضب من الغوغاء ، مطالبين بحرق بوليكاربوس حياً ، ومن ثم صدر الحكم بنفس هذه الرغبة . وعلى الفور شرعت الجماهير فى جمع الخشب والحطب ، فلم تترك الشهيد الا بعد أن التهمته النار .. وفى قصة شهداء بون وفينا تدخّل الدهماء فى تعذيب المسيحيين وقتلهم . وحتى بعد أن ماتوا أحرقوا جثثهم وألقوا رمادها فى نهر الرون .

٦ ــ حين ظهرت المسيحية هاجمها معظم فلاسفة العالم وشنوّا عليها حملة شعواء ، وحرّضوا السلطات للقضاء عليها :

كانت الفلسفة فى العالم كله حين جاءت المسيحية تقوم على أسس مادية بحتة ، وتستند الى العقل وحده فى كل مبادئها ومباحثها ، ووسائلها وغاياتها . فى حين أن المسيحية تتجاوز الماديات الى الروحيات ، ولا يكفى العقل وحده فى فهم أسرارها

وسبرأغوارها ، لأنها تتضمن إماطة اللثام عن الطبيعة الإلهية ذاتها ، ومن ثم يقف العقل عاجزاً عن أن يصل الى أعماق تلك الطبيعة ، لأن المحدود لا يمكن أن يدرك المطلق ، ولأن الجزء لا يمكنه أن يحيط بالكل ، ولأن المخلوق لا يمكنه أن يتوصل الى كنه الخالق . فلم يكن ذلك كله ممكناً إلا بوسيلة واحدة لا وسيلة غيرها ، وهى أن يخاطب الله الإنسان مباشرة ، ويفضى إليه بأفكاره ، ويشرح له ما غمض من أسراره وهذه هى الوسيلة التى اتبعها الله بالفعل ، إذ أرسل كلمته متخذاً جسد انسان ليعيش بين الناس ، وليخلّصهم من عاقبة شرورهم ، وينقذهم من الهلاك الأبدى الذى كان محكوما به من العدالة الالهية عليهم ، وقد كانت هذه حقيقة عجيبة وغريبة على أفهام الفلاسفة الماديين ، لا يمكن أن يصل اليها تفكيرهم القاصر ، ولا يمكن أن يستوعبها فهمهم المحدود .. ومن ثم أنكروها واعتبروها حين سمعوها من المسيحيين خرافة من الخرافات وأسطورة من الأساطير ، ووهماً من الأوهام الساذجة لا يستحق أى بحث أو تفكير . بيد أنهم إذ رأوا أن هذه العقيدة لا تفتأ تنتشر انتشاراً سريعاً فى العالم كله ، بدأوا يحاربونها ويحاربون كل المؤمنين بها ، مستخدمين فى ذلك كل ما لديهم من علم ومنطق ، وكل ما يملكونه فى ولايات الامبراطورية الرومانية من مكانة وسلطان . ومن ثم أنضم الفلاسفة الى أعداء المسيحية وحرّضوا الأباطرة والولاة الوثنيين جميعاً على المسيحيين ، ليضطهدوهم ويطاردوهم ويقضوا على عقيدتهم .

وهكذا انهالت العداوات على المسيحيين من كل جانب فى الامبراطورية الرومانية : إذ عاداهم الأباطرة ، لأن كلا منهم فضلاً عن أنه ملك تجب له الطاعة ، كان يعتقد أنه اله تجب له العبادة والسجود ، فى حين أن المسيحيين كانوا يقولون عن الإله الذى يعبدونه انه « ملك الملوك ورب الأرباب » . وعاداهم كهنة الوثنيين ، لأنهم رفضوا عبادة الأوثان ، معلنين أن المهم هو الإله الحق وحده ولا إله غيره ، ونادوا بفصل الدين عن الدولة منكرين بذلك على أولئك الكهنة تدخلهم فى أى شأن من شئون الحكم ، فأنكروا بذلك عليهم ما كانوا يستأثرون به من مناصب ومن مكاسب تدرّ عليهم الثروة والجاه ، وتسبغ عليهم أسباب الاحترام والإكرام . وعاداهم رجال مجلس الشيوخ ومن فى حكمهم من الاثرياء والأقوياء فى الدولة ، لأنهم نادوا بالمساواة بين جميع الناس ، واستهجنوا نظام العبيد ، فحرموا بذلك أولئك الأثرياء والأقوياء من

خدمات ما يقارب نصف المجتمع من الأسرى والأرقّاء والضعفاء من الرجال والنساء . وعاداهم الرأسماليون فى الدولة الذين كانوا يستأثرون بمعظم ثرواتها . لأن الديانة المسيحية كانت تنادى بالمساواة بين جميع الناس فى كل الممتلكات والثروات ، يقتسمونها فيما بينهم بالقسطاس والعدل . وعاداهم عامة الشعب من الغوغاء الذين أوصدت الشهوات والشرور عقولهم وقلوبهم عن أن يؤمنوا بالدين الجديد الذى ينطوى على السموّ والطهارة والنبل ، فانقلبوا على أصحاب هذا الدين يثيرون فى وجوههم الاتهامات البشعة وينشرون عنهم الشائعات الفظيعة ، متّخذين ذلك ذريعة لقتلهم وتحريض السلطات على ابادتهم وعاداهم الفلاسفة لأن هؤلاء كانوا غارقين فى أفكارهم المادية وتصوراتهم الجسدية الأرضية عاجزين عن التطلع الى الروحيات والسمائيات ، فى حين كانت الديانة المسيحية هى عقيدة الروح وشريعة السماء ، فكان أولئك الفلاسفة من أعدى أعداء المسيحيين ، وأعنفهم مقاومة لهم ، وأشرسهم فى محاولة القضاء عليهم .

ومن ثم كان المسيحيون يعيشون فى هذا الجو الملبّد بالعداوة نحوهم . فى كرب دائم . وفى رعب متصل . فكانت كل خطوة يخطوها المسيحى محفوفة بالخطر . لأنه حتى لو كان غير مندمج فى المجتمع المحيط به ، كانت حياته اليومية لا تلبث أن تنم عن ديانته ، لأنه كان لا يشارك الوثنيين فى صلواتهم لآلهتهم ، وفى أعيادهم التى كانوا يقيمونها لتلك الآلهة . ثم أنه كان يختفى فى الظلام ، أو فى مكان بعيد عن الانظار كى يشارك فى الصلوات الخاصة بديانته هو . وفى الاحتفال بأعياده المسيحية . وكان يستحيل على أى مسيحى أن يشغل منصباً عاماً ، كأن يكون حاكماً أو قاضياً أو ضابطاً فى الجيش أو أى وظيفة من تلك الوظائف السامية فى الدولة ، لأنه كان عليه كى يتم تعينيه فى مثل تلك الوظائف أو ترقيته اليها أن يؤدى أقساماً وثنية معينة ، وأن يقدم بخوراً للأوثان ولصورة الامبراطور باعتباره الهاً ، وغير ذلك من الطقوس التى تتنافى مع عقيدته ولا يرضى له ضميره المسيحى أن يؤديها أو حتى أن يتظاهر بالمشاركة فيها . حتى إذا حدث أن اضطرته السلطات أن يفعل ذلك تحت أى ظرف من الظروف ، ثم رفض يكون جزاؤه المحتم هو الموت . لأنه يكشف بذلك أنه مسيحى ، وقد كانت المسيحية فى نظر الدولة هى الجريمة الكبرى التى تزيد بشاعتها عن كل جريمة أخرى ولا سيما إذا امتنع المسيحى عن تقديم العبادة للامبراطور ، فإن ذلك يعتبر عصياناً له ونكوصاً عن

الولاء المفروض نحوه على جميع رعاياه فى كل أنحاء الامبراطورية ، بغير تساهل أو استثناء . ومثال ذلك أن الحاكم سأل الشهيد القديس أكاتيوس قائلاً « أليس من الأفضل أن تبدى طاعتك للامبراطور وأن تضحى معنا إكراماً له ؟ » . فأجاب الشهيد قائلاً « إننى أصلّى الى إلهى من أجل الامبراطور . وأما تقديم القرابين أكراماً له ، فإنى لا أستطيع ذلك ، لأننى بذلك أعطى الكرامات الواجبة نحو الله لإنسان » . ومن ثم كان جزاؤه هو الموت .

الفصل الثالث
محاكمـــة الشهـــداء

كانت محاكمة الشهداء المسيحيين أمام المحاكم الرومانية تتّسم بالظلم الصارخ ، فى حين أن المحاكمات العادية للمتهمين من غير المسيحيين كانت تحكمها قواعد واجراءات تتّسم بشىء من العدل . ومن ثم نتكلّم فيما يلى عن قواعد واجراءات محاكمة غير المسيحيين . ثم نتكلّم عن طريقة محاكمة الشهداء المسيحيين ، ثم نورد بعض نماذج من محاكمة أولئك الشهداء .

أ ــ اجراءات محاكمة غير المسيحيين :

١ ــ كان المتهم يقدّم الى المحكمة بموجب صحيفة اتهام تتضمن التهمة الموجهة اليه ، بناء على أنه لا عقوبة بغير تهمة .

٢ ــ كان محظوراً على المحكمة أن تصدر حكماً بادانة متهم قبل أن تستحضره أمامها وتستمع بنفسها الى دفاعه عن نفسه . كما كان محظوراً على المحكمة أن تصدر حكماً غيابياً على أى متهم .

٤ ــ كان المتهم الذى يعترف علانية بارتكاب الجريمة المتهم بها يتم تقييده بالسلاسل حتى يصدر الحكم النهائى بادانته وتحديد العقوبة التى يستحقها عن جريمته .

٥ ــ كان القاضى يقرر بعد المحاكمة ما اذا كان المتهم يوضع فى السجن ، أو يسلّم الى جندى يكون مسئولاً عن حراسته ، أو يفرج عنه بكفالة أو ضمان ، أو يطلق سراحه .

٦ ــ كان ضباط الشرطة إذا قرر القاضى وضع المتهم فى السجن ، يرسلونه الى أحد السجون ومعه قائمة بالاتهامات الموجهة اليه .

٧ ــ كان حرّاس السجن فى الغالب مرتشين ، لا يتورّعون فى سبيل المال عن مخالفة الأوامر الصادرة إليهم ، كأن يتركوا المسجونين غير مقيدّين بالسلاسل كما يقضى بذلك نظام السجون ، أو يسمحون لذويهم وأصدقائهم بزيارتهم داخل السجن ، أو يتيحوا لهم الفرصة للانتحار كى يتخلّصوا من متاعبهم ، أو يسهلّوا لهم سبيل الهرب إذا أمكنهم ذلك بدون التعرّض للخطر ، إذ كانت عقوبة الحارس الذى يهرب منه سجينه هى الموت .

ب ــ طريقة محاكمة الشهداء المسيحيين :

لم يكن المسيحيون يتمتعون بأى من الضمانات التى يتمتع بها غير المسيحيين أمام القضاء الرومانى ، وإنما كان ذلك القضاء ينكر عليهم كل حق أتاحة حتى لأعتى المجرمين وأشرس الخارجين على القانون . وفى ذلك يقول العلاّمة المسيحى ترتليانوس الذى كان يعمل محامياً : « إذا كنا نحن المسيحيين أكثر الناس إجراماً ، فلماذا تعاملوننا بصورة مختلفة تماماً عن كل المجرمين الآخرين ، بينما يقضى العدل بأن نفس الجريمة تستوجب نفس المعاملة ؟ إنه مما يخالف القانون أن يُدان انسان بغير سماعه وإبداء دفاعه . فالمسيحيون وحدهم هم المحظور عليهم أن يتكلموا لتبرئه أنفسهم دفاعاً عن الحق ، حتى يعاونوا القاضى على أن يصدر حكماً عادلاً ، إن كل ما يعنى به القاضى هو تحقيق رغبات تنطوى على الكراهية والحقد للخلاص من كل المسيحيين ، مهما كان فى ذلك من الجور والظلم . إنكم تسعون بكل وسيلة وحيلة لأن تجعلوا المسيحى ينكر مسيحيته ، فأنتم لا تتعاملون معنا بنفس الطريقة التى تتبعونها مع غيرنا من المتهمين ففى حالة المتهمين الآخرين الذين ينكرون تلجأون الى تعذيبهم حتى يعترفوا ، وأما معنا نحن المسيحيين فتلجأون الى تعذيبنا حتى ننكر » .

وقد كانت محاكمة الشهداء المسيحيين تتم بواسطة الامبراطور أو الوالى أو الحاكم أو القاضى ، حسب الظروف والملابسات . وكانت ساحة المحاكمة فى العادة تمتلىء

بالغوغاء من الوثنيين الذين لا يفتأون يصيحون ويصخبون ويضجون مطالبين بالموت للمسيحيين . فما أن يظهر أمام منصة القضاء أحد أولئك المسيحيين حتى ترتفع أصوات أولئك الغوغاء متعمدّين أن تغطّى أصواتهم على صوت الشهيد ، فلا تكون لديه فرصة للدفاع عن نفسه ، وفى نفس الوقت يلتفّ حول الشهيد أقاربه وأحباؤه متوسلين اليه بدموعهم وتضرعاتهم أن يرحم نفسه ويرحمهم من الكارثة الموشكة أن تحل به وبهم والشهيد يعصره الألم أمام تلك الدموع وتلك التضرعات ، ولكنه مصمم على عدم انكار ايمانه مهما عانى فى سبيل ذلك من عذاب ومهما كابد من كرب ، ولو كانت النتيجة هى الموت . حتى إذا بدأت المحاكمة ، كان أول سؤال يوجهه الحاكم الى المتهم الماثل أمامه هو قوله « هل أنت مسيحى ؟ » فإذا أجاب بالايجاب واعترف قائلاً « نعم . أنا مسيحى » ، صرخ الشعب الهائج قائلاً « الموت للمسيحى » . وإذ يسمع الحاكم هذا الاعتراف من المتهم ، ودون أن يسمح له بأى فرصة للدفاع عن نفسه ، وللدفاع عن تلك الديانة التى تعتبرها الدولة جريمة يستحق مرتكبها الموت دون فحص ولا معارضة ، كان يبدأ الحاكم فى إرهابه بألوان العذاب الذى ينتظره اذا اصر على إيمانه ، فإن لم يفلح معه الإرهاب ، تبدأ بعد ذلك مرحلة التعذيب التى يمارس فيها الجلاّدون أبشع وأشنع وسائل الوحشية والتنكيل التى يعانى منها الشهيد أفظع الآلام التى لا يحتملها بشر ، كى يجبروه إجباراً على إنكار ديانته ، فإذا لم ينجح كل ذلك معه صدر عليه الحكم بالموت .

جـ ــ نماذج من محاكمة الشهداء :

١ ــ الشهيدان تيموثاؤس وعروسه مورا :

كان تيموثاؤس شماساً بكنيسة بلدة صغيرة تدعى « بيراب » فى إقليم أنطينوى التى هى أنصنا بمصر الوسطى ، وبموجب مراسيم دقلديانوس التى تقضى بقتل المسيحيين وإحراق كتبهم ، سيق هذا الشماس الشاب الى المحاكمة أمام الوالى أريانوس ، بعد أيام قليلة من زواجه . وقد سأله الوالى قائلاً :

س : من أنت وما عملك ؟

جـ : أنا مسيحى وأعمل شماساً فى الكنيسة .

س : هل أنت الوحيد فى قريتك الذى يحتقر أوامر جلالة امبراطورنا العظيم الذى أمر بموت من يرفض التضحية لآلهتنا الخالدة ؟

جـ : إننى لن أضحى لتلك الآلهة أبداً .

س : أنظر ها هى ذى آلات التعذيب أمامك ، فهل أنت مصمم على الرفض ؟

جـ : إن الله يرسل ملائكته لمعونتى .

س : سلّم كتبك الدينية كى أنفّذ أوامر الأمبراطور ؟

جـ : إن كان الأب يرضى أن يسلّم أبناءه للهلاك ، فأنا أرضى أن أسلمك كتب ديانتى .

س : يا لها من عبارة جميلة ، ولكن هذا لن يغيّر من الأمر شيئاً ، فهل أنت إذن ترفض أن تضحى للآلهة وأن تسلّمنى كتب ديانتك ؟

جـ : إننى أرفض كل الرفض .

ومن ثم بدأ الوالى فى تعذيب تيموثاؤس وقد أدخل الجلادون أسياخ حديد تتوهج بالنار فى أذنيه فانتفخ وجهه وانطفأ نور عينيه ، فصاح الجلادون قائلين « أيها المسكين الغبى ، إن عنادك قد أفقدك بصرك » . ولكنه ظل صامداً فمدّدوا جسمه على آلة تعذيب خاصةّ من شأنها إذا أديرت أن تمزّق لحمه وتحطّم عظمه . وصاح الوالى قائلاً : « إذا ضحيّت للآلهة سأوقف تعذيبك » . فقال تيموثاؤس « لا فائدة من الإلحاح فأنا لا أحس بالتعذيب لأن سيدى يسوع المسيح يقوّينى » فقال الوالى للجلادين « حلّوه من آلة التعذيب . وأوثقوا يديه خلف ظهره ، وعلّقوه من قدميه فى عامود ، ورأسه منكس إلى أسفل ، ثم ضعوا كمامة فى فمه ، واربطوا حجراً فى عنقه . وكان هذا التعذيب قاسياً وبشعاً حتى أن بعض الحاضرين دهشوا من أن كل هذه الآلام التى لا يحتملها بشر لم تفلح فى أن تنتزع من الشهيد أىّ كلمة إنكار لعقيدته أو أى كلمة

توجُّع أو أنين . فلما توسّلوا اليه أن يرحم نفسه ، أجابهم قائلاً « لا تجزعوا فإن الهى يسوع المسيح يخفف عنى هذه الآلام . فهى لا ترهبنى » .

وعندئذ أشار بعض رجال الوالى عليه بأنه كى يتغلّب على عناد ذلك الشاب ، فليرسل ويأت بعروسه التى لم تكن قد مضت على زواجه منها سوى بضعة أيام ، فقد يخضع أمام دموعها وتوسلاتها ، فاستدعى الوالى هذه العروس وكان اسمها « مورا » وأخذ يردد على مسامعها عبارات الإشفاق عليها من المصير الذى ينتظر زوجها ، وراح ينصحها بأن تبذل غاية جهدها ، عسى أن تتمكن من كسر شوكة إصراره كى تنقذه من الموت . وفعلاً اقتربت من زوجها المعلّق من قدميه فبكت بكاءاً مراً ودار بينهما الحوار التالى :

ـــ هل يهون عليك يازوجى العزيز أن تتركنى وحيدة فى الدنيا . وإن كنت تريد الموت فمن الذى سيقوم بقراءة الكتب المقدسة بالكنيسة فى أيام الأحد .

ـــ يا زوجتى العزيزه ، دعى عنك الاهتمام بأمور هذه الحياة الزائلة وتعالى نجاهد معاً فى ساحة الاستشهاد الجميلة التى تؤدى بنا الى الحياة الأبدية .

ـــ يا لها من سعادة يازوجى العزيز أن أصحبك وأن أتألم معك . لقد كان هذا هو حلمى ، ولكننى كنت أجد نفسى غير قادرة وغير مستحقه ذلك المجد الذى تحدّثنى عنه ، حتى رفعت كلماتك الإلهية روحى فملأتنى بالقوة والشجاعة على مقابلة الموت .

ـــ إذا كانت هذه هى أفكارك يا عزيزتى مورا فاذهبى الى الوالى الذى ينتظر بفارغ الصبر نتيجة لقائنا .

ـــ سأفعل ذلك بكل رضى ولكننى أخشى أن تفتر عزيمتى وسط العذابات ، فإننى صغيرة جداً .

ـــ ضعى كل ثقتك فى السيد المسيح وسلّمى له نفسك تسليماً كاملاً .. وعندئذ سيصبح كل تعذيب يصبّه الطغاة عن بدنك كالبلسم لأعضائك وكالزيت لجراحك .

وعندئذ نهضت مورا فى عزم وتصميم ، وكأن قوة سماوية مسّتها ، ودخلت على الوالى وقالت له :

ــ لقد خدعتنى وأردت أن تجذب روحينا أنا وزوجى الى الهلاك الأبدى . ولكننى لم يعد أحد يستطيع أن يخدعنى ، فاصنع ما شئت لاننى لا أرهبك أبداً ، لأن يسوع المسيح قد وهبنى قوة لا يمكن للعالم كله أن يقاومها .

فذهل الوالى وقدَ اعتقد أن تيموثاؤس يملك قوة سحرية استطاع بها أن يغرى عروسه بأن تموت معه بدلاً من أن تغريه هى بأن يهرب من الموت وقال لها :

ــ هل تفضلين إذن يامورا الموت على الحياة ؟ قارنى بين العذابات الشنيعة التى تصحبها آلام لا يحتلمها انسان وبين مسرّات هذه الدنيا وأفراحها . فإذا كان زوجك بتفكيره المجنون وعناده الاجرامى أراد أن يترك هذا العالم فما ذنبك أنت حتى تكونى ضحية العذاب والموت ؟ كونى حكيمة وارفضى هذا المصير المشئوم ، وسوف أعقد زواجك على واحد من ضباطى الشبان فيصبح لك زوجاً أجمل وأنبل من تيموثاؤس .

ــ كلا فإن تيموثاؤس أفضل من جميع الضباط وهو ليس مجنوناً ولا عنيداً ولا مجرماً ، وإنما هو مؤمن بالرب يسوع ، وهو يفعل ما يفعل تحت حمايته وإرشاده . وسأتبعه أينما يذهب .

وعندئذ استشاط الوالى غضباً أمام هذا الهدوء الباسل ، والتفت الى الجلادين وأمرهم بأن يضعوا القيود فى يدى مورا وينزعوا شعر رأسها بلا رحمة . ولكنها بعد أن فعلوا ذلك وقفت هادئة والدم يسيل منها ، فقال لها الوالى فى غيظ :

ــ هذا هو الشعر الذى كان يزين رأسك قد انتزعته منك . وليس هذا إلا بداية التعذيب . فاتركى جانباً مسيحك المصلوب ، وضحِّ لآلهتنا وأنا أطلق سراحك .

ــ إنك تضيع وقتك ، لأننى لن أضحى أبداً لألهتك . أما عن عذاباتك فإننى لا أبالى بها ، لأن الرب معى وهو يحمينى وينجينى .

ــ إذا رفضت التضحية للآلهة ، سأضع فى فمك جمر نار .

ـــ حسناً . إن فى هذا تطهيراً لخطايا لسانى . وكم أود ان تضع هذا الجمر ليس فقط فى فمى ، وإنما على كل أجزاء جسمى حتى اتطهرّ من كل خطاياى .

ـــ هكذا ؟ إننى فعلاً سأفعل .

وأمر الوالى باحضار مشعل مغموس فى القار ، وترتفع منه ألسنة لهيب عالية ليحرق جسمها . ولكن الأمر كان بشعاً حتى أن الحاضرين استنكروا أن يحدث ذلك لتلك العروس الرقيقة ، وحاولوا أن ينصحوها كى ترضخ لما يطلبه الوالى منها . فقالت لهم « لست بحاجة الى شفقتكم ، لأن إلهى الذى وضعت فيه ثقتى سيرعانى » . ثم التفتت الى الوالى وقالت له « فلتفعل ما شئت » .

وأشار الوالى الى الجلاد فوجّه شعلة النار المضطرمة نحو كل أجزاء جسمها ، وهى تتحمل ذلك العذاب القاتل فى صبر وفى صمت وهدوء ، حتى لقد خجل الوالى من نفسه أمام بسالتها وقوة احتمالها . وإذ أدرك عدم جدوى كل تهديداته وكل ما صبّه من ألوان العذاب على هذه الفتاة الصغيرة وعلى زوجها الشجاع . وقد رفضا كل الرفض أمام تلك الأهوال انكار عقيدتهما الراسخة كالجبال ، أصدر امره بصلْبهما ، فساقهما الجلادون حيث صلبوا كل واحد منهما فى مواجهة الآخر ، فاستودعا روحيهما بين يدى ربهما الحبيب يسوع المسيح الذى تمسّكا به حتى الرمق الأخير .

٢ ـــ الشهيد بقطر الجندى :

كان بقطر من إقليم كيليكية بآسيا الصغرى ، وكان مسيحياً منذ ولادته ، ثم التحق بالجيش الرومانى فى عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس الذى حكم الامبراطورية فى المدة بين عامى ١٦١ و ١٨٠ للميلاد . ولم يفتأ بقطر يترقّى فى السلك العسكرى حتى بلغ أرفع مناصب الجيش ، وقد وصل فى تجواله مع فرقته الى الاسكندرية عاصمة مصر . وحدث فى عام ١٧٧ للميلاد ان انخفض منسوب النيل انخفاضاً مخيفاً وعندئذ حدث كالعادة عند حلول الكوارث الطبيعية أن صاح الوثنيون فى الاسكندرية مرددين عبارتهم التقليدية قائلين « الموت للمسيحيين » ، إذ كانوا يتهمونهم بأنهم أعداء الآلهة ، وأن الآلهة لغضبها منهم منعت المياه عن النهر . وكان الامبراطور فى نفس الوقت قد

أصدر مرسوماً بقتل المسيحيين ، فسقط بناء على هذا المرسوم ضحايا كثيرون فى كل أنحاء الامبراطورية ، ولا سيما فى بلاد الغال وهى فرنسا وقرطاجنة وآسيا الصغرى وروما ومصر . ومن جهة أخرى أصدر سباستيان والى مصر أمراً الى المصريين جميعاً بأن يقدّموا الضحايا للإله حابى حتى يخففوا من غضبه فيرتفع منسوب النيل ويأتى الفيضان . وأما بقطر فقد رفض أن يفعل ذلك ومن ثم جيء به الى الوالى فقال له :

ـــ بصفتك جنديا للامبراطور ، ينبغى عليك أكثر من غيرك أن تطيع أوامره ، فأسرع إذن وقدم ضحية للآلهة .

ـــ إنك لن تجد شخصاً يضمر الطاعة للامبراطور مثلى . غير أنه إذا كان للامبراطور كل الحق فى السيطرة على جسدى ، فإنه ليس له أى حق على روحى حتى أتخلى عن طاعة إلهى .

ـــ يبدو لى أنك حكيم يا بقطر ، وما من حكيم يفضل الموت على الحياة . فأطعنى وقدم قرباناً للآلهة ، وعندئذ ينتهى كل شيء .

ـــ إننى على استعداد لأن أطيعك فى كل شيء ، إلا فى هذا الذى تطلبه منى .

ـــ إذن فأنت تفضل الموت على الحياة .

ـــ نعم ، لأن الحياة مع إنكار الهى هى موت ، وأما الموت فى سبيل التمسك به فهو الحياة الأبدية .

وإذ رأى الوالى ثبات بقطر أراد أن يخيفه ، فأمر بسحق أصابعه ، فراح الجلادون يسحقونها حتى برزت عظامها بين اللحم المتهرّىء . فلم يفعل الا أنه نظر الى السماء وقال « شكراً لك ياسيدى يسوع المسيح ، لأنك أعنتنى على احتمال هذه الآلام » وأما الوالى فقال له :

ـــ قدم القرابين للآلهة ، وإلا أنزلت بك ألواناً أخرى من العذاب .

ـــ حاشا لى أن أقدم القرابين لأصنام من الخشب أو الحجارة ، ولكننى أقدم عبادتى فقط الى الإله الحق ، خالق السماء والأرض .

وإذ وجد الوالى أنه لا جدوى من تخويف بقطر بالعذاب ، أعاده الى السجن ، ثم فى اليوم التالى جىء به اليه ، فراح يحاول مرة أخرى أن يقنعه بالتضحية للآلهة قائلاً له :

ــ إنك ترتكب عملاً جنونياً برفضك التضحية للآلهة .

ــ ليس هذا جنوناً ، وإنما هو عين الحكمة ، إذ أختار الحياة الأبدية ، بدلاً من أن أختار العالم الفانى .

ــ سأعذبك أقسى عذاب إذا لم ترضخ لأوامرى وتضحّى للآلهة .

ــ لن أضحى للشياطين أبداً فاصنع بى ما شئت .

وعندئذ فَقَد الوالى صوابه وقد احتدم غضبه على بقطر فأمر الجلادين بقطع أعصاب مفاصله ، ثم أمرهم بأن يربطوا جسده الى حامل وأن يسلطوا عليه مشاعل ملتهبة تشوى كل أعضائه . وهم يصيحون « قدّم القرابين للآلهة » ، فكان يتحمّل الآلام بصبر وهدوء ، وخاطبهم قائلاً « استمروّا فى تعذيبى أيها المساكين فلن ترهبونى ، لأن سيدى يسوع المسيح يقوّينى ويخفف الآلام عنى » فاشتد غيظ الوالى وأخذ محلولاً من الجير المذاب فى الخل ، وراح يفتح فم الشهيد كى يقسره قسراً على شربه ، ولكن الشهيد رفض أن يفتح فمه ، فصب المحلول صباً بين شفتيه ، ثم أمر الجلادين فقلعوا عينيه ، فقال له بقطر « أتظن أنك بوحشيتك تستطيع أن تخضع ارادتى ؟ كلا ، لن تستطيع ذلك . وأنت إذا قلعت عينى جسدى . فإن السيد المسيح قد أضاء بالنور الإلهى روحى ، فأفعل ما شئت وسأظل مؤمناً حتى الزمن الأخير » .

وإذ يئس الوالى من أن يزعزع ايمان بقطر حكم عليه بالشنق ، فعلّقه الجلاّدون من قدميه على جذع شجرة ، ورأسه الى أسفل . وقد استمر معلّقاً هكذا ثلاثة أيام ، فلما جاء الوالى ووجده لا يزال حيا اشتد حنقه وأمر جنده بأن يسلخوا جلده ، فراحوا يسلخونه ، وهو يصلى حتى اسلم الروح .

٣ ــ الشهداء تاراكوس وزميلاه بروباس وأندرونيكوس :

كان تاراكوس من مدينة كلوديوبوليس فى مقاطعة ايسوريا ، وكان جندياً ، ثم ترك خدمة الجيش فى بداية الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور دقلديانوس ، وقد تم القبض عليه مع زميليه بروباس وأندرونيكوس سنة ٣٠٤ ميلادية فى مدينة بومبى وهى عاصمة إقليم كيليكيا بآسيا الصغرى . وحوكموا محاكمة علنية وجرى تعذيبهم فى ثلاث مدن رئيسية من ذلك الاقليم ، وهى طرسوس وموبسويستا وأنازاريوس ، واستشهدوا فى ١١ أكتوبر سنة ٣٠٤ ميلادية ــ وقد احتفظ المسيحيون بالسجلات القضائية التى تحوى تفصيلات محاكماتهم وتعذيبهم واستشهادهم .

وفى بداية الأمر وقف الثلاثة أمام حاكم إقليم كيليكيا المسمى نوميريانوس مكسيموس فى مقر ولايته بمدينة بومبى . ولم يتمكن من بحث القضية هناك فأخذهم الى طرسوس ، وهناك بدأ باستجواب تاراكوس قائلاً له :

ــ تقدم أنت أولاً لأنك أكبرهم سناً ومركزاً . ما اسمك ؟

ــ أنا مسيحى .

ــ كفّ عن هذه السماجة واذكر إسمك .

ــ أنا مسيحى .

ــ (لأحد الجنود) إضربه على فمه وقل له لا تقدم إجابات ملتوية ــ أنا ذكرت لك الإسم الذى أفتخر به بين أقرانى . أما إذا سألت عن إسمى الذى يعرفنى به الناس فإننى أدعى تاراكوس .

ــ ما هو عملك ؟

ــ إننى جندى من أسرة رومانية . ولدت فى مدينة كلوديوبوليس فى ايسورية ولأننى مسيحى فقد اعتزمت أن اعتزل الجندية .

ــ معنى ذلك أنك فصلت من الجيش بسبب سوء سلوكك .

ـــ توسلت الى فوليفيو قائد المائة أن يطلق سراحى فأذن لى .

ـــ إننى أرى شعرك الأشيب ، ويسرّنى أن أعمل كل ما فى وسعى كى تحصل على ترقيات سريعة حتى تصبح فى حاشية الامبراطور . وذلك إذا أطعتنى وضحيت للآلهة . ان الأباطرة أنفسهم يفعلون ذلك دائماً نيابة عن الناس جميعاً .

ـــ ان الأباطرة أنفسهم معرضون لخطر شنيع من جراء غواية الشيطان .

ـــ (لأحد الجنود) إضربه على وجهه من الجهتين ، إذ يقول كلاماً غير لائق عن الأباطرة .

ـــ دع عنك هذه الفلسفة وقدّم ضحية لآلهة آبائك .

ـــ أنا أعبد إله آبائى ليس بدم ذبائح ، وإنما بقلب طاهر ، لأن الله ليس فى حاجة الى مثل هذه الذبائح الدموية .

ـــ إنى أنصحك بأن تدع عنك هذا الجنون وقدّم ما يدل على احترامك للأباطرة وعلى احترامك لى ، وعلى ولائك لشريعة آبائك .

ـــ سوف لا أترك شريعة آبائى .

ـــ تعال إذن وقدم ضحية للآلهة .

ـــ لا يمكننى أن أرتكب هذه المعصية التى تتنافى مع شريعة آبائى .

ـــ هل توجد شريعة أخرى غير شريعة آلهتنا أيها الرجل الشرير ؟

ـــ نعم توجد شريعة الله الواحد ، تلك التى تتعدّون عليها بعبادتكم الأصنام .

ـــ (لأحد الجنود) اضربه على عنقه وقل له لا تتظاهر بهذه الحماقة .

ـــ سوف لا أكف عن هذه الحماقة التى هى خلاصى .

ـــ شأشفيك من هذا الجنون وأجعل منك إنساناً عاقلاً .

ـــ إفعل ما تريد . ها هوذا جسمى تحت سلطانك .

ـــ (للجنود) إخلعوا عنه قميصه واضربوه بالسياط .

ـــ الآن جعلت منى انساناً عاقلاً بالفعل ، إنك بهذه الضربات جعلتنى أزداد ثقة بالهى ومخلصى يسوع المسيح الذى يقوّينى على احتمالها .

ـــ أيها الرجل الملعون هل تعبد إلهين ؟ لقد اعترفت الآن بذلك . ومع ذلك تنكر الآلهة .

ـــ أنا أعبد الله الذى هو بالحقيقة إله .

ـــ ومع ذلك تقول أن المسيح إله كذلك ؟

ـــ نعم ان المسيح هو ابن الله الحى ، وهو الله ذاته فى نفس الوقت ، فليس هناك إلهان وإنما إله واحد ، هو الذى يهب القوة للذين يتعذبون من أجل اسمه .

ـــ كفّ عن هذا الكلام التافه وقدّم قرباناً للآلهة .

ـــ ليس هو كلاماً تافهاً وإنما هو الحق . إننى الآن فى الستين من عمرى ، وقد نشأت على قول الصدق منذ صغرى ولن أحيد عنه أبداً .

وهنا تدخّل ديمتريوس قائد المائة وقال لتاراكوس :

ـــ إنقذ حياتك أيها الرجل . اسمع نصيحتى وقدم القربان للآلهة .

ـــ دعنى وشأنى ، واحتفظ بنصيحتك لنفسك ياخادم الشيطان .

فقال الوالى مكسيموس لجنوده ـــ القوه فى السجن وضعوا يديه وقدميه فى قيود ثقيلة .

وبعد ذلك حاكم الوالى زميلى تاركوس وهما بروبوس وأندرونيكوس ، فأبديا شجاعة لا تقل عما أبداه تاراكوس . ثم انتقل الوالى بعد ذلك من طرسوس الى مدينة موبسوينا

وأخذ معه السجناء الثلاثة ، وهناك بدأ من جديد محاولة اغراء تاراكوس لينكر مسيحيته ويقدم ضحية للآلهة الوثنية قائلاً له :

ــ أعتقد أن الناس يوقرون الشيخوخة بسبب الحكمة والتعقل اللذين يصاحبانها فكن حكيماً وراجع نفسك ، ولا تتشبث بأوهامك التى ترددها ، وإنما ضح للآلهة تحتفظ بحياتك وتصبح أهلاً للثناء .

ــ أنا مسيحى ، وإننى أصلى من أجلك ومن أجل أباطرتك لتنالوا نفس الثناء ، وتتركوا عنكم كل قسوة قلب وعمى بصيرة ، كى يقودكم الإله الحق الى عقيدة أفضل وأكثر سمواً .

ــ (لأحد الجنود) دقّ فمه بالحجارة وقل له أن يكفّ عن حماقته ويتكلم بعقل سليم .

ــ إن لم أكن سليم العقل فإننى أكون مجنوناً مثلكم .

ــ أنظر إلى أسنانك التى تكّسرت ، وارحم نفسك أيها الإنسان البائس من كل العذاب التى يمكننى أن أصبه عليك .

ــ لا شيء مما فى سلطانك يمكنه أن يؤذينى ، حتى لو بترت كل أطرافى ، فإن السيد المسيح يحمينى ويقوينى .

ــ (لأحد الجنود) إضربه على فمه وقل له أن يرفع صوته لأسمعه .

ــ لا أستطيع أن أرفع صوتى لأن أسنانى قد تكسّرت كما ترى .

ــ ومع ذلك لا تذعن أيها الشرير ؟ هيّا تقدّم الى المذبح واسكب تقدمة الى الآلهة .

ــ انك وإن كنت قد جعلت صوتى حبيساً لا أستطيع أن أرفعه ، فإنك لا تستطيع أن تحبس روحى وقد صرت بفضلك أكثر شجاعة وثباتاً .

ــ سأهدم ثباتك أيها الوغد (لأحد الجنود) إفتح يديه وضع فيهما جمرات نار .

ـــ أنا لا أخاف من نارك التى لا تستمر سوى لحظة ، لكننى أخشى إذا أطعتك أن أطرح فى النار الأبدية .

ـــ أنظر لقد احترقت يداك ، فهل مازلت متشبثاً بجنونك ؟

ـــ مهما فعلت فإننى سأظل متشبثاً بإيمانى الذى تدعوه أنت جنوناً ، بينما هو عين العقل .

ـــ (لأحد الجنود) قيّد قدميه وعلّقه منها وسلّطت على وجهه دخّاناً كثيفاً .

ـــ أنا لم أهتمّ بنارك ، فهل تظن أننى يرهبنى دخانك ؟

ـــ دع عنك عنادك وأنت معلّق هكذا ووافق على أن تضحّى للآلهة .

ـــ ضحّ أنت فإنك معتاد على التضحية حتى بالضحايا البشرية . أما أنا فإن الله ينهانى عن أن أفعل ذلك .

ـــ (لأحد الجنود) ضع خلاًّ ممزوجاً بملح فى أنفه .

ـــ خلّك حلو وملحك فُقَد ملوحته .

ـــ (للجندى) إخلط الخل بالخردل وضعه فى أنفه .

ـــ ولا هذا يرهبنى يا مكسيموس .

ـــ سأفكّر فى عذابات أخرى فى محاكمة الغد وسأضع حداً لجنونك .

ـــ وسأكون أكثر استعداداً لمكائدك وقساوتك .

ـــ (للجند) أنزلوه وقيدوه بالسلاسل وألقوه فى السجن .

وفى الغد قدّم تاراكوس مرة ثالثة للمحاكمة وأمر الوالى جنده بأن يربطوه على آلة التعذيب ، فقال له تاراكوس :

ـــ إننى جندى وأستطيع بصفتى هذه أن أطلب من الامبراطور أن يضع موضع

التنفيذ أمره الذى يقضى بعدم وضع الجنود على آلة التعذيب ، ولكننى لا أريد أن أستخدم حقى هذا خشية أن يخامرك الشك فى أننى خائف .

ـــ (للجند) مزقّوا وجهه واقطعوا شفتيه .

ـــ افعل ما شئت فإننى لن أرضخ لك .

ـــ (للجند) ضعوا على صدره قضباناً من الحديد الملتهب بالنار .

ـــ عبثاً تحاول فإننى مسيحى وسأبقى مسيحياً .

ـــ (للجند) أسلخوا جلد رأسه وألبسوه خوذة محمّاة باللهب .

ـــ حتى لو سلخت جلدى كله فلن يفصلنى ذلك عن إلهى .

ـــ (للجند) أعيدوه الى السجن وسوف نرى فى الغد إن كان سيبقى على عناده .

وفى اليوم التالى حوكم تاراكوس مرة أخرى كما حوكم زميلاه ، فأبديا شجاعة لا تقل عن شجاعته . وإذ يئس الوالى مكسيموس من اجبار الثلاثة على انكار إيمانهم أمر بإلقائهم للوحوش الجائعة فى أحد الملاعب ، فالتهمتهم الوحوش وماتوا شهداء .

٤ ـــ الشهيد هادريان :

كان هادريان شاباً يعمل رئيساً للموظفين الذين يعملون مع جاليريوس حاكم الشرق فى عهد دقلديانوس . وقد حدث أن جاليريوس ذهب الى نيقوميديا فقدموا له ثلاثة وعشرين مسيحيا لمحاكمتهم . فلما جاءوا بأولئك المسيحيين الى ساحة القضاء أمام جاليريوس قال هادريان :

ـــ هل أقدم نفسى معهم ، فأنا أيضاً مسيحى ؟ .

ـــ هل جننت ؟ أتريد أن تفقد حياتك ؟

ـــ لست مجنوناً ياسيدى وإنما كنت من قبل مجنوناً بالفعل ، وأما الآن فإنى كامل العقل .

ـــ أصمت والتمس العفو منى واعترف أمام الجميع بأن ما قلته كان خطأ منك ، ولسوف أمحو قولك هذا من مضبطة المحكمة .

ـــ كلا وإنما الأجدر لى أن أسأل العفو من الله من كل أفعالى الشريرة السابقة وأخطاء حياتى .

فأمر جاليريوس بالقبض عليه مع الباقين . وكان هادريان عندئذ فى الثامنة والعشرين من عمره ، وقد تزوج حديثاً من سيدة مسيحية تدعى ناتاليا ـــ وحين سمعت تلك السيدة أن زوجها آمن بالمسيحية فرحت جداً وزارته مع رفاقه فى السجن ، وراحت تخدمهم ، وظلت تشجع هادريان على التمسك باعترافه بالمسيح . وحين بدأت المحاكمة أمر جاليريوس بإحضار هادريان أولاً وسأله قائلاً :

ـــ أمازلت مصمماً على جنونك وتود أن تموت ميتة شنيعه ؟

ـــ إن أيام الجنون قد مضت وأنا مستعد أن أبذل حياتى .

ـــ ألا تضحى للآلهة كما أفعل أنا وكل الرومانيين ؟

ـــ أنت على خطأ ، ولماذا تسوق الآخرين الى الخطأ مثلك ومضيعاً بذلك نفسك ونفوس كل الأبرياء الذين تسوقهم الى عبادة آلهة لا حياة فيها ، تاركين الله الحقيقى خالق السماء والأرض .

ـــ هل تظن أن آلهتنا الكبيرة آلهة صغيرة ؟

ـــ لا أظن أنها كبيرة ولا صغيرة فإنها لا شىء على الإطلاق .

وهنا أمر جاليريوس جنوده بأن يضربوا هادريان بقضبان من الحديد ، وأن يصرخوا فى وجهه قائلين « لا تجدّف على الآلهة » . ثم خاطب هادريان قائلاً :

ـــ لقد عّلمك أولئك الدجّالون ذلك الأسلوب الذى تتكلم به .

ـــ لا تدعوهم دجّالين أولئك الذين يقودوننا الى الحياة الأبدية . إنكم أنتم الذين تخدعون الناس وتوقعونهم فى الهلاك .

ـــ هيا إعترف بالآلهة واحفظ عليك حياتك وشبابك ، إننى مشفق عليك .

ـــ إنى بما أفعله أحفظ حياتى كى لا تهلك الى الأبد .

ـــ اعترف للآلهة حتى تتعطف عليك ويردوك بكرامة الى وظيفتك السابقة . إنك لست كالآخرين المسجونين معك ، فإنك ابن رجل شريف ومازلت فى ريعان شبابك ، وأمامك المجال واسعاً للترقّى . أما هؤلاء فهم مخلوقات بائسة من الفلاحين .

ـــ إنك تقول ذلك لأنك تعرف شيئاً عن أسرتى وأسلافى وبيتى . ولكنك لو عرفت شيئاً عن هؤلاء القديسين وغناهم الروحى والمسكن الذى يتطلعون اليه ، لألقيت بنفسك عند أقدامهم وتوسلت اليهم أن يصلّوا من أجلك . بل انك ستحطم آلهتك بيديك .

وعندئذ أمر جاليريوس جنده بأن يلقوا هادريان على الأرض ويوسعوه ضرباً ، ثم لم يلبث أن تظاهر بالعطف عليه ، وأمر الجند أن يتوقفوا عن ضربه قائلاً له :

ـــ أنظر كيف أود أن أنقذك ؟ إنك اذا دعوت الآلهة بلسانك فقط ولو بدون تقديم القرابين ، سأستدعى الأطباء حالاً لعلاج إحساباتك وجراحاتك وآخذك معى اليوم فى قصرى .

ـــ أنا مستعد أن أفعل ذلك لو أن الآلهة أجابتنى بصوت مسموع .

ـــ ماذا تقول ؟ إن الآلهة لا يمكنها أن تتكلم .

ـــ لماذا اذن تقدمون قرابين لأشياء لايمكنها أن تتكلم ؟

فأمر جاليريوس بنقل هادريان الى السجن وتكسير مفاصل يديه وقدميه بقضبان من حديد . ويقال أن زوجته ناتاليا كانت تمسك بيديه وقدميه أثناء هذه العملية البشعة ، ولم يلبث هادريان أن مات متأثراً بما لحق به من تعذيب .

الفصل الرابع
وسائل تعذيب الشهداء

كان المسيحيون فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية ــ ولا سيما فى عهود اشتداد الاضطهاد ــ يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب التى لا يكاد العقل يصدّقها ، بل لا يكاد يتصوّرها من فرط بشاعتها وشناعتها . وقد كان معظم الشهداء يتعرّضون لتلك الأنواع المختلفة من التعذيب قبل أن يصدر الحكم عليهم بالموت . إذ كان القائمون على محاكمتهم يبذلون كل ما فى وسعهم لقسرهم قسراً على إنكار عقيدتهم المسيحية ، بالاغراء تارة وبالارهاب تارة أخرى ، حتى إذا استنفدوا مع الشهيد كل وسائلهم الجهنمية . أصدروا الحكم بإعدامه بإحدى وسائل الاعدام التى يتفننون فى جعلها أبشع ما يكون وأشنع ما يكون .

وقد كانت وسائل التعذيب مادية أحياناً ، تنصبّ على التنكيل بالجسد ، ومعنوية أحياناً أخرى ، تستهدف إلحاق أشد الآلام بالنفس والروح . ونورد فيما يلى أشهر أنواع التعذيب التى استخدمها الرومان ضد الشهداء المسيحيين فيما يتعلق بكل من النوعين المذكورين .

أ ــ وسائل التعذيب الجسدى :

١ ــ الحرق : ويتم بإلقاء الشهيد وهو حى فى نار مشتعلة تأكله كله دفعة واحدة ، أو يتم بحرق البدن بالتدريج عضواً عضواً حتى الموت . كما كانوا يرفعون الشهيد من أقدامه ورأسه الى أسفل فوق نار مشتعلة ليحترق احتراقاً بطيئاً بألسنة النار التى تصعد اليه ، أو يضعون رقائق من الصفيح المتوهج بالنار على كل عضو من أعضاء

جسمه ، أو يدحرجونه فوق مسامير حديدية متوهجة ، أو يغرسون أسياخاً من الحديد المحمى فى حنجرته أو فى أذنيه ، أو يمددونه على سرير من الحديد المشتعل بالنار ، أو يضعون على رأسه خوذة من الحديد المحمّى ، أو يغطون بعض أجزاء جسمه بأقمشة كتانية مبللة بالزيت ، ثم يشعلون فيها النار فيذوب شحم جسده ويتساقط كالشمع المحترق .

٢ ــ **نشر الجسم بالمنشار** إلى قطعتين أو قطعة بعد قطعة بداية من الأطراف الى أن تزهق الروح .

٣ ــ **السلخ** كما تسلخ الحيوانات ، أو كشط الجلد واللحم بحد السكين حتى يتعرّى العظم . وكانوا فى مصر يفعلون ذلك بحك الجلد بقطع من الفخار الخشن أو من المحار المدبّب ، فلا يلبث الجسد أن يصبح قطعاً من اللحم الممزق .

٤ ــ **السحل على الأرض** بربط الشهيد بحبل فى ذيل حصان يجرى به فى الشوارع بأقصى سرعة حتى يتهرّأ لحمه وتتحطم عظامه ويسلم الروح .

٥ ــ **الصّلب** وكان يتم إمعاناً فى التشفى من المسيحيين ، إذ يقتلونهم بنفس الطريقة التى استخدمها اليهود مع مسيحهم الذى يؤمنون به . وكان المصلوب يظل أحياناً معلقاً على الصليب عدة أيام يموت أثناءها ببطء شديد ، مما يسبب له آلاماً قاسية لا ينقذه منها الا الموت . كما كان الغوغاء أحياناً يرجمون الشهيد بالحجارة أو يرشقونه بالسهام وهو لا يزال حياً على الصليب حتى يجهزوا عليه .

٦ ــ **الالقاء للوحوش الجائعة** فى ساحات الملاعب العامة ، حيث كانت الوحوش تنقضّ على الشهداء الذين يعجزون عن مقاومتها ، فتظل تنهش لحمهم وتحطّم عظمهم حتى تأتى عليهم ، والمتفرجون بينذاك يصيحون ويهللون فى نشوة وحشية ولذة بهيمية وانتقام شرس .

٧ ــ **الشّنق** ويتم بتعليق الشهيد من رقبته فى عامود أو فى جذع شجرة أو فى أى شىء مرتفع عن الأرض ، فتنفصل عظام الرقبة وتزهق الروح على الفور ، وكانوا

كثيراً ما يتركون جثة الشهيد معلقة هكذا ، فتسقط الطيور عليها وتروح تنهشها حتى تأتى عليها .

٨ ــ **صب الرصاص أو القار المغلى فى فم الشهيد** . أو على رأسه وسائر جسده ، أو الالقاء به كله فى برميل ممتلىء بالقار أو الزيت المغلى ، فيتهرّأ لحمه ويذوب شحمه كما يذوب الشمع فى النار ، فلا يلبث أن يلفظ آخر أنفاسه فى هذا الجحيم الذى لا يحتمله بشر .

٩ ــ **الغرق** ويكون بإلقاء الشهيد فى البحر أو النهر بعد ربط جسده بحجر أو بأى ثقل كى يغوص الى القاع ويختنق ويموت . وأحياناً كانوا يضعونه داخل كيس كبير ويغلقونه عليه إغلاقاً محكماً بعد أن يضعوا معه حجراً ثقيلاً ، فيأخذه الكيس ويرسب فى أعماق الماء حيث يلقى حتفه على الفور .

١٠ ــ **تمزيق جسد الشهيد** بالتقريب بالحبال أو بآلة خاصة بين جذعى شجرتين متباعدتين وربط إحدى قدمى الشهيد فى جذع إحدى الشجرتين وربط قدمه الأخرى فى جذع الشجرة الأخرى ، ثم قطع الحبال التى تربط الشجرتين معاً فتتباعدان فينشق جسم الشهيد شطرين وتتناثر أشلاؤه فى كل اتجاه ، وقد اتبعت هذه الوسيلة كثيراً فى صعيد مصر .

١١ ــ **تعذيب الضحية** إذا كانت من النساء بربط إحدى قدميها بجذع شجرة وتركها متدلية هكذا من قدمها وقد انسدلت ملابسها الى أسفل فانكشف جسمها وأصبحت عارية تماماً فى وضع مخجل أمام المشاهدين للضغط عليها كى تنكر إيمانها ، فإذا لم تفلح هذه الوسيلة معها تركوها فى ذلك الوضع حتى تنهشها الطيور وتقضى عليها .

١٢ ــ **جَلد الشهيد بالسّياط** أو ضربه بالعصا ، حتى يتهرّأ جسمه ، ثم يصبّ الجلادون على جراحه مزيجاً من الخل والملح فتلتهب تلك الجروح التهاباً قاسياً وتسبب للشهيد آلاماً رهيبة لا يمكن احتمالها وقد تؤدى الى الموت .

١٣ ــ **تمزيق جسم الشهيد** بوضعه فى آلة للتعذيب تسمى الهمبازين ، وهى دولاب

مكوّن من شقّين أحدهما فوق الآخر ، يشبه عصّارة القصب ، ويتحرك شقه الأعلى فى اتجاه وشقه الأسفل فى الاتجاه العكسى ، ويبرز بين الشقّين عدد من السكاكين الحادة التى ما أن يدار الدولاب حتى تنهش جسم الشهيد الملقى بين الشقين فيتمزق لحمه ويتحطم عظمه ، ويصبح كومة مشوهة من اللحم والعظم تسيل منها الدماء .

١٤ ــ تمرير عَجَلة ذات مسامير حديدية فوق جسم الشهيد بعد طرحه على الأرض ، فتنغرس المسامير فى لحمه أثناء دوران العجلة فوق جسمه . أو تمرير آلة تعذيب أخرى تسمى المكشطة تتولى كشط جلده ولحمه . كما تكشط سكين الجزار جلد الذبيحة ولحمها جزءاً بعد جزء حتى لا تبقى سوى العظام .

١٥ ــ نزع أظافر الشهيد أو تمرير آلات حادة تحت أظافره ، أو تشويه الجسد ببتر بعض أعضائه كقطع الذراعين أو الرجلين أو الأنف أو الأذنين أو فقأ العينين ثم كى تجويفهما بأسياخ من الحديد المحمّى بالنار ، أو كىّ أعصاب المفاصل لشل حركتها ، أو وضع مسامير فى نعل حذاء الشهيد مصوّبة الى أعلى فى اتجاه باطن قدميه ، ثم إلزامه بلبسها والسير بها مسافات طويلة من بلد الى آخر حين يتقرّر إرساله ــ كما كان يحدث كثيراً ــ الى والٍ آخر ليتولى محاكمته .

١٦ ــ إلقاء الشهيد فى إحدى البحيرات التى تجمّد ماؤها ليقاسى من شدة البرد آلاماً لا تقلّ عن الآلام الناتجة عن حرارة النار ، وقد حدث ذلك مع أربعين شهيداً قام الرومان بتعذيبهم فى سبسطية بولاية أرمينيا .

١٧ ــ دفن الشهيد وهو على قيد الحياة فى حفرة يحفرونها فى الأرض ثم يهيلون التراب عليه ، فتصبح هذه الحفرة على الفور هى قبره الرهيب الذى لا مفرّ ولا نجاة منه .

١٨ ــ قطع الرقبة بالسيف : أما أهون وسيلة لقتل الشهيد وأكثرها رحمة بالنسبة اليه ، فكانت هى قطع رقبته بالسيف . وكان الولاة لا يلجأون الى هذه الوسيلة الا بعد أن يستنفدوا مع الشهيد كل أساليب التعذيب السابقة لقسره قسراً على إنكار إيمانه المسيحى ، حتى إذا تملّكهم اليأس من الوصول الى هذه النتيجة عمدوا أخيراً الى قطع

رقبة الشهيد كآخر حلقة من حلقات الملحمة التى يخوضونها ضد ذلك الإنسان الذى لم يكن يملك أى سلاح يقاوم به وحشيتهم سوى إيمانه الراسخ رسوخ الجبال ، مهما كابد فى سبيل الاحتفاظ به والمحافظة عليه من الفظائع والأهوال .

١٩ ــ التمثيل بجثث الشهداء : ولم يكن الولاة يكتفون بكل هذه الوسائل الجهنمية لتعذيب الشهداء التى كانوا يستخدمونها وسيلة بعد أخرى مع الشهيد الواحد حتى ييأسوا من استجابته لهم فيزهقون روحه ، وانما كان يدفعهم حنقهم الشرس ، وحقدهم الأسود ، وما يملأ قلوبهم من ضغينة على الشهداء البواسل ، فيواصلون الانتقام منهم حتى بعد موتهم ، وذلك بأن يمثّلوا بأجسادهم التى فارقتها الروح أبشع تمثيل بأن يمزّقوها شر تمزيق ، ثم لا يسمحون بدفنها ، وإنما يتركونها فى العراء خارج المدن تنهشها الطيور الجارحة والحيوانات الضارية . حتى إذا حدث أن استطاع المسيحيون أن يدفنوا شهداءهم ، قام الحكام الوثنيون بنبش قبورهم وإخراج ما تبقّى من جثثهم وأحراقها أو القائها فى البحر بحجة عدم تلويث الأرض بتلك الجثث التى كانوا يزعمون أنها نجسة ، لا يطهرّها من نجاستها إلا النار أو الماء .

ب ــ وسائل التعذيب المعنوى :

١ ــ الحرمان من الحرية :

كان النظام الشائع بالنسبة لكل الشهداء هو إلقاؤهم فى السجون بمجرد القبض عليهم . وهى عقوبة معنوية وبدنية معاً ، لأن المقصود بها هو الضغط على المسيحيين لأنكار عقيدتهم . إذ كانوا يضعونهم فى سجون ضيقة مظلمة ، خانقة الجو كريهة الرائحة ، مليئة بالهوام والحشرات والفيران والوطاويط . ترتفع فيها درجة الحرارة والرطوبة الى حد يزهق الأنفاس ، ولا سيّما أنه كانت تلقى فيها أعداد ضخمة من المسجونين معاً . وقد تركت لنا « بربتوا » شهيدة قرطاجنة الشهيرة بخط يدها وصفاً رهيباً للسجن الذى كانت ملقاة فيه . كما جاء فى وصف أحد السجون بقرطاجنة ضمن رسالة لبعض الشهداء فى زمن جاليريوس يقولون فيها « إنه ممّا يعجز عنه التعبير بشاعة ما قضيناه فى السجن من أيام وليال ، فأهوال ذلك المكان مما تقصر دونه الألفاظ » .

وقد كان السجّانون يوثقون أيدى المسجونين خلف ظهورهم ، ويوثقون أرجلهم فى المقطرة ، وهى آلة خشبية بها فتحات ضيقة يدخلون فيها ساق السجين ، ويضغطونهما بحيث تستحيل الحركة عليه ، ومن ثم كان يتعذّر عليه أن يذوق طعم النوم وهو فى هذا الوضع . وقد حدث أن كثيراً من المسيحيين ماتوا لمجرد وجودهم فى السجن وما يقاسونه فيه من أوجاع وآلام . وكان الحبس فى السجون يطول أحياناً لعدة سنوات . وقد كتب كبريانوس أسقف قرطاجنة الى بعض المسيحيين الذين طالت مدة سجنهم يقول لهم « إن تأخير استشهادكم فى ذاته يزيد من بهاء مجدكم . وإن اعترافاً واحداً بإيمانكم يجعل منكم قديسين ، ولكن تكرار اعترافكم فى كل مرة يستدعونكم من السجن ، مفضلين ذلك على إنكار الإيمان يضاعف من ذلك البهاء .. لأن من يواجه الاستشهاد مرة ينال اكليلاً واحداً من أكاليل السماء ، وأما من يواجه عدداً كثيراً من المرّات ، فإنه ينال عدداً من الأكاليل يساوى هذا العدد » .

٢ ــ الضغط العاطفى :

وقد كان من أقسى أنواع الضغط التى استخدمها الولاة مع الشهداء لقسرهم على التراجع عن تمسكهم بعقيدتهم ، هو جمعهم مع أقرب الناس اليهم وأكثرهم حباً لهم ، حتى يضعفوا أمام توسلاتهم ودموعهم . ويقول المؤرخ دى بريسنسيه « لقد أثبتت محبة الأهل فى أكثر من حالة أنها أخطر التجارب التى تعرّض لها المقبوض عليهم .. ولقد كان على بربتوا العروس التى فى الثانية والعشرين من عمرها أن تقاوم فى آن واحد توسلات ودموع أبيها العجوز ذى الشعر الأشيب وبكاء طفلها الرضيع » . ويقول أوريجانوس الذى عاش فى معمعة الاضطهاد « إن عذاب الاستشهاد يصل الى ذروته حينما يقترن عنف السجانين بتوسلات الأبوين الرقيقة الكفيلة بأن تهز ثبات المسجونين .. إننا طوال إجراءات المحاكمة ، إذا لم نجعل للشيطان موضعاً فى قلوبنا ، ذلك الذى يسعى الى تدنيسنا بأفكار شريرة تدعو الى التردّد والتراجع ، وإذا احتملنا كل تعييرات وإهانات أعدائنا ، وكل سخريتهم وأفتراءاتهم ، وعطف التحقير من جيراننا الذين يصفوننا بالغباء والجنون . وفوق كل ذلك اذا احتملنا عواطف الزوجة والأولاد وعمق محبتهم ، وقوة إغراء كل ما نملك على الأرض . وبالجملة اذا فشلت هذه جميعها

فى أن تجذبنا ثانية الى الحياة الدنيا ومباهجها ، فإننا بذلك نكون قد أعطينا أنفسنا بالتمام لله وللحياة التى منه تأتى .. وعندئذ نكون قد استكملنا فى أنفسنا المعنى الحقيقى للاستشهاد » .

٣ ــ النفـــى :

كما أن من الاجراءات التى كان أباطرة الرومان يتخذونها ضد المسيحيين ، والتى تنطوى على تعذيب جسدى ومعنوى معاً ، هو النفى الى جزيرة نائية موحشة قد يكون ما فيها من أسباب الألم والضيق والحرمان أكثر مما فى السجن ، عسى أن يتراجع المسيحى عن مسيحيته ، أو عسى أن يكون فى نفيه تعذيباً له وأنتقاماً منه اذا ظل مصمماً على اعتناق عقيدته . وكان النفى إمّا مؤقتاً كوسيلة من وسائل التعذيب تتلوها غيرها من الوسائل ، وإما مستمراً لتستنفذ حياة المنفى كلها حيث يتركونه مهما طال الزمن حتى يموت فى منفاه .

٤ ــ السخرة فى المناجم والمحاجر :

ومن وسائل الضغط على المسيحيين كذلك للارتداد عن إيمانهم ، ما كان يلجأ اليه أباطرة الرومان وحكامهم من ترحيل أولئك المؤمنين الى مناطق المناجم والمحاجر حيث يسخرونهم بغير أجر للقيام بأعنف الأعمال وأكثرها مشقة . وهناك يعيشون على زاد لا يكاد يسد الرمق ، وبملابس لا تكاد تستر الجسم ، وهم معرضون لكل صنوف الإهانة والضرب والسب من الجنود الغلاظ القائمين على حراستهم ، حتى إذا أبدى هؤلاء البؤساء المستعبدون أقل بادرة من بوادر الشكوى أو أى علامة من علامات الألم ، كان جزاؤهم التعذيب والقتل ، بل لقد كان القتل هو جزاء الذين يصيبهم المرض أو الضعف أو العجز عن العمل . وقد امتلأت مناجم مصر ومحاجرها بالآلاف من أولئك المسيحيين الأقباط . وقد ذكر المؤرخ يوسابيوس مثالاً لذلك معسكر العمل فى محجر « بروفيرى » بالقرب من مدينة طيبة ، وهى الأقصر حالياً . كما كان من أشهر معسكرات العمل فى المناجم والمحاجر معسكر منطقة « فانيو » فى شرق الأردن بفلسطين وهى المعروفة فى العهد القديم باسم « فوتون » (العدد ٣٣:٤٢) . وكانت

منطقة غنية بمناجم النحاس ، وكان ضمن المعتقلين فى هذا المعسكر بعض الأساقفة والكهنة الأقباط . وكان منهم الأنبا بفنوتيوس أسقف طيبة ، وتلميذ الأنبا أنطونيوس أب الرهبان ، وقد قبض عليه أثناء الاضطهاد الذى أثاره جاليريوس ومكسيمينوس دازا ، والقوا به فى السجن وعذّبوه بأنواع مختلفة من صور التعذيب ، ففقأوا عينه اليمنى وكووا تجويفها بالحديد المحمى ، وبتروا ساقه اليسرى ، وأحرقوا بالنار عضلات جسمه ثم أرسلوه على رأس مجموعة كبيرة من المسيحيين الأقباط للعمل فى مناجم النحاس فى شرق الأردن بفلسطين حيث ظل هناك أربع سنوات ولم يفرج عنه مع بقية المعتقلين الا بعد انتهاء زمن الأضطهاد فى عام ٣١٣ للميلاد .

٥ ــ الحرمان من الحقوق :

وقد تعرّض المسيحيون فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية لنوع آخر من الضغوط التى كان المقصود بها إجبارهم إجباراً على الارتداد عن إيمانهم مثل الفصل من الوظائف ، ومصادرة الأموال والممتلكات ، ونهب البيوت والأمتعة ، والحرمان من حقوق المواطنة ، ومن حق التقاضى أمام المحاكم . مالم يحمل المتقاضى شهادة رسمية تثبت أنه ضحى للآلهة الوثنية . ويروى لنا القديس باسيليوس الكبير قصة « جوليتا » التى كانت أرملة ثرية من قيصرية كبادوكية ، وقد استولى أحد المواطنين على الجزء الأكبر من ممتلكاتها وأراد أن يغتصب الباقى ، فلجأت الى القضاء . وإذ بدأ محاميها يشرح قضيتها قاطعه المدعى عليه قائلاً ان القضية ليست ذات موضوع ، لأن أولئك الذين لا يعبدون الآلهة ولا يتعهدون بقطع كل علاقة لهم بالمسيح ، ليس لهم الحق فى أن يطلبوا إنصاف القانون . وقد أقرّ القاضى هذا الرأى ، ثم جاءوا بمبخرة وطلبوا من جوليتا ــ إذا كانت تريد أن تثبت أحقيتها فى حماية القانون ــ أن تقدم البخور للآلهة ، فرفضت ذلك كل الرفض قائلة إنها خادمة المسيح ، فحكم القاضى بحرقها . كما تعرضت العذارى المسيحيات للضغط عليهن كى يتخلين عن عفتهن وإلا صدر الحكم بالموت عليهن .. ومثال ذلك العذراء أناثاس التى جرّدها الوالى من كل ثيابها وطاف بها عارية فى كل مدينة قيصرية قبل أن يحكم بحرقها حية .

الفصل الخامس
المذابح الجماعية للشهداء

تعرّض المسيحيون فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية ، ولا سيما فى مصر . لمذابح جماعية كان يستشهد فيها المئات وأحياناً الآلاف دفعة واحدة . وقد سبق أن رأينا أن الامبراطور دقلديانوس صمّم ألاّ يكفّ عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم الى ركبة فرسه ، وفعلاً نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه فى بحر من دماء الآلاف من الشهداء الذين ذبحهم جنوده فى يوم واحد . وقد سبق أن ذكرنا بعض العبارات التى سجلها المؤرخ يوسابيوس القيصرى وهو يصف بعض فظائع ذلك العهد التى شهدها بنفسه اذ يقول « انه يعسر على الكاتب الماهر أن يصف ما تجرّعه الشهداء فى مصر من ألوان العذاب القاسية والآلام التى تشيب لهولها النواصى » ثم يقول « إننى شاهدت بعينى بينما كنت واقفاً بالقرب من الجلادين جمعاً غفيراً من الأقباط حشدهم الحكام لينالوا الشهادة ، وقد كانوا من الكثرة بحيث أن السيف قد تلم حدّه من كثرة ما قطع من الرقاب . وكذلك الجلادون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين ، فكانوا يستريحون من ساعة لأخرى ريثما يستردون أنفاسهم .»

ومن المعروف أن شهداء مصر فى عهد دقلديانوس وحده بلغوا مئات الألوف ولذلك بدأ الأقباط تقويمهم ــ كما سبق أن رأينا ــ بسنة ٢٨٤ للميلاد ، وهى السنة التى ارتقى فيها دقلديانوس عرش الامبراطورية الرومانية ، واعتبروها السنة الأولى فى تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء ، ويبدأ من ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ ميلادية .

ومن ثم نورد فيما يلى بعض أمثلة من مذابح الشهداء الأقباط فى مصر ، ثم نورد بعض أمثلة من مذابح الشهداء فى غير مصر .

أ ــ أمثلة من مذابح الشهداء الأقباط فى مصر :

١ ــ ٨١٤٠ شهيداً فى مذبحة إخميم :

فى السنة الخامسة عشرة من جلوس الامبراطور دقلديانوس على عرش الامبراطورية الرومانية أصدر أمره بقتل كل المسيحيين فى العالم الذين يرفضون التبخير للأوثان . فلما وصل هذا الأمر الى أريانوس والى الصعيد فى مصر ، بدأ حملة اضطهاد بشعة للأقباط فى كل الأقاليم التابعة لولايته . ومن ذلك أنه حين وصل الى مدينة إخميم فى فجر يوم ٢٩ كيهك سنة ٣٠٣ ميلادية اتجه الى المعبد الوثنى الكبير الذى فيها فلم يجد به أحداً ، فاتجه مع جنوده مدججين بالسيوف والرماح الى الكنيسة الكبرى بالمدينة وكانت تدعى كنيسة « أبصادير » أى كنيسة المخلّص . فوجد هناك جموع الأقباط محتشدين كلهم للاحتفال بعيد الميلاد ، فخاف أن يدخل ووقف خارج الباب البحرى للكنيسة ، وأمر باحضار اثنين من أعيان الأقباط الموجودين بها ، فأحضروا له اثنين منهم هما « أبافاده » و « أباوانين » فراح يحاورهما محاولاً إقناعهما بالارتداد عن ديانتهما والتبخير للأوثان كأمر الامبراطور ، ولكنهما رفضا رفضاً قاطعاً وأصرّا على تمسكهما بعقيدتهما المسيحية . فجرّد سيفه وضرب عنقهما ، ثم أمر جنوده بذبح كل الموجودين بالكنيسة . وكان بين الحاضرين « أبسكنده » رئيس كهنة الأوثان ، ومعه سبعون من كهنته ، وعدد آخر من الوثنيين الذين كانوا قد آمنوا جميعاً بالمسيح . كما كان بالكنيسة قديسان معروفان هما ديسقوروس وأخوه اسكلابيوس وقد كانا يعيشان متعبدين فى الصحراء منذ زمن بعيد فلما علما بحضور أريانوس لقتل الأقباط الذين فى إخميم نزلا اليها ومعهما أربعة وعشرون راهباً من أخوتهما . واذ وجدا جموع المؤمنين محتشدين بالكنيسة راح ديسقوروس يعظهم باللغة اليونانية وأسكلابيوس يفسر لهم ما يقوله أخوه باللغة القبطية ، مشجّعين إياهم على الثبات ولو أدى الأمر الى استشهادهم جميعاً فى سبيل عقيدتهم . وفى هذه الأثناء راح الأقباط فى كل أنحاء المدينة يتسابقون للانضمام الى إخوتهم فى الكنيسة الكبرى ولا سيما الذين كانوا منهم يحتفلون بعيد الميلاد فى

الكنائس الأخرى بالمدينة ، ومنها كنيسة العذراء مريم وكنيسة القديس يوحنا المعمدان وكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وكنيسة رئيس الملائكة غبريال ، وقد أبدوا استعدادهم للاستشهاد جميعاً .

وبناء على أمر أريانوس راح الجنود يذبحون كل الذين فى الكنيسة وقد بدأوا بذبح « أبسكندة » رئيس كهنة الأوثان ، والكهنة السبعين الذين معه ، والوثنيين الآخرين الذين آمنوا بالمسيح . ثم ذبحوا من الأقباط ستين قساً ، وثلاثين شماساً ، وثلاثة وخمسين أبدياكون مساعدى الشمامسة وثمانين مرتلاً وأغنسطساً أى القراء ، واثنى عشر من خدم الكنيسة ، وخمسمائة من الأعيان ، وعدة آلاف من الشعب . وكانوا يكشطون بسيوفهم لحم المؤمنين ويكسرون عظمهم ويشقّون بطونهم أو يقلعون عيونهم ، أو يطعنونهم بالسيوف والرماح فى حناجرهم . وكانوا ينتزعون الأطفال الصغار من أحضان أمهاتهم ويذبحونهم أمام أعينهم غير مبالين بنحيبهن وتوجعهن على فلذات أكبادهن .

ولما رأى أريانوس كثرة الجموع التى تتدفق على الكنيسة خشى على حياته وأمر جنوده بأن يستقبلوا تلك الجموع من بعيد وأن يسوقوهم الى داخل الكنيسة تحت حراستهم ليقتلوهم هناك ، فذبحوهم جميعاً . ومن ثم سالت بحور من الدماء داخل الكنيسة وفى ساحاتها وفى شوارع المدينة كلها . وقد استمرت المذبحة ثلاثة أيام كاملة هى ٢٩و٣٠ كيهك وأول طوبة . وقد خلت مئات البيوت من كل سكانها ولم يبق بيت واحد من بيوت المدينة الا وفيه شهيد أو عدد من الشهداء . وفى النهاية تعب الجنود من كثرة الذين قتلوهم ، فتوقفوا وخرج الوالى وقواده وجنوده من المدينة ومضوا الى معسكرهم وأخذوا معهم القديس الأنبا بنوديون أسقف أنصنا الذى كان أرسانيوس قد جاء به معه مقيداً بالأغلال ، كما أخذوا معهم القديس ديسقوروس وأسكلابيوس ، والإخوة الأربعة والعشرين الذين جاءوا معهم ، وبعد الكثير من الجدل والحوار معهم أمر الوالى بالتحفظ على الأنبا بنوديون فى السجن ، ثم استمر فى حواره مع القديس ديسقوروس محاولاً اغراءه بالمناصب العالية لو أنه ارتد عن عقيدته وبخّر للأوثان ، ولكنه فشل فراح يعذّبه هو وأخاه أسكلابيوس وأوثقهما بالحبال وألقى بهما فى

السجن . ثم فى اليوم التالى عقد مجلسه مع قواده وجنوده وأعدّ آلات التعذيب وطلب من أحد قادته وهو أولاجيوس أن يجىء بالقديس ديسقوروس ، ولكنه رفض وكم كانت دهشة الوالى إذ علم أن هذا القائد ومعه جنوده آمنوا بالمسيح بعد مارأوا من قوة إيمان الشعب الذى كان يفضل الموت بأبشع الوسائل عن أن يرتدّ عن عقيدته . ومن ثم أمر الوالى أولئك الذين تبقوا من الجنود بإلقاء أولاجيوس وجنوده فى أتون النار .. ثم تقدم جنود الوالى فقلعوا عينى القديس ديسقوروس ثم أمرهم الوالى بقطع رقبته ، كما أمر بقطع جسد أخيه أسكلابيوس من وسطه الى نصفين . وأما الأربعة وعشرون راهباً الذين جاءوا معهما فقد أمر بذبحهم فذبحوهم جميعاً .

وبعد أن رحل أريانوس مع جنوده قام المؤمنون بدفن جثث الشهداء التى كانت مكدسّة داخل الكنيسة وخارجها ، وفى ميادين المدينة وشوارعها ، وقد استمرت عملية نقل أجسادهم الى جبل قريب من المدينة سبعة أيام . ثم فى عام ٣٠٥ للميلاد أقيم فوق مقبرتهم بذلك الجبل دير ساهم كل شعب المدينة فى بنائه ، ودشنه ديوجانوس أسقف إخميم بحضور الأنبا موساس أسقف فاو والأنبا أهروفين أسقف أبصاى .

وقد أصدر الامبراطور المسيحى قسطنطين بعد ذلك أمراً باحصاء عدد الذين استشهدوا فى عهد دقلديانوس فوجدوا أنهم أربعمائة ألف وخمسون شهيداً فى مصر والشام وحدهما . ووجدوا أن شهداء مذبحة إخميم وحدها بلغوا ٨١٤٠ شهيداً غير الذين لم يتمكنوا من حصرهم .

وقد حرص الأنبا ديوجانس أسقف إخميم على كتابة تاريخ أولئك الشهداء . ومع مجىء عيد الميلاد فى كل عام كانت المدينة تحتفل احتفالاً عظيماً بشهدائها الأبرار .

٢ ــ خمسة آلاف شهيد فى مذبحة إسنا :

بعد أن صدرت مراسيم اضطهاد المسيحيين فى عهد الامبراطور دقلديانوس قام أريانوس والى الصعيد فى مصر كما سبق أن رأينا بحملة بشعة فى كل الأقاليم التابعة لولايته لقتل كل الأقباط الذين يرفضون التبخير للأوثان . وفى هذه الأثناء تردد مرات عديدة على مدينة إسنا وكان فى كل مرة يذبح عدداً من الشهداء . ففى المرة الأولى استشهدت

الأم دولاجى وأولادها الأربعة . وفى المرة الثانية استشهد أربعة من رؤساء الأقباط فى المدينة وهم أوسافيوس وسامان وهرواج وباخوش بعد أن أمر أريانوس بتعذيبهم بأشنع أساليب التعذيب . وأما فى المرة الثالثة فقد أجرى ذلك الوالى مذبحة استشهد فيها نحو خمسة آلاف من أهالى إسنا . وذلك أن الأهالى حين علموا أن أريانوس قادم اليهم مع زبانيته تجمعوا عند باب المدينة الذى كانوا يسمونه باب الشكر وصلّوا صلاة حارة ثم صعدوا الى الجبل المسمى جبل أغاثون حيث كان يقيم أسقفهم الأنبا أمونيوس منقطعاً للعبادة ، فأخذ يعظهم ويشجعهم وقد أمضوا الليلة كلها فى الصلاة . ولما أشرقت الشمس قام الأسقف بخدمة القداس ، وناول الشعب كله من الأسرار المقدسة . فلما دخل أريانوس المدينة لم يجد أحداً بها ، فراح يجوب أنحاءها ، حتى إذا وصل إلى باب المدينة ، وجد هناك امرأة عجوزاً راقدة على فراشها ، وقد أقعدها المرض وعاقتها الشيخوخة عن أن تصحب الشعب الى الجبل . فسألها الوالى قائلاً « أين ذهب أهل هذه المدينة » فأجابته قائلة « إنهم حين سمعوا بحضور أريانوس الوالى الكافر الذى جاء يقتل الأقباط ، ويقسرهم على عبادة الأوثان صعدوا الى جبل أغاثون ، فقال لها « وأنت من تعبدين ؟ » فقالت « إنى مسيحية أعبد سيدى يسوع المسيح » ، فأمر الوالى جنوده بقطع رقبتها فماتت شهيدة . وإذ لم يكن أحد يعرف إسمها ، لقبوها بالعجوز الرشيدة لأنها أرشدت الوالى الى أهل المدينة ، وأما الوالى فقد أمر جنوده بصعود الجبل وأن يقتلوا كل من يصادفونه فى طريقهم وبالفعل قتلوا كل من وجدوه حتى وصلوا الى دير الأنبا اسحق بجبل أغاثون ، حيث كان الشعب مجتمعاً مع أسقفه يعظهم ويشجعهم ، فلما رأوا الوالى صرخوا جميعاً قائلين « نحن مسيحيون نؤمن بالسيد يسوع المسيح » ، فأمر الوالى جنوده بأن يقتلوهم جميعاً ، وكانوا نحو خمسة آلاف ، ثم صادف بعد ذلك فى عودته ثلاثة اقباط وهم سورس وانطوكيون ومشهورى فحين رأوه صرخوا قائلين « نحن مسيحيون » فأمر بقتلهم فمدوا أعناقهم على حجر هناك فقطع الجنود رؤوسهم فبنيت لهم بعد الاضطهاد مقبرة بإسمهم . أما الأنبا أمونيوس أسقف إسنا فقد قبض عليه اريانوس ووضع الأغلال فى يديه وأخذه الى مدينة أسوان ثم اخذه الى مدينة انصنا عسى أن يقنعه بالارتداد عن إيمانه ولكنه فشل فسلّمه الى هركس والى انصنا وقد حاول هو أيضاً أن يقنعه بالارتداد ولكنه فشل ايضاً . فأمر أريانوس بحرقه وهو

حى ، فطلب أن يسمحوا له بأن يصلى أولاً ، وبعد أن ختم صلاته طرحوه فى النار فاستشهد ، ولكن النار لم تؤثر فى جسده فبقى سليماً ، وجاء جماعة من الأقباط وكفّنوه ودفنوه فى موضع يسمى الجسر الغربى ، ثم أقام الأقباط فيما بعد كنيسة باسمه فى ذلك الموضع .

٣ ــ خمسة آلاف شهيد فى مذبحة أنصنا :

حين وردت الى الوالى أريانوس مراسيم الامبراطور دقلديانوس بقتل كل المسيحيين الذين يرفضون التبخير للأوثان ، استدعى الأنبا أباديون أسقف انصنا ، الذى كان يعرفه من قبل وقال له « إحضر لى كل الأقباط فى المدينة ليستمعوا الى مراسيم الامبراطور ويسجدوا لمعبوداته » . فأجابه الأسقف قائلاً « قل لى ما هى الفائدة التى ربحتها من الامبراطور ؟ لقد مضيت من عندنا وأنت صديق ، فعدت وأنت عدو . مضيت وأنت إنسان فعدت وحشاً كاسراً » . فقال له أريانوس « إن أهل الصعيد قساة القلوب غلاظ الرقاب ، ولذلك أقامنى الامبراطور والياً عليهم كى أؤدبهم وأقسرهم قسراً على عبادة الأوثان » . فقال له الأسقف متهكما « احترس لئلاً يأتى اللصوص فيسرقوا هذه الأوثان منك ويبيعوها » . ثم مضى الأسقف إلى الكنيسة وجمع الأقباط وأخبرهم بأوامر الامبراطور ، ثم راح يعظهم ويشجعهم ويحثهم على الثبات ، ثم أخذهم وجاء بهم الى أريانوس فاعترفوا أمامه علانية بالسيد المسيح ، فغضب وأمر جنوده بقتلهم فأعملوا فيهم السيوف وراحوا يذبحونهم حتى أفنوهم جميعاً وقد بلغوا نحو خمسة آلاف شهيد ، فامتلأت الشوارع بدمائهم الطاهرة .

٤ ــ خمسة آلاف راهب استشهدوا فى دير بالقرب من أنصنا :

وفى عهد الامبراطور دقلديانوس أيضاً استشهد خمسة آلاف راهب قبطى مع أسقفهم الأنبا يوليانوس ، فى دير يقع فى الصحراء القريبة من مدينة أنصنا على يد مركيانوس والى المدينة .

٥ ــ ٦٦٦٦ شهيداً فى مذبحة الكتيبة الطيبية :

كما أنه فى عهد الامبراطور دقلديانوس أيضاً وشريكه فى حكم الامبراطورية مكسيميانوس ، حدث فى عام ٢٨٦ للميلاد أن أعلنت بعض القبائل من فلاّحى بلاد الغال وهى فرنسا العصيان على مكسيميانوس ، فأرسل اليه دقلديانوس لنجدته كتيبة مصرية من مدينة طيبة وهى الأقصر الحالية ، إذ كان جنودها الأقباط مشهورين بشجاعتهم فى الحروب ، فلما وصلت هذه الكتيبة وكان عددها ٦٦٦٦ جنديا قسمها الامبراطور قسمين ، أحدهما يرابط فى بلاد الغال والقسم الثانى يرابط عند الحدود السويسرية ثم حين أزف موعد المعركة أراد الامبراطور أن يذهب الى المعبد الوثنى هو وجنوده ليبخّروا للآلهة الوثنية مبتهلين إليها أن تنصرهم فى القتال فأعلن جنود الكتيبة الطيبية رفضهم الذهاب مع الامبراطور ، لأنهم مسيحيون يؤمنون بالسيد المسيح ولا يمكنهم السجود للآلهة الوثنية ، فاستشاط الامبراطور غضباً وأقسم أن ينتقم منهم شر انتقام . ومن ثم أمر جنوده بأن يجعلوهم فى صفوف متوالية ، وأن يتركوا تسعة من كل صف ، ويمسكوا العاشر فيجلدوه ، ثم يقطعوا رأسه ، وبذلك فتك الامبراطور بجزء من عشرة أجزاء من الكتيبة كلها ، معتقداً أنه بذلك سيخيف الباقين فيطيعونه ، ولكن الباقين اتفقوا على أن يرسلوا اليه خطاباً وقّعوه جميعاً وقالوا فيه « إننا أيها القيصر العظيم جنودك ، ولكننا فى الوقت نفسه عبيد الله ، ونحن ندين لك بالخدمة العسكرية ، وأما الله فندين له بولاء قلوبنا . ونحن نأخذ منك الراتب اليومى ، أما الله فإننا سننال منه الجزاء الأبدى . ولذلك فإننا لا يمكننا بأى حال من الأحوال أن نطيع الأوامر المخالفة لله ، فإن كانت أحكامك تتفق مع أحكامه فنحن ننفذها بكل اخلاص ، وأما إذا تعارضت مع أحكامه فلن نقبلها أبداً ، لأنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ، لأن ولاءنا لأوامره فوق ولائنا لكل الأوامر مهما كان مصدرها . ولسنا ثواراً ، لأن لدينا الأسلحة التى نستطيع بها أن ندافع عن أنفسنا ونعصاك . ولكننا نفضل أن نموت أبرياء ، على أن نعيش ملطخة أيدينا بالدماء . وإننا على استعداد لأن نتحمل كل ما تصبّه علينا من صنوف العذاب ، لأننا مسيحيون ، ونحن نعلن مسيحيتنا جهاراً دون تردد أو خوف » .

ولكن الامبراطور حين قرأ هذا الخطاب ازداد حنقه على أولئك الجنود ، وأمر بتكرار عملية قتل العاشر من كل صف مرة أخرى ، فوقفوا فى ثبات ، وكان كل واحد منهم حين يجىء دوره يلقى أسلحته على الأرض ويقدم ظهره للسياط ثم عنقه للسيّاف .

وقد وصف الأب بول دورليان هذه المذبحة قائلاً « هكذا استشهد البعض منهم فى مدينة أجون بسويسرا ، والبعض الآخر فى مدينة جوليا بشمال ايطاليا ، وغيرهم فى تريف وفى فينتى ميليا وفى برجامو ، فكانت مذبحة همجية فظيعة تناثرت فيها أشلاء المصريين فى وادى أجون وارتوت أرضته بدمائهم . فنالوا بذلك إكليل المجد غير المضمحل » .

٦ ــ ١٥٠٠ شهيد فى أتريب :

فى أواخر عهد الامبراطور دقلديانوس ، حاول الكسندروس والى طوّة من أعمال أتريب اقناع الأقباط بالسجود للأوثان ، ولكنهم رفضوا فقتل منهم الف وخمسمائة شهيد .

٧ ــ ١٧٤ شهيداً فى أنصنا :

حدث أن مائة وخمسين رجلاً وأربع وعشرين امرأة من الوثنيين فى أنصنا بصعيد مصر شاهدوا فى دار الولاية جند الوالى يعذبون القديس بولس السريانى بكل وسائل التعذيب البشعة ، ومنها أنهم قلعوا عينيه ، ثم لم يلبثوا أن رأوه فى اليوم التالى سالماً من كل ما أصابه ، فقالوا « لا يمكن أن يصنع هذه المعجزة إلا خالق الكون كله » . ثم صاحوا قائلين « إننا قد آمنا بإله بولس » . فأمر الوالى بقطع رؤوسهم جميعاً .

٨ ــ ٩٢٠ شهيداً بالاسكندرية :

أثناء اضطهاد الامبراطور دقلديانوس للمسيحيين كان هناك قس جاوز الثمانين من عمره يدعى « أبا فسطور » لايفتأ يداوم على تثبيت رعيته وافتقاد المعترفين المسجونين ،

فسمع عنه والى مدينة ألقيس التى كانت فى ذلك الوقت مقراً لأسقفية ، وهى حالياً قرية صغيرة بالقرب من مدينة بنى مزار ، فقبض عليه وأمر جنده فجلدوه بالسياط ، ووضعوه فى جهاز التعذيب المسمى بالهنبازين ، ثم ألقوا به فى مستوقد حمّام ، ولكن الله أعانه على الاحتمال ، فأرسله الوالى مقيداً بالسلاسل مع بعض المعترفين الآخرين إلى والى الاسكندرية ، وهناك عذّبوه بصنوف أخرى من التعذيب ، ثم أمروا ساحراً يدعى سيدراخيس بأن يعد له سماً قاتلاً ، فلما أعطاه له رسم عليه علامة الصليب وشربه فلم يؤذه ، فآمن الساحر بالمسيح ، ومن ثم أمر الوالى بالقاء ذلك الساحر فى أتون النار ، كما آمن بسبب هذه المعجزة تسعمائة وعشرون من الوثنيين ، فحكم عليهم الوالى بالموت حرقاً . وأما أبا فسطور فوضعوه فى خلقين من الزيت المغلى ، ثم قطعوا رأسه بالسيف .

٩ ــ استشهاد أربعين عذراء مع القديسة دميانة :

ولدت القديسة دميانة فى مصر من أبوين مسيحيين ، وكان أبوها مرقس والياً على البرلس والزعفران . وحين بلغت الخامسة عشرة من عمرها رفضت الزواج واعتزمت البتولية ، فأقام لها أبوها قصراً فى جهة الزعفران لتنقطع فيه للعبادة . واجتمع اليها أربعون من العذارى اللاتى نذرن البتولية مثلها . وفى أثناء الاضطهاد الذى أثاره دقلديانوس ضعف أبوها وبخّر للأوثان . فخرجت من عزلتها وقالت له « كان الأهون على نفسى أن أسمع خبر انتقالك الى السماء عن أن أسمع أنك أنكرت فادينا الحبيب » . فألهبت هذه الكلمات قلب أبيها ، فذهب لمقابلة دقلديانوس وجهر أمامه بالأيمان فأمر بقطع رأسه . ولم يلبث دقلديانوس أن عرف أن سبب رجوع أبيها هو ابنته دميانة ، فأرسل اليها ، فرفضت التبخير للأوثان قائلة « إنى أعترف بسيدى يسوع المسيح ، وعلى اسمه أموت ، وبه أحيا حياة أبدية » . فقطعوا رأسها بالسيف . كما قطعوا رؤوس كل العذارى اللاتى كنّ معها . وكان قد تجمع حول المكان عدد كبير من الأهالى ، فلما رأوا ما حدث اعترفوا جميعاً بالمسيح فأطاح الجند برؤوسهم .

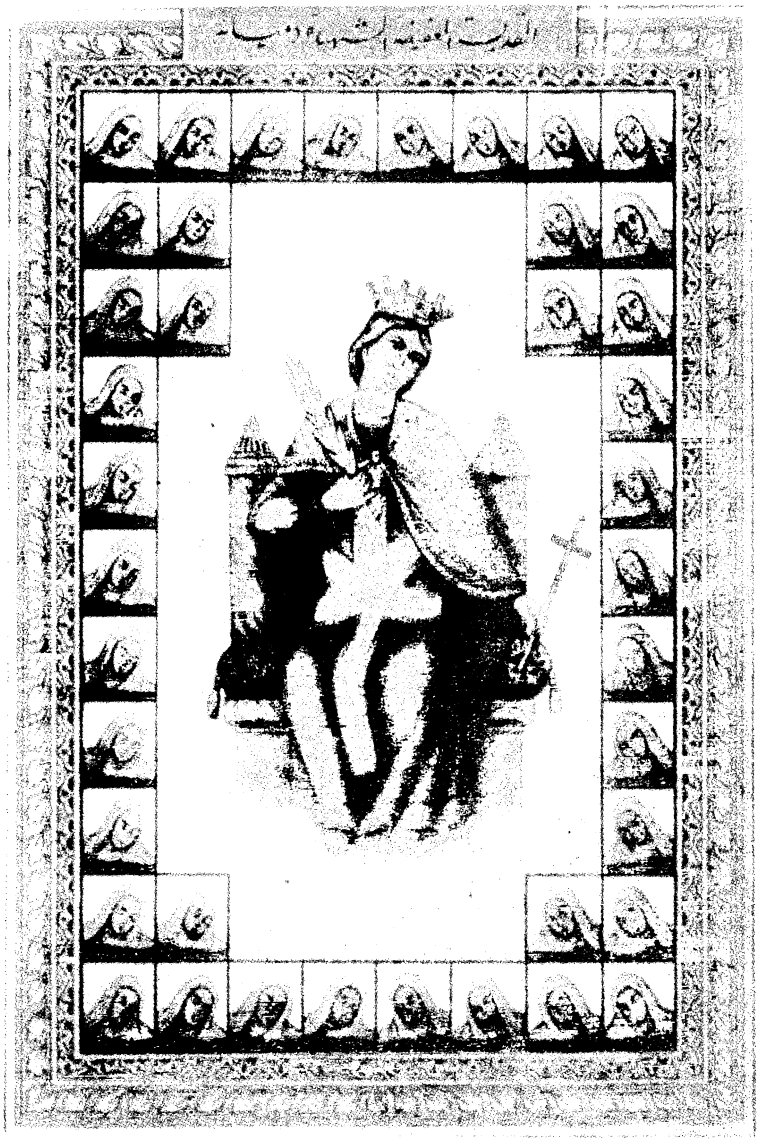

القديسة الشهيدة دميانة والأربعون عذراء الشهيدات

١٠ ــ استشهاد أربعين راهبة فى جبل أسيوط :

حدث أن غزا الأحباش مصر وراحوا يطاردون الأقباط فى كل أنحائها وكان بجبل أسيوط دير به تسع وثلاثون عذراء ورئيستهن . وكن جميعاً فى غاية التقوى والصلاح ، وقد أعطاهن الله موهبة شفاء المرضى . فلما سمع قائد الأحباش بأمرهن جاء مع جنوده وحاصر الدير كى يأخذوا العذارى الى بلادهن ليتزوجوهن ، وراحوا يدقّون باب الدير دقاً عنيفاً ، فقالت إحدى الراهبات للرئيسة « يا أمنا لفّى كل واحدة منا بحصير وأطلقى فيها النار ، فنروح للرب قرباناً زكيا » ، ووافقتها على ذلك كل الراهبات ، فأسرعت رئيسة الدير ولفّت كل واحدة منهن بحصير ، وأشعلت فيهن النار وهى تقول « يا سيدى يسوع المسيح اقبلهن قرباناً إليك . لأن موتهن هكذا أفضل من أن يدنسهن أولئك الكافرون ، ولا تجعل يارب علىّ هذه الخطيئة » . ثم اعتلت الرئيسة برج الدير وألقت بنفسها الى أسفل فتحطمت وأسلمت الروح .

١١ ــ ٤٠٠ شهيداً فى دندرة :

استشهد فى عهد دقلديانوس أربعمائة شهيد من الأقباط فى مدينة دندرة بصعيد مصر ، وقد قطعت رؤوسهم بالسيف جميعاً فى يوم واحد .

١٢ ــ ٤٩ شهيداً فى دير أبو مقار بوادى النطرون :

لم يكن للأمبراطور المسيحى ثيئودوسيوس الثانى ولد يرث عرشه ، وإذ اعتزم أن يتزوج امرأة أخرى ليرزق منها بولد . أرسل رسولاً ليستشير فى ذلك شيوخ الرهبان فى مصر ، وكان للرسول ابن وحيد طلب منه أن يصحبه فأخذه معه الى دير أبو مقار فى وداى النطرون . وحدث أنه أثناء وجوده مع ابنه هناك هجمت عصابات البدو على الدير لينهبوه ويقتلوا رهبانه ، فوقف الأنبا يؤنس أسقف الدير وقال للرهبان « أنهم قد أتوا وهم لا يطلبون الا قتلنا ، فمن أراد الاستشهاد فليبق معى . ومن خاف فليطلع الى الحصن » ، فهرب البعض وبقى مع الأسقف ثمانية وأربعون راهباً ، فجاء البدو فذبحوهم ، كما ذبحوا رسول الامبراطور وابنه ، ونهبوا الدير وانصرفوا . فنزل الرهبان الذين كانوا مختبئين فى الحصن بعد ذلك وجمعوا أجساد الشهداء ووضعوها فى مغارة

وأصبحوا يصلّون أمامها كل ليلة ويتباركون بها . ثم لم يلبثوا أن خافوا عليها فنقلوها الى مدفن بجوار كنيسة القديس مكاريوس الكبير ، وأقاموا عليها كنيسة فى عهد البطريرك الأنبا تاوديسيوس ، تسمى كنيسة البهمابسيت ، أى التسعة والأربعين ثم فى عهد البطريرك الأنبا بنيامين حدّدوا يوماً للاحتفال بذكراها فى اليوم الخامس من شهر أمشير فى كل عام .

١٣ ــ ٥٤٠ شهيداً فى مدينة ببنوسة بصعيد مصر :

كان القديس سرابيون من أعيان بلدة ببنوسة بصعيد مصر ، وقد اعترف أمام الوالى الرومانى أرمانيوس بأنه مسيحى فألقاه فى السجن . فلما علم ذلك أهل بلدته احتشدوا وذهبوا الى الوالى بالسلاح يريدون قتله وإنقاذ القديس ، فمنعهم القديس من ذلك وأفهمهم أنه يريد أن ينال أكليل الشهادة . وقد أمر الوالى جنده بتعذيبه فعذبوه بآلة الهنبازين ، ثم طرحوه فى قمين نار ، ثم غلوه فى خلقين زفت وقطران وسمروه عنى سرير من الحديد حتى تهرأ جسده كله ، ثم صلبوه على خشبة ، ثم أخيراً ذبحوه وذبحوا خمسمائة وأربعين من أهل بلدته الذين جاءوا لأنقاذه .

١٤ ــ سبعة رهبان مع الأنبا موسى الأسود :

كان الأنبا موسى الأسود من أشهر القديسين فى صحراء مصر ، وكان له دير خارج دير البرموس بوادى النطرون ، وقد قتله البدو ومعه سبعة رهبان من زملائه ، ومازال جسده محفوظاً بدير البرموس .

١٥ ــ سبعة رهبان من تونة الجبل بمصر :

اعترف سبعة رهبان من تونة الجبل بمنطقة الأشمونين بمصر الوسطى بإيمانهم بالمسيح أمام الوالى الرومانى فعذّبهم بكل وسائل التعذيب ثم قطع رؤوسهم .

١٦ ــ ثلاثون ألف شهيد فى الاسكندرية :

كان الامبراطور مركيانوس الذى اعتنق مذهب الهراطقة فى مجمع خلقيدونية قد نفى

بطريرك الأقباط البابا ديسقوروس الى جزيرة جاجرا تمسّكه بالإيمان الأرثوذكسى القويم ، وعدم موافقته على قرارات خلقيدونية . وكان فى الاسكندرية راهب يدعى بروتاريوس أبدى موافقته على هذه القرارات فأراد الامبراطور أن يجعله بطريركاً لمصر بدلاً من البابا ديسقوروس ، وبالفعل أرسل الى الاسكندرية رسولاً يحمل قراراً بعزل البابا ديسقوروس وتعيين بروتاريوس بدلاً منه ، كما يحمل رسالة من الامبراطور يهدد فيها كل من يجرؤ على عصيان أوامره بأشد العقوبات وكان بصحبته شرذمة من الجند مكلفة بمعاقبة كل من يعصى أوامر الأمبراطور . غير أن الأقباط بدلاً من أن يتراجعوا أمام تهديد هذا الامبراطور وأمام فرضه عليهم رجلاً دخيلاً ليكون بطريركاً لهم ، أضرموا نار ثورة عارمة بالاسكندرية راح ضحيتها أربعة وعشرون ألفاً من الأقباط وقد كان منهم عدد كبير من الأساقفة والكهنة والرهبان . وكان أحدهم الأنبا مكاريوس أسقف إدكو التى فى صعيد مصر وكان أحد الذين صاحبوا الأنبا ديسقوروس الى مجمع خلقيدونية . وقد حاول والى الاسكندرية ارغامه على التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونية فرفض فقتلوه . وأما باقى الأساقفة الذين رفضوا التوقيع على تلك القرارات فقد كان جزاؤهم النفى والتشريد . وقد كان من أثر قتل الأنبا مكاريوس وتشريد باقى الأساقفة أن ثار الأقباط فى الاسكندرية وأصروا على الحيلولة دون اعتلاء بروتاريوس الكرسى المرقسى وسدّوا فى وجهه كل طريق يؤدى به الى الكنيسة المرقسية . فثار الامبراطور وأذاقهم كل صنوف التعذيب والقتل ، وأصدر أمره بالاتفاق مع الاسقف الدخيل باغلاق جميع الكنائس القبطية ، ماعدا عدد منها إغتصبه وسلمه الى أنصاره وقام هذا الأسقف بسلب الكنائس التى مكّنه الجند من الاستيلاء عليها .

ثم توفى الامبراطور مركيانوس فى فبراير سنة ٤٥٧ ميلادية واعتلى العرش فى مكان الامبراطور ليو الأول ، فانتهز الأقباط فى الاسكندرية الفرصة وأقاموا البابا تيموثاوس الثانى بطريركاً لهم فى ١٦ مارس سنة ٤٥٧ فى مكان البابا ديسقوروس الذى كان قد توفى وهو فى منفاه فى ٤ سبتمبر سنة ٤٥٤ ميلادية . وبذلك أصبح فى الاسكندرية إثنان من البطاركة هما البطريرك الملكى بروتاريوس والبطريرك القبطى تيموثاوس . وقد رأى البابا تيموثاوس أن واجبه الرعوى يحتمّ عليه تفقّد رعيته فى هذا الوقت العصيب ، فغادر الاسكندرية وراح يتنقل بين الأيبارشيات فى كل أنحاء البلاد . وفى هذه الأثناء

وصل الى الاسكندرية قائد الجيش الامبراطورى ديونيسيوس ومعه عدد كبير من الجند حاملاً الأوامر المشددة من الامبراطور لاخضاع الأقباط لسلطة بروتاريوس بكل ما أوتى من قوة . فما كان من هذا القائد الا أن نفّذ أوامر امبراطوره بكل عنف وكل قسوة . وقد اقترف فى سبيل ذلك من الفظائع ما يفوق فى شناعته ما ارتكبه من قبل كل الأباطرة الوثنيين . حتى إذا عاد البابا تيموثاوس من رحلته وجد أن رسول الامبراطور قد أغلق فى وجهه كل أبواب الاسكندرية ليمنعه من دخولها ، فاضطرم غضب الأقباط و لم يعودوا يطيقون تدخل أولئك البيزنطيين فى شئونهم الدينية ، فثاروا ثورة عارمة ، وانقضوا على البطريرك الدخيل بروتاريوس وقتلوه فى ٢٨ مارس سنة ٤٥٧ ميلادية . فما كان من الامبراطور إلا أن أصدر أمره بنفى البابا تيموثاوس إلى جزيرة جاجرا ، كما أصدر أمره بقتل كل الأقباط الذين اشتركوا فى الثورة . وقد قتل منهم فى هذه المرة ستة آلاف ، فأصبح عدد شهداء الاسكندرية فى ذلك الحين ثلاثين ألف شهيد .

١٧ ــ الشهداء الذين قتلهم الامبراطور قنسطنس :

حين وافق الامبراطور قنسطنس إبن الامبراطور قسطنطين الكبير على بدعة آريوس أرسل الى الاسكندرية رجلاً اسمه جورجيوس الكبادوكى مع خمسمائة فارس ليكون بطريركاً على الاسكندرية بدلاً من البابا أثناسيوس الذى رفض هذه البدعة ، وأمره بقتل كل الذين لا يطيعونه ، فلم يقبله أهل الاسكندرية فقتل منهم عدة آلاف وهرب الأنبا أثناسيوس وبقى مختفياً ست سنين ، ثم خرج ومضى الى القسطنطينية حيث قابل الامبراطور فأمر بترحيله فى سفينة بغير خبز ولا ماء ، لعله يهلك جوعاً أو يغرق فى الطريق ، ولكن السفينة وصلت الاسكندرية بسلام ، ففرح به شعبه فرحاً عظيماً وأدخلوه الى الكنيسة وأخرجوا منها جورجيوس وأصحابه .

١٨ ــ استشهاد الأقباط فى كل أنحاء مصر على يد الأريوسيين :

فى عهد الامبراطور الأريوسى قنسطنس فى المدة من عام ٣٣٧ الى ٣٦١ للميلاد ، شمل اضطهاد الأريوسيين للأقباط الأرثوذكس مصر كلها . ويقول القديس الأنبا

أثناسيوس الرسولى الذى روى لنا هذا الفصل من التاريخ ، أنه من المستحيل وصف العذابات التى احتملها الأساقفة والكهنة فى سبيل عقيدتهم الأرثوذكسية القويمة . حتى أنهم من فرط ما صبَّه الأريوسيوّن عليهم من ألوان العذاب تغيرّت ملامحهم وقد أنذروهم بالانسحاب من أيبارشياتهم وترك كراسيهم للأريوسيين . فلما لم يذعنوا لهم قيدوهم بالسلاسل ونفوهم الى بلاد بعيدة . ومنهم الأسقف آمون والأسقف أولفيوس اللذين نفوهما الى الواحة الخارجة ، والأساقفة مويس وبسينوسوريس وبيلامون وبلينيس ومرقس وأثينودوروس الذين نفوهم الى واحة آمون التى هى واحة سيوه . وكان محكوماً عليهم بالموت حرقاً ، والاسقف دراكنتيوس الذى نفوه الى صحراء القلزم بالقرب من السويس . والأسقف فيلون الذى نفوه الى بابليون ، والأساقفة أمونيوس وأغاثوس وأغاثوديمون وأبلونيوس ويولوجيوس وبفنوتيوس وأبوللون وجايوس وفلافيوس وديسقوروس وهراكليوس وبسينى والكاهنان هيراكس وديسقوروس نفوهم الى أسوان ، ثم راحوا يطاردونهم من كفر الى كفر ويسخرون كثيرين منهم فى المناجم والمحاجر . كما ذبحوا بعضهم الآخر بلا شفقة ولا رحمة ، وقد أوصى البابا أثناسيوس بتكريم هؤلاء فى الكنيسة باعتبارهم شهداء وقديسين مباركين .

ب ــ أمثلة من مذابح الشهداء فى غير مصر :

(١) ١٥٠ شهيداً فى بلاد الفرس :

هاجم ملك الفرس الوثنى بلاد المسيحيين التى كانت متاخمة لحدود مملكته وسبى مائة وخمسين من أهلها الى بلاده ، ولما لم يطيعوه فى عبادة الشمس والكواكب أمر بضرب أعناقهم جميعاً فماتوا شهداء .

(٢) ١٠٠ شهيد فى بلاد الفرس مع القديسين ببنودة وتاوضروس :

وقد استشهد فى بلاد الفرس أيضاً القديس ببنودة المتوحد والقديس تاوضروس العابد ومعهما مائة شهيد من المسيحيين .

(٣) ١٢٨ شهيداً فى بلاد الفرس مع القديس صادوق :

طلب بهرام ملك الفرس من القديس صادوق أن يسجد للشمس فأجابه قائلاً « إننى لم أنزل من أحشاء أمى لأسجد لهذه الشمس الفانية ، وإنما أسجد لخالقها » ، فقال له الملك « وهل لهذه الشمس خالق ؟ » فقال « نعم . إنه السيد المسيح خالقها وهو الهها والهنا » ، فأمر الملك بضرب عنقه . فلما ضرب السياف عنقه نزل عليه نور من السماء ، وحين رأى الحاضرون هذا النور آمن منهم ١٢٨ شخصاً فأمر الملك بضرب أعناقهم جميعاً .

(٤) استشهاد خمسين راهبة ورئيستهن القديسة صوفية :

كان هناك دير للراهبات فى الرها يضم خمسين راهبة من بلاد مختلفة ورئيستهن القديسة صوفية . فلما مر بهذا الدير الامبراطور الوثنى يوليانوس فى حربه مع ملك الفرس أمر جنوده بقتل كل الراهبات اللاتى فى الدير ونهب كل ما فيه . فهجموا على الدير وقتلوا كل اللاتى فيه من الراهبات ورئيستهن .

(٥) ٤٩ شهيداً فى أبيتينا بشمال أفريقيا :

كانت جماعة من أهل أبيتينا فى شمال أفريقية فى عهد الامبراطور دقلديانوس مجتمعة للاحتفال بالعشاء الربانى فى بيت شخص يدعى فيلكس أوكتافيوس على الرغم من صدور أوامر الامبراطور بمنع اجتماعات المسيحيين . وإذا برجال الحكومة يحاصرونهم ويقبضون عليهم ، فراحوا وهم فى الطريق ينشدون التراتيل والالحان الدينية بفرح وعلى رأسهم دانيفوس الذى كان عضوا فى مجلس شيوخ قرطاجنّه ، والقس ساترنينوس وأسرته . وحين قدموا للمحاكمة اعترفوا بأنهم مسيحيون ، فقيدّهم الجنود بالأغلال الحديدية وأرسلوهم الى قرطاجنّة وقدموهم للمحاكمة أمام أنيولينوس بتهمة عقد اجتماع مسيحى مخالفين بذلك أوامر الامبراطور . وقد راحوا يعذّبونهم واحداً بعد الآخر ليجبروهم على أن يبوحوا باسم زعيمهم ، فكان كل واحد منهم يحاول أن يلصق التهمة بنفسه وكانت إجاباتهم اعترافات صريحة بأنهم اشتركوا فى الاجتماع المسيحى بمحض ارادتهم لأنهم مسيحيون . وقد عذبوهم عذابات شنيعة حتى أن بعضهم مات أثناء

التعذيب وبعضهم الآخر ماتوا من الجوع فى السجن . وكان آخرهم صبياً صغيراً يدعى ايلاريانوس ابن القس ساترنينوس ، وكان قد شاهد اباه وواحداً من أخوته يعذبان عذاباً قاتلاً . كما شاهد واحداً آخر من اخوته يضربونه حتى الموت . وكانت شقيقته العذراء تساق الى السجن فى انتظار الاستشهاد ، وقد حاول أنيولينوس أن ينقى عن الصبى المسئولية بطريقة ملتوية ، غير أن إجابة الصبى كانت حاسمة إذ قال « إننى مسيحى وقد اشتركت فى الاجتماع بمحض إرادتى مع أبى وأخوتى » ، فأمر الوالى بالقائه فى السجن مع الباقين ممن صدر عليهم الحكم بالموت ، فاستشهدوا جميعاً .

(٦) ٤٠ شهيداً فى سبسطية بكبادوكيا :

كان الملك الرومانى ليسينيوس يتأهب فى عام ٣٢٠ للميلاد لمعركة حربية ، فأراد أن يذهب لاسترضاء الآلهة الوثنية ، وأمر جنود جيشه بالذهاب معه ، ففعلوا ذلك ، ماعدا أربعين جندياً منهم كانوا مسيحيين ، فأمر القائد بجلدهم وتمزيق أجسادهم بأظفار الحديد ، ثم القائهم فى السجن ، حتى إذا جاءوا بهم أمامه وهو فى سبسطية بكبادوكية ، وكان الوقت شتاء والجليد يغطى إحدى البحيرات القريبة ، أمر بتجريدهم من ثيابهم والقائهم فى البحيرة المتجمّدة ليتعذبوا ويموتوا موتاً بطيئاً ، فأسرعوا وألقوا بأنفسهم فى البحيرة ، وقد ظلوا يتحملون العذاب القاسى حتى أسلموا الروح بعد ثلاثة أيام .

(٧) الفتية السبعة فى مدينة أفسس :

كان فى مدينة أفسس فى عهد الامبراطور الرومانى ديكيوس سبعة فتية هم مكسيميانوس ، ومالخومس ، ومارينياس ، وديونيسيوس ، ويوحنا ، وسرابيوس ، وقسطنطينوس ، وكانوا جنوداً فى الجيش ، فلما أمر ذلك الامبراطور الوثنى بتعذيب المسيحيين فى عام ٢٥٢ للميلاد لجأ هؤلاء الفتية السبعة الى أحد الكهوف يحتمون

به . فلما علم الامبراطور بذلك أمر بسد باب الكهف عليهم ، وإذ كان أحد الجنود المكلّفين بهذا العمل مسيحياً نقش سيرتهم على لوح من النحاس وتركه داخل الكهف . وهكذا ماتوا جميعاً . وبعد نحو مائتى عام أى فى عام ٤٤٧ للميلاد تم اكتشاف أمرهم فى عهد الامبراطور ثاؤدسيوس الثالث ، ويقال أن أجسادهم وجدت سليمة كأنهم أحياء . وتحتفل الكنيسة بذكرى استشهادهم فى اليوم العشرين من شهد مسرى كل عام .

(٨) ١٥٠ شهيداً مع القديس سمعان الأرمنى فى بلاد الفرس :

كان القديس سمعان الأرمنى أسقفاً لبلاد الفرس فى عهد الملك سابور ابن هرمز الملقب بالأكتاف لأنه كان إذا أسر ملكاً من أعدائه خلع كتفيه وقد اضطهد المسيحيين اضطهاداً قاسياً ، فأرسل اليه ذلك القديس خطاباً يطلب اليه فيه تخفيف الوطأة على المسيحيين ، فاستحضره الملك وربطه بسلسلتين من الحديد ورماه فى السجن ، فراح يعظ المسجونين الوثنيين ويبشرهم بالمسيح فآمن كثيرون منهم فأمر الملك بضرب أعناقهم . ثم استحضر القديس من السجن ومعه مائة وخمسون من المؤمنين فأمر الملك كذلك بضرب أعناقهم ، وقد فزع أحدهم فراح زميل له يشجّعه . فقطع الملك لسان ذلك الذى شجعه وسلخ جلده وضرب عنقه بالسيف ثم ضرب عنق القديس فنال إكليل الشهادة وكان عمره عندئذ مائة وسبعة وعشرين عاماً .

(٩) استشهاد القديسة أربسيما و ٣٦ عذراء :

فى زمن دقلديانوس أراد هذا الامبراطور أن يتزوج فطلب من المصورين أن يطوفوا كل أنحاء الامبراطورية حتى يجدوا أجمل بناتها فيصوروها تصويراً دقيقاً . فلما جاء المصورون الى روما دخلوا هناك ديراً للعذارى فوجدوا فيه فتاة تدعى أربسيما ، ورأوا أنها جميلة الجميلات فصوروها وأرسلوا صورتها الى الامبراطور ، فلما رآها عقد العزم على الزواج منها ، فلما علمت بذلك أربسيما والعذارى اللاتى كن معها . وكن تسعة

وثلاثين عذراء ، بكين وخرجن من الدير وهن يصلين ضارعات الى السيد المسيح أن يحفظهن ويحفظ بتولتهن وهربن الى أرمينيا التابعة لمملكة ترداد وأختبأن هناك داخل معصرة فى إحدى الحدائق ، فلما طلب الامبراطور أربسيما ولم يجدها وعلم أنها فى أرمينيا أرسل الى الملك ترداد وطلب منه أن يحتفظ عنده بأربسيما فأرسل هذا الملك وجاء بها قسراً عنها ، فلما رأى جمالها أراد تدنيس بتوليتها ، فلم تمكّنه من ذلك ، ودفعته عنها دفعاً شديداً ، فأمر الجند بتعذيبها وقتلها ، فطرحوها على الأرض وقطعوا لسانها وفقأوا عينيها ، ثم أخيراً قطعوا رأسها ، فلما علم الامبراطور بقتلها أمر بقتل جميع العذارى اللاتى كن معها ، فأتى الجند بهن وثقبوا كعب كل واحدة منهن وسلخوا جلودهن وقطعوا أجسادهن اربا اربا ، فما لبثن أن لفظن أنفاسهن وقد ترك الجند أجسادهن مطروحة فى العراء ستة أيام حتى جاء القديس إغريغوريوس وأخذ أجسادهن ودفنها فى مكان مقدس .

الفصل السادس
استشهاد عائـــلات

أ ــ استشهاد عائلات فى مصر :

(١) القديسة رفقة وأبناؤها الخمسة :

كانت القديسة رفقة تقيم مع أبنائها الخمسة فى قرية مامونية التابعة لمركز قوص بالقرب من مدينة الأقصر فى صعيد مصر . وكانت أسماء أبنائها أغاثون وبطرس ويوحنا وأمون وأمونيا ، وكان الابن الأكبر وهو أغاثون عمدة قريته ، وكان محبوباً جداً من أهالى تلك القرية ، وكانوا مسيحيين وقد اعترفوا بايمانهم أمام القائد الرومانى ديونيسيوس فى مركز قوص . فعذّبهم عذاباً شديداً ، مبتدئاً بأمهم التى أثبتت صبراً واحتمالاً فوق طاقة البشر . وكانت تعزّى أولادها الخمسة ، وتشجّعهم على احتمال الآلام التى يكابدونها وهم يتعرضون لأبشع أنواع العذاب حتى أنهم بسبب شجاعتهم أمن كثيرون ممن رأوهم أثناء تعذيبهم . وخوفا من أن يزداد عدد المؤمنين فى قوص بسببهم ، اذ كانوا محبوبين فى تلك النواحى ، أشار البعض على القائد أن يرسلهم الى أرمانيوس والى الاسكندرية لتعذيبهم ، حيث لا يعرفهم أحد ، وإذ كان ذلك الوالى فى هذه الأثناء موجوداً فى ناحية شبرا بالقرب من الاسكندرية أدخلوهم الى هناك فعذبهم الوالى بكل أنواع التعذيب اذ وضعهم فى آلة الهنبازين وألقاهم فى الزيت المغلى . ثم قطع رؤوسهم وأمر بالقاء جثثهم فى البحر . فتقدم أحد المؤمنين وقدم بعض المال للجنود فسلموه أجسادهم . فحفظها عنده حتى أنتهى عهد الاضطهاد ، فى مقبرة ، ومازالت هذه الأجساد الطاهرة فى الكنيسة العظيمة التى بنيت على اسمهم فى بلدة سنباط بالقرب من مدينة دمنهور فى محافظة البحيرة ، وفى كل عام يذهب عدد كبير من زوّار الشهيد مارجرجس لزيارة هذه الكنيسة التى تحدث فيها معجزات كثيرة تدل على ما لهذه العائلة الباسلة من مكانة عظيمة بين القديسين .

(٢) الأم دولاجى وأبناؤها الأربعة :

فى زمن اضطهاد الامبراطور دقلديانوس ، كانت مدينة اسنا بصعيد مصر عامرة بالأقباط العظيمى التمسك بإيمانهم المسيحى . وإذ جاءت مراسيم دقلديانوس الى أريانوس والى أنصنا بقتل المسيحيين الذين يرفضون التبخير للأوثان ، قام برحلة فى بلاد الصعيد ليراقب مدى تنفيذ تلك المراسيم ، فلما دخل مدينة إسنا قابله أربعة صبية أشقاء وهم سوروس وهرمان وأبانوفا وشنشاس ، يسوقون دابة محمّلة بالفاكهة ، فأوقفهم وأمرهم أن يسيروا معه الى المعبد ليسجدوا للأوثان ، ولكنهم رفضوا وأعلنوا أنهم مسيحيون ، فأخذ يهدّدهم ، وما أن علمت أمهم دولاجى بما حدث حتى سارعت الى أولادها تشجّعهم وتقويهم ، فأمر أريانوس بحبسهم جميعاً ، ثم فى الصباح إستدعاهم وحاول أن يقنعهم بالتبخير للأوثان فصرخت دولاجى معلنة أنها مسيحية ، وكذلك فعل أبناؤها الأربعة ، فأمر بقطع رؤوسهم ، على أن يذبح أبناؤها على ركبتها واحداً بعد الآخر . وفيما كانوا يفعلون ذلك كانت تصلّى وترتّل ، حتى اذا استشهد أبناؤها الأربعة قطع الجنود رأسها ، فكانوا هم أول الشهداء فى إسنا فى عهد دقلديانوس ، ومازالت أجسادهم بالكنيسة التى تحمل إسمهم فى مدينة إسنا حتى اليوم .

(٣) القديسة ديدرها وإبناها أباهور والأنبا بشاى :

كان أباهور جندياً فى جيش أنطاكية ، وحين كان فى الاسكندرية واعترف أمام الوالى بالمسيح أمر بقطع يده اليمنى ، ثم ربطه فى أحد الثيران ليجرى به فى شوارع المدينة . ثم وضع صفائح محماّة على جسمه ، ثم قطع يده الأخرى ، ثم سكب فى حلقه رصاصاً ساخناً ، ولكنه تحمّل كل ذلك بصبر ، وفى هذه الأثناء جاءت أمه ديدرا فطلب منها الوالى أن تسجد للأوثان فرفضت ، فوضع فى جنبيها خطاطيف من الحديد المحمّى ، فظلت تتعذب فى صمت ، حتى أسلمت الروح ، ثم استدار الوالى الى إبنها أباهور وكان لا يزال صامداً وصابراً فانقض عليه فى غيظ وطعنه بحربة فى صدره فأسلم الروح ، ثم جاء أخوه الأنبا بشاى فعذّبه الوالى ثم قطع رأسه ، فحمل بعض المؤمنين جسده وجسد أمه وجسد أخيه ، ودفنوها معاً .

(٤) القديس أباكير وأخوه فيليا ، ويوحنا وأبطلما :

كان أباكير من أهل دمنهور ومن إيبارشية بوصير غربى النيل ، وكان له أخ يسمى فيليا ، وكانا من أسرة غنية جداً ، وقد اعترف بإيمانهما المسيحى أمام والى قرطسا ، ومعهما قسيسان هما يوحنا وأبطلما . فأمر الوالى بالقائهم فى قمين موقد ، ثم أمر بربطهم فى ذيول الخيل لترمح بهم من قرطسا الى دمنهور . وإذ بقوا بعد ذلك على قيد الحياة قطع رؤوسهم بالسيف ، فجاء بعض المؤمنين من بلدة صا وأخذوا أجسادهم ودفنوها فى مقبرة وأقاموا عليها كنيسة باسمهم .

(٥) يسطس ابن الملك نوماريوس وزوجته ثاوكليا وإبنهما أبالى :

كان يسطس ابن الملك نوماريوس وزوجته ثاوكليا وابنهما أبالى قد اعترفوا بالمسيح فى عهد الامبراطور دقلديانوس ، فأرسلهم ذلك الامبراطور الى أرمانيوس والى الاسكندرية لتعذيبهم ، ولكن هذا الوالى أرسل يسطبس الى أريانوس والى أنصنا . وأرسل ثاوكليا الى مدينة سايس وهى صا الحجر على فرع رشيد جنوبى فوّه ، كما أرسل أبالى الى مدينة بسطة بقرب الزقازيق الحالية ، وبعد أن عذبوهم بكل أنواع التعذيب قطعوا رؤوسهم . ولازالت رفات أبالى موجودة بكنيسة الأنبا رويس الأثرية بالكاتدرائية بالعباسية .

(٦) الأنبا ديسقوروس وأخوه اسكلابيوس :

كان الأنبا ديسقوروس وأخوه اسكلابيوس ابنى رجل مسيحى من ذوى اليسار فى مدينة أخميم ، وبعد موت أبيهما مضيا الى جبل اخميم وتتلمذا على شيخ بار منقطع للعبادة .. ثم عاشا فى هذا الجبل خمسة وأربعين عاماً ، حتى إذا بلغهما أن الوالى أريانوس جاء الى أخميم لقتل المسيحيين نزلا الى تلك المدينة وراحا يشجعان أهلها على الصبر والثبات ، فلما قبض الوالى عليهما أعلنا إيمانهما أمامه ، فقال لهما « أنتما تؤمنان بخرافات . هيّا اسجدا الى الآلهة التى نسجد نحن لها ، وإلا سيكون جزاؤكما هو العذاب والموت » . فقالا « إننا لا نسجد لهذه الآلهة ، ونحن لا ننسى أولئك المؤمنين الذين استشهدوا اليوم ، فقد كنا نرى أرواحهم صاعدة أمامنا الى السماء ، ونحن مستعدون

كذلك لأن نموت مثلهم . ومهما صنعت بنا فإننا نريد أن نلحق باخوتنا » . فغضب الوالى وأمر جنده بتعذيبهما أشد تعذيب ، وبعد أن كابدا الأهوال التى صبها الجند عليهما ، ضربوا عنقيهما بالسيف فأسلما الروح وماتا شهيدين .

(٨) القديس يوحنا وسمعان ابن عمه :

كانت أم يوحنا عاقراً ، فسأل أبوه السيد المسيح أن يرزقه ولداً ، وأعطى عهداً على نفسه أن يجعل هذا الولد خادماً للرب ، فرأى القديس يوحنا المعمدان فى رؤيا يخبره بأن الرب سيعطيه ولداً ،، ثم رزق ولداً فسماه يوحنا ، وبنى كنيسة على اسم يوحنا المعمدان ، وحين بلغ الولد الثامنة عشرة من عمره تمت رسامته قساً وأصبح سمعان ابن عمه تلميذاً له . فلما أعلن الامبراطور دقلديانوس الأضطهاد على المسيحيين اعترف هو وابن عمه بإيمانهما أمام والى الإسكندرية فعذبهما أقسى عذاب ثم قطع رأسيهما ، ودفن المؤمنون جثتيهما فى بلدة سنبوطية التى هي سنباط .

(٨) القديس مويسيس وأخته سارة :

ولد القديسان مويسيس وأخته سارة من أبوين قبطيين بمدينة الاسكندرية وبعد وفاة ابيهما أراد مويسيس أن يزوج أخته ويمضى هو الى الدير ، فقالت أخته « تزوج أنت أولاً وبعد ذلك أتزوج أنا » ، فقال لها « إنى خاطىء وأريد أن أتقرب إلى الله بالرهبنة » فقالت « إن كل ما تحبه لنفسك عليك أن تحبه لى ، ولذلك اشتهت نفسى أن أترهب مثلك » . فوزعا كل ما يمتلكانه على الفقراء ، ثم ادخل مويسيس أخته فى دير للراهبات ، ودخل هو ديراً للرجال بظاهر الاسكندرية . وقد ظل الإثنان عشر سنوات لا يرى أحدهما الآخر ، فلما ثار الامبراطور ديسيوس ضد المسيحيين فى عهد بطريرك الاسكندرية البابا ديمتريوس البابا الثانى عشر ، واستشهد عدد كبير من الأقباط أرسل مويسوس إلى أخته يودعها ويذكر لها أنه يريد الاستشهاد ، فطلبت هى من رئيسة الدير اطلاق سراحها ، ثم لحقت بأخيها وهو فى طريقه الى الإسكندرية واعترفا بالسيد المسيح أمام الوالى ، فعذبهما بكل وسائل التعذيب ثم قطع رأسيهما .

(٩) القديسان أونابيوس وأخوه أندراوس :

كان أونابيوس وأندراوس من أبناء عائلة كبيرة فى لدّة ، وقد اتفقا على أن يترهبا فى أحد الأديرة بالشام ، ثم نزلا الى مصر وتتلمذا للقديس مكاريوس وأقاما معه ثلاث سنوات ، فشاع ذكر تقواهما ونسكهما ، ومن ثم أختير أونابيوس أسقفا واختير أندراوس قساً . ولما سمع بهما الامبراطور يوليانوس استحضرهما وطلب منهما أن ينكرا المسيح ويعبدا الأوثان ، فلما رفضا ظل يذيقهما كل صنوف العذاب حتى أسلما الروح .

(١٠) القديسان أبادير وأخته إيرينى :

كان أبادير هو ابن أخت باسيليوس الذى كان وزيراً فى أنطاكية وكان أبوه قائداً للجيش فى عهد الامبراطور دقلديانوس . فلما مات أبوه عين قائداً فى مكانه ، وقد رأى فى رؤيا أنه سينال إكليل الشهادة هو وأخته إيرينى ، كما رأت أخته هذه الرؤيا نفسها . فلما علمت بذلك أمهما ارتعبت وأخذت من ابنها وعداً بأن لا يذهب الى دقلديانوس ، ولكنه لم يلبث أن رأى الرؤيا نفسها ، فأخذ أخته وذهب الى الأسكندرية ، ثم ذهبا الى الأشمونين ، واجتمعا هناك بشماس يدعى صموئيل ، وفى الغد مضى معهما هذا الشماس الى أنصنا ، واعترف أمام واليها أريانوس فعذبهما عذاباً رهيباً حتى أسلما الروح ، فأخذ الشماس صموئيل جسديهما وحفظهما فى بيته حتى انتهى زمن الاضطهاد فبنيت لهما كنيسة عظيمة .

(١١) القديس ثاؤوفيلس وزوجته :

كان القديس ثاؤوفيلس وزوجته من أهالى مدينة الفيوم فى عهد الامبراطور دقلديانوس . وكانا مسيحيين فلما علم الوالى بأمرهما استدعاهما فاعترفا أمامه بإيمانهما بالمسيح ، فأمر جنوده بأن يحفروا لهما حفرة عميقة ويلقوا بهما فيها ، ثم يردموها عليهما بالحجارة ففعلوا بهما ذلك فماتا على الفور .

(١٢) أبا إيسى وأخته تكلا وابنها أبولونيوس :

كان أبا إيسى من أبوصير غربى الأشمونين بمركز الواسطى بمحافظة بنى سويف ، وكانت له أخت تسمى تكلا ، وله صديق تاجر كبير يسمى بولس . وقد حدث أن هذا الصديق ذهب الى الاسكندرية للتجارة ، فمرض هناك مرضاً شديداً ، فذهب اليه أبا ايسى للأطمئنان عليه فوجده قد تماثل للشفاء ، واذ كان ذلك فى زمن الاضطهاد راح الصديقان ينفقان من أموالهما على الأقباط الذين فى السجون ويخدمانهم ويقويانهم ويثبتانهم . وحين علم والى الاسكندرية بذلك القى القبض على أبا إيسى فأعترف هذا امامه بالسيد المسيح فأمر بتعذيبه ، فنزع الجند عنه ثيابه وعصروه بالمعصرة وأشعلوا النار فى جسده ثم بطحوه على وجهه وضربوه بالسياط ، ولكن الله قواه على احتمال تلك الأهوال ، وكان صديقه بولس بينذاك يبكى عليه ويتوجع من أجله ، ولم تلبث أخته تكلا أن سمعت بما حدث له فأسرعت اليه وأبدت رغبتها فى أن تستشهد معه ثم وقفت أمام الوالى واعترفت بإيمانها ، فأمر جنده بتعذيبها ، فوضعوها فى جهاز الهنبازين وعصروها فيه عصراً وأشعلوا فى جسدها النار وسمروها بالمسامير وسلخوا جلدها . وكان الرب يقويها ، واذ ظلت هى وأخوها على قيد الحياة أرسلهما والى الاسكندرية الى والى الخصوص ، ولكن المركب توقفت بهما فى النيل ، فأمر الوالى بقطع رأسيهما وإلقاء جثتيهما على الشاطىء فى الشوك والحلفا ، ففعل الجنود بهما ذلك ونالا إكليل الشهادة . وقد أخذ قس اسمه مكاريوس جسديهما وحفظهما . وكان أبولونيوس ابن القديسة تكلا قد لحق بأمه فقتله الوالى ، كما قتل بولس صديق الأبا إيسى .

(١٣) القديسة أثناسيا وبناتها الثلاث وأبوقير ويوحنا :

كانت القديسة أثناسيا وبناتها الثلاث ثاودوريا أى عطية الله ، وثاوبستا أى أمانة الله ، وثاودكسا أى مجد الله ، مصريات من أهل الاسكندرية ، ثم انتقلن الى أنطاكيا وانتقل معهن كذلك القديسان المصريان أبو قير وكان راهباً ويوحنا وكان جنديا فى حرس الامبراطور . وقد اعترفوا جميعاً بالسيد المسيح أمام الامبراطور دقلديانوس ، فلما علم أنهم من الاسكندرية أمر بارسالهم الى هناك حيث قدموا للوالى واعترفوا أمامه

بالسيد المسيح ، فأمر بأن تؤخذ رؤوسهم . وكانت القديسة أثناسيا أم العذارى تشجع الجميع ، وقد استشهدوا كلهم وأمر الوالى بطرح أجسادهم للوحوش وطيور السماء . ولكن بعض المؤمنين جاءوا وأخذوا أجسادهم خلسة وكفنوها ثم وضعوها فى تابوت ودفنوها فى تقديس وإكرام .

(١٤) القديسان أبيرو وأخوه أتوم :

كان القديسان أبيرو وأخوه أتوم قبطيين من أهل سنباط وكان اسم أبيهما يوحنا واسم أمهما مريم ، ولما توفى أبوهما وأصبح عمر أبيرو ثلاثين سنة ، وعمر أتوم سبعة وعشرين سنة كانا ملازمين للكنيسة . وفى أثناء زمن الاضطهاد أخذا بعض البضائع التجارية ومضيا الى الفرما ليبيعاها فوجدا هناك بعض الجنود يحملون جسد قديس طبيب يسمى أبانوا فأعطياهم مبلغاً كبيراً من المال وأخذاه منهم وأتيا الى منزلهما ووضعوه فى صندوق من الرخام وعلّقوا أمامه قنديلاً فظهرت منه آيات عظيمة ، ثم ذهبا بعد ذلك الى الاسكندرية واعترفا أمام الوالى بالسيد المسيح فأمر جنوده بتعذيبهما فضربوهما بالسياط حتى سال دمهما على الأرض ، ثم سمّروا جسديهما بالمسامير ، وأوقدوا تحتهما النار ، ولكن الله قوّاهما وأنقذهما من الموت فأخذهما الوالى وسلمهما الى والى الفرما ، فلما وقفا أمامه طلب منهما السجود للأوثان فرفضا فوضعهما فى مزيج من الملح والخل والجير ، ثم سمرهما على سرير من الحديد وأوقد تحتهما النار ، وقلع أظافر أيديهما وأقدامهما وضربهما بالمسامير على فمهما . وفى أثناء هذا التعذيب ماتت زوجة الوالى ، فطلب منهما أن يصفحا عنه ويطلبا الى الههما أن يقيم زوجته ، فطلبا ذلك من السيد المسيح فأقامها وعندئذ آمن الوالى وكل أصحابه وأطلقا سراح الأخوين ، فعادا الى سنباط وسلّما جسد القديس أبانوا لرجل يسمى سرابامون وطلبا اليه أن يوقد قنديلاً أمامه ثم تقدّما الى والى سنباط واعترفا أمامه بالمسيح فأمر بضربهما ثم سحلهما فى شوارع المدينة ، فكانت دماؤهما تجرى على الأرض ، فأتت امرأة خرساء وصماء وأخذت من دمهما ووضعت فى فمها وأذنيها ، فسمعت وتكلمت فأمسكها جند الوالى والقوا بها فى السجن . ثم أخرجوها وقتلوها كما قتلوا أبيرو وأخاه أتوم ، وقتلوا سرابامون ، فجاء بعض المؤمنين من أهل سنباط وكفنوهم ودفنوهم بعد أن ضمّوا اليهم جسد القديس أبونوا وبنوا لهم كنيسة لا تزال باقية فى سنباط .

(١٥) القديس بنيامين وأخته أودكسية :

كان بنيامين وأخته أودكسية من أهل شبشير ، وكان أبواهما مسيحيين تقيين فربياهما تربية فاضلة . ولما كبر بنيامين اعترف امام والى شطانوف بالسيد المسيح فعذبه ثم القى به فى السجن ، فلما سمع أبواه وأخته بالخبر أتوا اليه فى انزعاج شديد ، فأخذ يشجعهم ويعزيهم بعبارة مؤثرة . وحين سمعت أخته أودكسية كلمات النعمة التى خرجت من فمه ، قالت له « يا أخى حى هو الرب أننى لا أفارقك وأموت معك » واعترفت أمام الوالى بأنها مسيحية فقبض عليها وأمر بأن توضع مع أخيها فى مكان مظلم ، مكثت فيه عشرين يوماً بغير أكل أو شرب ، وبعد ذلك أخرجوهما وعلّقوا فى عنقيهما أحجاراً ثقيلة والقوا بهما فى النيل فنالا إكليل الشهادة ، وبنيت لهما كنيسة فى مدينتهما شبشير .

(١٦) القديسة صوفية وابناها يوديمون وبسطامون :

كان ناسك يدعى ورشانوف قد وقع عليه الأختيار ليكون أسقفاً فهرب الى بلدة طحمون التابعة لكرسى بانا إحدى أيبارشيات مصر ، ونزل ضيفاً على القديسة صوفية وابنيها يوديمون وبسطامون . ولم يلبث أن ظهر له ملاك بالليل وقال له « لماذا أنت نائم والجهاد مبسوط والأكاليل معدّة . قم اذهب الى الوالى واعترف أمام المسيح فتنال اكليل الشهادة . ففى الصباح قصّ على الاخوين وأمهما هذه الرؤيا ، فاتفقوا جميعاً على أن يذهبوا معاً الى الوالى لينالوا الأكاليل السماوية . وبالفعل ذهبوا الى الوالى واعترفوا أمامه بالسيد المسيح ، فعذّبهم والقاهم فى السجن ، ثم أخذهم معه من بلبيل الى سنهور ، وهناك عرض عليهم أن يبخروا للأوثان فيطلق سراحهم ، ولكنهم رفضوا رفضاً باتاً ، فراح يعذبهم والرب يقويهم ، ثم أخذهم معه الى مدينة صا وهناك أمر الوالى بتعذيبهم ثم قتلهم جميعاً . وفى هذه الأثناء أنبأ كهنة الأوثان الوالى أن سيدة قبطية تدعى دبامون تسب الآلهة . وكانت سيدة تقية كثيرة الاحسان مداومة على الصلاة ولها ابنة تدعى يوانا فأرسل الوالى اليها جندياً يدعى أولوجى ليأخذ رأسها — فلما أتى اليها ورأى وجهها الملائكى أحجم عن أن يقتلها وأراد أن يعود بها الى الوالى ، فودعت أهل بيتها ، وخرجت ، حتى إذا بلغت مدينة صا إجتمعت بالقديس ورشانوفا

والقديسة صوفية وولديها . وأما الجندى المكلف بقتل دبامون ، فقد اعترف أمام الوالى بالسيد المسيح فأمر بقطع رأسه وأمر بتعذيب القديسة دبامون ، فوضعوها فى جهاز الهنبازين وعصروها ، ثم انهالوا عليها بكل وسائل التعذيب الأخرى ، ثم طلب منها الوالى أن تبخر للأوثان فرفضت فأمر بقطع رأسها ، وكذلك أمر بقطع رأس القديس ورشانوفا فى التاسع والعشرين من شهر أبيب . ثم أمر بقطع رؤوس القديسة صوفية وابنيها يوديمون وبسطامون ، فقطعت رؤوسهم فى الثالث عشر من شهر أمشير . وبذلك نالوا جميعاً أكاليل الشهادة .

ب ــ استشهاد عائلات فى غير مصر :

(١) ثيئودونى وأبناؤها قزمان ودميان وأنيموس ولونديس وايرابيوس :

كانت ثيئودونى ومعنى اسمها عطية الله من أهالى مدينة ايجيا بمقاطعة كيليكية بآسيا الصغرى ، وكانت مسيحية تعيش فى عصر الامبراطور دقلديانوس ، فى أواخر القرن الثالث الميلادى ولها خمسة أبناء هم قزمان ودميان وأنيموس ولونديس وايرابيوس ، وكانوا أطفالاً حين مات أبوهم . فقامت أمهم بتربيتهم تربية مسيحية فلما كبروا مارس قزمان ودميان الطب ، وأما الثلاثة الآخرون فأصبحوا رهباناً وقد نبغ قزمان ودميان فى مهنتهما ، وكانا يمارسانها مجاناً فى أغلب الأحيان ، وكانا يستخدمان الصلاة فى علاج المرضى ، فضلاً عن الأدوية ، فاشتهر عنهما أنهما يصنعان المعجزات ، ولم يلبث ليسياس حاكم منطقة ديرما أن بدأ اضطهاد المسيحيين بناء على أوامر دقلديانوس . فما سمع بما يفعله الأخوان الطبيبان حتى قبض عليهما ولا سيما أن الوثنيين اتهموهما بأنهما يزاولان السحر فى مهنتهما ويجذبان الناس بهذه الطريقة الى ديانتهما . كما قبض على اخوتهما الثلاثة الآخرين وقبض على أمهم وهدّدهم جميعا بأقسى وسائل التعذيب إن لم يسجدوا للأوثان . ولكن تهديداته لم تؤثر فيهم بل ظلوا صامدين وصابرين ، فأمر جنده بأن يقيدوهم بالسلاسل الحديدية ، وأن يضعوا كلا منهم فى جهاز الهيمبازين حتى تتحطم عظامهم . فلما رأى الوالى ثباتهم بالرغم من ذلك ، أمر بأن يوثقوهم ويلقوهم فى البحر ، ولكنهم تم انقاذهم بمعجزة الهية ، فأمر الحاكم بتعليق الأخوين قزمان ودميان

القديسان الشهيدان قزمان ودميان

على صليبين ، وأما باقى الأخوة فقد أمر بوضعهم موثقين بالسلاسل بين الصليبين ، ورجمهم بالحجارة . واذ راحت أمهم تشجعهم ثار الوالى وأمر بقطع رأسها ، وقد ظل جسدها مطروحاً فى العراء لا يجسر أحد على الاقتراب منه ، حتى تقدم القائد بقطر ابن رومانوس وأخذ جسدها وكفنه ودفنه ، فغضب الوالى وأمر بتعذيبه ونفيه الى صعيد مصر . ولم يلبث أن آمن هناك واستشهد . وبعد أن انتهى عهد الاضهاد ، قام المؤمنون ببناء كنائس كثيرة باسم أولئك الشهداء . وقد تمت فى هذه الكنائس معجزات عظيمة .

(٢) كوبنلاوس وأخته إكسو وصديقه طاطس :

كان طاطس حاكماً لأحدى المقاطعات فى بلاد الفرس ، وكان مسيحياً فوشى به البعض لدى سابور ملك فارس . فأمر بتعذيبه . ثم أمر بإلقائه فى أتون النار . ولكنه رسم على النار علامة الصليب ، فتراجعت النار وانطفأت على الفور وخرج منها سليماً . واذ رأى ذلك كوبنلاوس أحد أبناء الملك سابور ، آمن بالسيد المسيح بعد أن رأى النار تتراجع أمام علامة الصليب ، ولا سيما أن النار كانت هى معبود الفرس ، فأمر الملك بقطع رأس طاطس وسجن ابنه بعد تعذيبه ، ثم أرسل إليه أخته إكسو فى السجن عسى أن تثنيه عن إيمانه الجديد ، ولكن كوبنلاوس على العكس أقنع أخته بالإيمان وأرسلها الى أحد الكهنة سراً ليعمدها ، فما سمع الملك بذلك حتى أمر بتعذيبها فماتت أثناء التعذيب . وأما كوبنلاوس فقد أمر الملك جنوده بأن يربطوه فى ذيل حصان لينطلق به فى الجبال ، وبالفعل سحلوه بهذه الطريقة ، فلم يلبث أن استحال الى أشلاء مبعثرة ، ثم فى النهاية أسلم الروح .

(٣) القديسة صوفية وبناتها بيستيس وهلبيس وأغابى :

كانت القديسة صوفية من أسرة كبيرة فى أنطاكية ، وكانت وثنية ثم اهتدت الى الايمان المسيحى . وكانت لها ثلاث بنات هن بيستيس أى الإيمان وكانت فى الثانية عشرة من عمرها ، وهلبيس أى الرجاء وكانت فى العاشرة وأغابى أى المحبة وكانت فى التاسعة . وبعد وفاة زوجها رحلت الى روما لتتلقى هناك العماد هى وبناتها ، ثم

بعد العماد راحت تبشّر بين الوثنيين حتى انكشف أمرها . وكان ذلك فى عهد الامبراطور هادريان الذى جلس على عرش الامبراطورية الرومانية فى المدة من سنة ١١٧ الى سنة ١٣٨ ميلادية . فلما علم الامبراطور بأمر القديسة صوفية وبناتها أمر بإحضارهن مشدودات بشعورهن ، ثم راح يحاول بكل وسائل الترغيب والترهيب أن يرجعهن عن إيمانهن ، ولكنهن ثبتن ثباتاً رائعاً ، فأمسكهن واحدة بعد الأخرى ، وأمر بضرب الابنة الكبرى بالمطارق وقطع أجزاء من جسدها . ففعل بها الجند ذلك . ثم أوقدوا ناراً تحت خلقين من الزيت وألقوها فيه ، وأخيراً قطعوا رأسها بالسيف . ثم أخذوا الثانية هلبيس فضربوها ضرباً مبرحاً ووضعوها فى خلقين الزيت المغلى ، وأخيراً قطعوا رأسها ، ثم أخذوا الثالثة أغابى ووضعوها فى جهاز الهنبازين وعصروها فيه عصراً ، ثم أوقدوا النار على سفافين من الحديد وغرسوها فى جنبيها ، وأخيراً قطعوا رأسها . وفى النهاية أمسكوا أمهن صوفية بعد أن رأت بناتها وهن يتعذبن ويقتلن وقطعوا رأسها . ثم جاء قوم من المؤمنين وأخذوا أجساد القديسات الأربع وكفنوها ودفنوها معاً .

(٤) القديسات ماكسيما وأختها دوناتيللا وسيكوندا :

أثناء اضطهاد دقلديانوس ومكسيميانوس حلّ أنيولينوس والى أفريقيا بمدينة تيوبريو بشمال أفريقيا ، وأرسل اثنين من ضباطه لدعوة جميع المسيحيين الى ضيعة امبراطورية ليقدّموا القرابين للآلهة ، فانهاروا مع الأسف جميعاً وأنكروا إيمانهم ، وكانت بينهم امرأة تعسة أضافت الى خطيئة جحودها خطيئة الخيانة ، اذ صاحت قائلة « لقد جئنا جميعاً لنقدم القرابين للآلهة . ماعدا فتاتين هما ماكسيما ودوناتيللا » . فجيء بهاتين الفتاتين الى الوالى وراح الوالى يحاكمهما . وكانت ماكسيما فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها ، وقد قال لها الوالى فى أثناء محاكمتها أنها مالم تضحّ للآلهة سيكون هذا اليوم هو آخر يوم فى حياتها ، فأجابته قائلة : « ضحّ لها أنت لأنك شبيه بها » . ثم جاء دور دوناتيللا ، فلم تكن إجابتها اقل قوة من إجابة أختها ، فأمر الوالى بأن تساقا الى مدينة تيوبريو وأن يمنع عنهما الطعام والشراب ، وفى طريقهما الى تلك المدينة انضمت اليهما صديقة لهما تدعى سيكوندا فى الثانية عشرة من عمرها ، وقد كانت تطلّ من شرفة

قصر أبويها الثريين ، فما أن رأت ماكسيميلا ودوناتيللا تساقان فى الطريق حتى قفزت اليهما وتوسّلت إليهما أن يآخذاها معهما ، فحاولتا أن تثنياها عن عزمها لأنها كانت وحيدة أبويها ، لكنها أصرّت على أن تموت معهما ، مبدية شوقها لأن تنال الحياة الأبدية وبعد أكثر من محاكمة أمر الوالى بجلد الفتيات الثلاث ، فجلدوهن حتى تمزقت ظهورهن ، ثم أرقدوهن على ظهورهن الممزقة فوق قطع من الزجاج المهشم . ثم وضعوا الفحم المشتعل على رؤوسهن وصدورهن ، وظلوا يعذبوهن بألوان أخرى من التعذيب حتى أقرّ الوالى بأنهن أرهقنه دون جدوى ، ثم أمر أخيراً بقطع رؤوسهن بالسيف ، فأسلمن أرواحهن . وكان ذلك فى اليوم الثلاثين من شهر يوليو سنة ٣٠٤ ميلادية .

(٥) القديسان أبيفانوس وأخوه أوديسيوس :

كان أبيفانس شاباً فى التاسعة عشرة من عمره من أسرة عريقة فى آسيا الصغرى ، وكان أبواه وثنيين ، وقد أرسلاه الى بيروت ليكمل تعليمه ، وكانت هذه المدينة حينذاك تشتهر بحياة الرذيلة والترف ، كما تشتهر بالعلم ، غير أن الشاب أدهش الناس بطهره وفضيلته ، فلما أتم دراسته عاد الى موطنه . ويبدو أنه اعتنق المسيحية أثناء اغترابه ، فإنه ما أن عاد الى مدينته حتى عقد العزم على الهرب من تلك المدينة ، ومن ثم رحل الى قيصرية احدى مدن فلسطين ، وانضم هناك الى مدرسة بامفيلوس ، وعاش حياة النسك التى يعيشها أستاذه . وبعد أن قضى قرابة عام فى قيصرية صدر مرسوم الامبراطور دقلديانوس الذى يقضى بحضور السكان جميعاً للاشتراك فى حفلات تقديم القرابين للآلهة الوثنية . واذ كان الحاكم ايربان يقوم بنفسه بصب السكيبة للآلهة ، تقدم منه أبيفانوس وأمسك بيده وأمره بأن يكف عن هذا العمل ، طالباً اليه عبادة الله الواحد . فهجم عليه الحراس فى شراسة وألقوا به فى السجن موثوق القدمين بالمقطرة . وفى اليوم التالى جاءوا به أمام ايربان الذى أمره بأن يبخّر للأوثان فرفض ، فبدأت معه سلسلة من التعذيبات التى أدت الى تفسيخ ضلوعه ، وقد انهالت اللكمات على وجهه حتى تورمّ وتشوّه ، ثم لفوّا حول ساقيه خرقاً كتانية مبللة بالزيت وأشعلوا فيها النار ، فسالت عصارات جسمه ، ثم فى اليوم التالى ألقوه فى البحر فمات . وقد كان يوسابيوس الذى روى لنا قصة استشهاد هذا الشاب حاضراً وشاهد عيان لما حدث .

وقد استطرد قائلاً إن زلزالاً وقع فى ذلك الحين فهز المدينة ، وهبّت عاصفة عاتية على البحر ، وبين زمجرة الريح ألقت الأمواج جثة الشاب الشهيد بالقرب من أبواب مدينة قيصرية . وقد كان أخوه أوديسيوس لا يقلّ بسالة عن أخيه ، وكان أكبر منه سناً ، كما كان يفوقه علماً ، ويجيد آداب اللغتين اليونانية واللاتينية . وقد حكم عليه بالأشغال الشاقة فى مناجم النحاس فى فلسطين ، فلما أطلق سراحه ذهب الى مدينة الاسكندرية وكان هيروكليس حاكم مصر قد حكم على بعض الفتيات المسيحيات بعقوبات مخجلة ، فتصدى له أوديسيوس وهو غاضب وعنفه تعنيفاً شديداً ، فقبض الحاكم عليه ، وانهال عليه بسلسلة من التعذيبات البشعة ، ثم ألقى به فى البحر فمات غريقاً .

(٦) بالاريانوس وزوجته كيليكية وأخوه تيبورتيوس :

كان القديس بالاريانوس من أهل روما ، وكان والداه وثنيين ، وقد خطب ابنة رجل من كبراء روما إسمها كليليكية ، وكانت مسيحية وقد بشرته بديانتها فآمن على يديها ، وقد دفع للإيمان كذلك أخاه تيبورتيوس ، فلما أثار الامبراطور دقلديانوس الاضطهاد ضد المسيحيين ، كان هذان القديسان يطوفان ويأخذان أجساد الشهداء ويكفنانها ويدفنانها ، فسعى بهما بعض الأشرار عند طرسيوس حاجب الامبراطور ، فأمر بإحضارهما فاعترفا أمامه بأنهما مسيحيان فهددهما كثيراً ، ولما رأى ثباتهما سلّمهما للجند ليضربوا عنقهما . وبعد أن ضربوا عنقهما شاهد طرسيوس ملائكة يزفّون روحيهما فآمن بالمسيح فأمر الامبراطور بضرب عنقه هو الآخر كما أمر بضرب عنق كيليكية زوجة بالاريانوس ، وهكذا نالوا اكليل الشهادة .

(٧) مار بهنام وأخته سارة :

كان مار بهنام إبناً للامبراطور يوليانوس الذى ارتدّ عن العقيدة المسيحية . وكانت أخت مار بهنام مصابة بالجذام ، وقد تعب أبوها فى علاجها دون جدوى . وكان ثمة راهب يدعى متى قد هرب من مملكة ذلك الامبراطور ، لأنه أمر الشعب بالتضحية للأوثان ، وهرب معه جماعة من المسيحيين وأقاموا فى أحد الجبال . وقد اشتهر ذلك

الراهب بصنع المعجزات . ثم حدث أن مار بهنام خرج يوماً للصيد فى ذلك الجبل ، حتى إذا أقبل الليل نام هو وجماعته هناك ، فرأى فى رؤيا وهو نائم ملاكاً يأمره بأن يمضى الى القديس متّى كى يصلّى علىٰ أخته فتبرأ من مرضها ، فما استيقظ فى الصباح حتى أسرع يفتش عن ذلك القديس فى الجبل حتى وجد مغارته فسجد له وأنبأه برؤياه ، ثم جاء بأخته اليه فصلى عليها فشفاها ثم عمدّها . فلما علم الأمبراطور بشفاء ابنته فرح فرحاً عظيماً ، وقد ظن أن الذى شفاها هو كهنة الوثنيين . حتى إذا علم أن الذى شفاها هو السيد المسيح على يد القديس متّى غضب غضباً شديداً وهدّد ابنه وابنته بالعقاب . فهربا أثناء الليل الى الجبل كى يستشيرا القديس متّى ، فأمر أبوهما الجند بأن يتبعوهما ويقتلوهما . وبالفعل وجدوهما خارج المدينة وقتلوهما . ولما علم الامبراطور بموتهما ، أصابه الجنون ، فطلبت أمهما احضار القديس متّى ليصلّى عليه ويشفيه . فلما شفاه باسم السيد المسيح آمن هو وزوجته بالسيد المسيح ، كما آمن كثيرون من الشعب ، وبنوا على جسد مار بهنام وأخته ديراً عظيماً ، وقد ظهرت من هذين الجسدين آيات كثيرة ، ولا سيما شفاء الأمراض .

(٨) القديسة سارّة وولداها :

كانت القديسة سارة من أهل أنطاكية ، وكانت زوجة رجل يدعى سقراط من قوة الامبراطور دقلديانوس ، وكان مسيحيا ثم ارتدّ وبقيت هى مسيحية . وكان يتظاهر أمامها بأنه محب لدين المسيح ، وأنه لم يرتدّ إلا خوفاً من عقاب الامبراطور . وكانت قد رزقت منه بولدين ، ولم تستطع أن تعمّدهما فى أنطاكية خوفاً من الامبراطور ومن زوجها . فأخذت ولديها وقصدت بالسفينة الى الاسكندرية . وفى الطريق حدث أن هاج البحر حتى كادت السفينة أن تغرق ، فخافت القديسة أن يموت ولداها بغير عماد . فجرحت ثديها وأخذت من الدم ورسمت علامة الصليب على جبين كل من ولديها ، وعلى قلب كل منهما ، ثم غطّستهما فى ماء البحر ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس ، ثم لم تلبث الريح أن سكنت وهدأ البحر ، فلما وصلت الى الاسكندرية قدمتهما الى البطريرك البابا بطرس ليعمّدهما مع أولاد المدينة . فلما أخذهما ليعمّدهما وأراد تغطيسهما فى الماء تجمّد الماء فتركهما وأخذ طفلاً غيرهما وغطسه فانحل

الماء ثم عاد وأخذ ابنى القديسة سارة وأراد تغطيسهما فجمد الماء ثانية ، وهكذا حدث ذلك ثلاث مرات فتعجب ، وسأل والدتهما ، فأعلمته بما حدث ، فقال لها إن السيد المسيح هو الذى عمّد ولديها . فانصرفت وعادت الى زوجها فى أنطاكية ، فأنكر عليها ما فعلت ، ثم مضى الى الامبراطور وأنبأه بما عملت زوجته فاستحضرها الامبراطور وقال لها « لماذا ذهبت الى الاسكندرية لتزنى مع المسيحيين ؟ » فأجابته قائلة « إن المسيحيين لا يزنون ولا يعبدون الأصنام » فأمر بتقييد قدميها وشدّهما خلفها ووضع ولديها على بطنها ، ثم أمر بإحراق الثلاثة بالنار ، فصلّت القديسة بدموع غزيرة ، ثم احترقت مع ولديها .

(٩) اسطاتيوس وولداه :

كان اسطاتيوس وثنياً من وزراء الامبراطور الرومانى ، وكان محباً لصيد الوحوش . وفى ذات مرة رأى بين قرنى أحد الأيائل منظر صليب شاهق يرتفع الى السماء ، وسمع صوتاً من الأعالى يطلب اليه أن يؤمن بالسيد المسيح ويعتمد ، فنزل من الجبل وتعمّد هو وزوجته وولداه على يد أسقف قديس . وكان اسم هذا الوزير أولاً أفلاكيدوس فغيّره الى أسطاتيوس ، وتنازل عن كل امواله وعبيده وخيوله ، وأخذ زوجته وولديه وخرج من روما وركب سفينة ، ولم يكن معه مال يدفع منه أجر السفينة ، فأخذ أصحابها زوجته نظير أجرتهم ، فرحل مع ولديه ، حتى إذا وصل الى شاطىء أحد الأنهار أخذ أحدهما وعبر به النهر ، حتى إذا عاد ليأخذ الثانى ، كان أسداً قد اختطفه . فلما عاد الى الأول وجد أن ذئباً قد اختطفه هو الآخر ، فحزن على ولديه حزناً عظيماً واشتغل حارساً فى أحد البساتين مدة من الزمان ، ثم حدث أن مات الامبراطور وجلس غيره على العرش ، فأرسل يبحث عن اسطاتيوس ، حتى وجده فأعاده الى منصبه الأول ، واتفق أن الامبراطور طلب من كل بلد رَجُلين يأخذهما للحرب . وكان ولدا اسطاتيوس قد نجيا بمعجزة من الأسد والذئب ، فصعدا الى بلدة واحدة ، وأقاما هناك ، ولم يعرف أحدهما الآخر . فلما طلب الامبراطور رَجُلين من تلك البلدة للحرب قدم أهلها ابنى اسطاتيوس هذين . حتى إذا كانا فى الطريق دار بينهما الحديث

فلم يلبثا ان تعارفا . وأما أمهما فكان أصحاب المركب قد كلّفوها بحراسة بستان . وقد تصادف أن نزل ولداها فى هذا البستان فتعرفت عليهما . ثم تعرفت على زوجها فاجتمع شمل الأسرة ، وبعد ذلك مات الامبراطور وجاء بعده امبراطور وثنى . فاستدعى اسطاتيوس وولديه ، وطلب منهم عبادة الأوثان فرفضوا فأمر بإلقائهم فى أتون النار ولكن الله قواهما فوضعهما الامبراطور فى جوف ثور مصنوع من النحاس وأوقد النار تحته فأسلموا الروح .

الفصل السابع
أشهر الشهداء فى مصر

١ ــ القديس مرقس الرسول :

القديس مرقس الرسول هو أول وأشهر الشهداء فى مصر . وهو يوحنا الملقب مرقس ، وينحدر أصله من اليهود الذين كانوا قاطنين بالخمس المدن الغربية المسماة « بنتابوليس » التى كانت تقع فى منطقة برقة بشمال أفريقيا . وقد أنشأ اليونان هذه المدن فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد على حدود مصر الشمالية الغربية .

وكان ميلاد القديس مرقس فى مدينة القيروان التى تقع فى اقليم ليبيا بهذه المنطقة . وكان مرقس منذ ولادته ينعم بما كان لأسرته من ثروة كبيرة وأراض زراعية شاسعة ، ولذلك تمكن أبواه من أن يهيئا له أفضل سبل التعليم والثقافة ، فأتقن اللغتين اليونانية واللاتينية ، كما أتقن اللغة العبرية وتعمّق فى دراسة كتب التوراة والناموس اليهودى .

غير أن بعض القبائل المتبربرة من البدو هجمت على أسرة مرقس فى القيروان ونهبتها ــ وكان ذلك فى عهد الامبراطور الرومانى أوغسطس قيصر ــ فاضطرت هذه الأسرة الكريمة الى الهجرة ، ومن ثم نزحت الى فلسطين موطن أجدادها الأولين . وكانت قد استقرت هناك حين بدأ السيد المسيح ينادى ببشارته ، وبذلك أتيح للقديس مرقس فى حداثته أن يرى السيد المسيح ويؤمن به ويصبح من تلاميذه . وكذلك تبعته أم مرقس واستضافته فى بيتها . وصارت من النسوة اللاتى يخدمنه ، كما كان بيتها هو أول كنيسة مسيحية فى العالم ، ولذلك كانت لهذه السيدة مكانة عظيمة بين المسيحيين

الأوائل . وفى بيتها تناول السيد المسيح عشاءه الأخير مع تلاميذه عشية صلبه . وفيه كان يجتمع التلاميذ بعد قيامة السيد المسيح ، حيث دخل عليهم وأظهر لهم نفسه . وفى هذا البيت حل الروح القدس عليهم . وحين خرج بطرس من السجن الذى وضعه فيه هيرودس مزمعاً أن يقتله بسبب تبشيره بالمسيح ، ذهب بطرس مباشرة الى ذلك البيت . والراجح أن مرقس هو الشاب الذى تبع المسيح ليلة تسليمه ، إذ يقول فى الإنجيل الذى يحمل اسمه : « وكان يتبعه شاب يلف جسده العارى بإزار ، فأمسكوه ، فترك الازار وهرب عارياً » (مرقس ١٤:٥١و٥٢) .

وقد بدأ القديس مرقس كرازته مع بطرس الرسول فى منطقة اليهودية ، وفى جبل لبنان ، وفى بيت عنيا ، وفى مناطق من سوريا ولا سيما أنطاكية حتى سنة ٤٥ ميلادية ــ ثم كرز مع القديس بولس وبرنابا فى رحلتهما الأولى فى قبرص وفى باخوس ، حتى اذا وصلوا الى « برجة بمفيلية » تركهما هناك وعاد الى أورشليم ، وبقى فيها الى حين انعقاد المجمع الرسولى فى أورشليم سنة ٥١ ميلادية . ثم ظهر فى أنطاكية مرة أخرى بعد مجمع أورشليم واشترك مع القديسين بطرس وبولس فى تأسيس كنيسة روما .

وبعد ذلك قصد القديس مرقس وحده الى مسقط رأسه فى شمال أفريقيا حيث بشر الخمس المدن الغربية وهى القيروان ، وبرينيكى وبرقة وأرسينوى وأبولونيا . وكانت هذه المدن فى ذلك الحين تحت حكم الرومان ، وكان شعبها خليطاً من الليبيين واليونان والرومان واليهود . وكانت ذات عبادات وثنية وثقافة يونانية . وقد وصل القديس مرقس الى هذه البلاد فى نحو سنة ٥٨ ميلادية . وهناك واظب على التبشير ، وكانت تجرى على يديه كثير من المعجزات ، مما جذب اليه كثيرين من المؤمنين ، فيقول ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين فى كتابه تاريخ البطاركة « فلما عاد القديس مرقس من روما ، قصد الى الخمس مدن أولاً ، وبشّر فى جميع أنحائها بكلام الله ، وأظهر عجائب كثيرة ، حتى أنه أبرأ المرضى وطهّر البرص وأخرج الشياطين ، بنعمة الله الحالّة فيه ، فآمن بالسيد المسيح كثيرون وكسّروا أصنامهم التى كانوا يعبدونها وعمّدهم باسم الآب والابن والروح القدس . »

مارمرقس الرسول كاروز الديار المصرية

وبعد أن قضى مرقس الرسول يبشر فى الخمس المدن الغربية نحو تسع سنوات ، اتجه بعد ذلك الى الاسكندرية فى سنة ٦١ ميلادية وكانت هى عاصمة مصر فى ذلك الحين ، كما كانت العاصمة الثقافية للعالم كله ــ وكانت مدرسة الاسكندرية الفلسفية الشهيرة هى مركز العلم والفلسفة فى كل الأمبراطورية الرومانية . وقد كانت تزدحم بعدد عظيم من كبار العلماء ، كما كانت تزدحم مكتبتها الشهيرة بمئات الآلاف من الكتب النادرة والمخطوطات المتعمقة فى كل العلوم ، وكانت تلك المدينة الضخمة حينذاك تضم نحو مليون شخص من المصريين والرومان واليونان واليهود والفرس والأحباش وغير ذلك من الأجناس التى تعتنق عدداً لا يحصى من ديانات الأمم المختلفة . وقد وقف مرقس وحيداً أمام كل هذه الديانات والفلسفات يتأهب لأن يصارعها جميعاً وأن ينتصر عليها كلها .

وقد كان قدوم مرقس الرسول الى الاسكندرية فى الغالب عن طريق الواحات ، ثم الصعيد ، ثم تقدم شمالاً نحو بابليون ، ويقال انه فى هذه الفترة كتب انجيله باللغة اليونانية . ثم غادر بابليون الى الاسكندرية ، وهو لا يفتأ يجول مبشراً فى الطرقات ــ وكان حذاؤه قد تمزّق فمال الى إسكاف فى المدينة يدعى أنيانوس ليصلحه . وفيما الأسكاف يفعل ذلك دخل المخرز فى يده فأدماها ، فصرخ قائلاً « ايس ثيئوس » أى « يا الله الواحد » فانتهز القديس مرقس هذه الفرصة وأخذ يده فشفاها ، ثم راح يبشره بذلك الإله الواحد الذى هتف باسمه وهو لا يعرفه ، فآمن الأسكاف بكلامه ، ودعاه الى بيته ، وجمع له أقاربه وأصحابه فبشّرهم بالمسيح وعمدّهم ، فكانوا هم باكورة المؤمنين فى مصر كلها .

فلما رأى الوثنيون بوادر نجاح الرسول فى بشارته حنقوا عليه وراحوا يتربصون به الدوائر ليفتكوا به ، ولكنه واصل أداء رسالته غير عابىء بما يدبرون ، فأقام أنيانوس أسقفاً ، ورسم معه قسوساً وشمامسة ، وشيّد أول كنيسة بالاسكندرية فى الجهة الشرقية منها عرفت باسم « بوكاليا » . وبذلك ازداد عدد المؤمنين زيادة كبرى فى وقت وجيز . وفى ذلك يقول المؤرخ السكندرى يوسابيوس الشهير « كان جمهور المؤمنين الذين اجتمعوا هناك فى البداية من الكثرة حتى أن الفيلسوف اليهودى فيلون وجده أمراً جديراً

بالاهتمام أن يصف جهادهم واجتماعاتهم وتعزياتهم وكل طرق معيشتهم » . ويقول الأب « شينو » فى كتابه قديسو مصر « ان الحياة التى تدعو الى الاعجاب فى مصر بعد الايمان جعلت الفيلسوف اليهودى الشهير فيلون يؤكد فيما بعد أن الاسكندرية أعادت إلينا ذكر الأيام الأولى التى كانت لكنيسة أورشليم » .

وقد أسس القديس مرقس بالاسكندرية مدرسة لاهوتية لتتصدّى لتعاليم المدرسة الوثنية التى كانت هى الخليفة الطبيعية لمدرسة أثينا . وكان يقوم بالتدريس فيها أكبر الفلاسفة الوثنيين فى ذلك الحين . وقد أقام مرقس الرسول القديس يسطس أول رئيس للمدرسة اللاهوتية ، وهو الذى صار فيما بعد سادس أسقف للاسكندرية .

كما أن القديس مرقس وضع القداس الالهى للصلوات الكنسية وهو المعروف بالقداس المرقسى ، أو الكيرلسى نظرا لأن البابا كيرلس الأول هو الذى دوّنه بعد أن كان رجال الكنيسة يتسلمونه بعضهم من بعض شفهياً .

فلما رأى الوثنيون بوادر نجاح الرسول فى بشارته اشتد حنقهم عليه وراحوا يتربصون به الدوائر ليقتلوه ، ولكنه واصل أداء رسالته غير عابىء بما يدبرون . ثم اعتزم ان يترك مصر بعض الوقت ويعود ليفتقد أولاده من المؤمنين فى الخمس المدن الغربية ، ثم مضى منها الى أفسس حيث تقابل مع القديس تيموثاوس ، ثم اتجه الى روما تلبية لدعوة القديس بولس الرسول ، وبقى معه هناك حتى استشهاده فى سنة ٦٧ ميلادية ، وبعد ذلك عاد الى مصر واستأنف فيها عمل الكرازة ، وقد كان عدد المؤمنين لا يفتأ يتزايد تزايداً عظيماً . فلما كثر عدد المؤمنين وتوطّدت دعائم الكنيسة التى اسسها تغلغل الحقد فى قلوب الوثنيين عليه واضمروا الغدر به ، حتى اذا كان عيد القيامة المجيد فى ٢٦ أبريل سنة ٦٨ ميلادية الذى يوافق ٣٠ برمودة بالتقويم المصرى القديم ، وكان المسيحيون يحتفلون بهذا العيد فى كنيسة بوكاليا ، وقد تصادف أن كان ذلك اليوم هو نفسه يوم الاحتفال بعيد الاله الوثنى « سيرابيس » ، وقد تدفقت جموع الوثنيين للاحتفال بهذا العيد ، فما علموا أن القديس مرقس يحتفل بعيد القيامة فى الكنيسة مع شعبه حتى اندفعوا الى الكنيسة فى جموع صاخبة ساخطة وهجموا على القديس ووضعوا حبلاً فى عنقه وألقوه على الأرض وراحوا يسحلونه فى طرقات المدينة وساحاتها وهو

لايفتأ يرتطم بالاحجار والصخور حتى تناثر لحمه ونزف دمه ، واستمروا يفعلون به هكذا طول النهار ، حتى اذا خيم الليل ألقوا به فى السجن . وفى ظلام ذلك السجن ظهر له السيد المسيح فى نور عظيم وشجعه وقوّاه ، وهو يخاطبه قائلاً « يا شهيدى الأمين » واعداً اياه بفردوس النعيم ، ولذلك أصبح لقب القديس مرقس المعروف به فى طقوس الكنيسة وصلواتها هو « ثيورديموس » أى « ناظر الاله » . ثم فى فجر اليوم التالى عاد الوثنيون الى القديس مرة أخرى ، وربطوا عنقه أيضا بحبل غليظ ، ثم راحوا يسحلونه كذلك فى كل طرقات الاسكندرية حتى اسلم الروح .

على أن موت القديس لم يهدىء من ثائرة الوثنيين وحقدهم ، فاعتزموا حرق جثته بعد موته امعاناً فى التنكيل به والتشفى منه ، وبالفعل جمعوا كومة عظيمة من الحطب وأعدوا ناراً للمحرقة ، غير أنه حدث فى اللحظة التى أوشكوا فيها أن يلقوا الجسد فى النار أن هبت عاصفة شديدة مصحوبة بمطر غزير فانطفأت النار وتفرق الشعب وعندئذ أسرع جماعة من المؤمنين فأخذوا الجسد وحملوه الى كنيسة « بوكاليا » ووضعوه فى تابوت ثم صلى عليه خليفته القديس أنيانوس مع الأكليروس والشعب ، ودفنوه فى قبر نحتوه فى الجانب الشرقى من الكنيسة وأطلقوا عليها كنيسة القديس مرقس : وتحتفل الكنيسة القبطية فى كل الانحاء بذكرى استشهاد القديس يوم ٣٠ برموده من كل عام ، وقد كان عند استشهاده فى الثامنة والخمسين من عمره .

وقد ظل جسد القديس مرقس فى تابوته حتى سنة ٦٤٤ ميلادية فى كنيسة بوكاليا بالاسكندرية ، وكانت تطلّ على الميناء الشرقى للمدينة . فلما وقع الانشقاق العقيدى فى مجمع خلقيدونة سنة ٤٥٠ ميلادية تعرّضت الكنيسة القبطية التى تؤمن بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للسيد المسيح لاضطهاد عنيف من أصحاب بدعة الطبيعتين والمشيئتين الذين أطلق عليهم لقب الملكيين لأنهم اعتنقوا مذهب الملك الرومانى ، واستولى أولئك الملكيون على الكنائس القبطية ومنها كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية وبداخلها جسد القديس وظلت تحت سيطرتهم حتى سنة ٦٤٤ ميلادية . وفى هذه السنة التى تم فيها الفتح العربى لمصر بقيادة عمرو بن العاص ، حاول أحد البحارة سرقة رأس القديس بعد أن فصلها عن الجسد وخبأها فى سفينة معتقداً أنها تخص رجلاً

عظيما ولكن حين تحرك أسطول عمرو ابن العاص ، وخرج كله من الميناء حدث أن السفينة التى تحمل رأس القديس ثبتت فى مكانها ولم تشأ أن تتحرك على الرغم من كل ما بذله البحارة من المحاولات ، فأدركوا أن فى الأمر سراً ومن ثم أصدر عمرو ابن العاص أمره بتفتيش السفينة . فلما أخرجوا الرأس تحركت السفينة على الفور . فاستحضر عمرو بحار السفينة واستجوبه فلما علم أنه سرق هذا الرأس من الكنيسة استدعى القديس بطرس بطريرك الأقباط وسلمه الرأس كما وهبه عشرة آلاف دينار لبناء كنيسة لصاحب هذا الرأس الذى له كل هذه الكرامة ، وبالفعل تم بناء الكنيسة بالاسكندرية ، وهى المعروفة بالمعلّقة بالقرب من المسلة الأثرية ، وقد استقر الرأس فيها الى القرن السادس ، بينما كان جسد القديس مرقس راقداً فى كنيسة بوكالياً التى كانت لاتزال تحت سلطان الرومان الملكيين ، وقد ظل الجسد فى هذه الكنيسة حتى حدث فى نحو عام ٨١٥ للميلاد أو بعدها بسنوات قليلة أن احتال بعض البحارة من أهل البندقية وسرقوه ونقلوه الى مدينتهم حيث ظل بها واهتم حاكم البندقية جستنيان ببناء هيكل فخم جميل ووضع فيه الجسد ، غير أن هذا الهيكل احترق سنة ٩٧٧ ميلادية فجدد عمارته الدوق بطرس أرسيلو ، ثم أقيمت للجسد كنيسة تعتبر من أضخم وأفخم كنائس العالم وهى كنيسة القديس مرقس بالبندقية وقد بدىء فى بنائها سنة ١٠٥٢ ميلادية ولم يتم بناؤها الا فى القرن الثامن عشر للميلاد وقد تبارى فى بنائها وزخرفتها أعظم وأقدر مهندسى وفنانى العالم فخرجت تحفة بديعة رائعة .

أما رأس القديس مرقس فقد ذكرنا أن البابا بنيامين الثامن والثلاثين بدأ فى بناء كنيسة لتوضع فيها الرأس . غير أن الرومان بدأوا يحاولون الاستيلاء على الرأس أيضاً . حتى أخذها أحد الأقباط المؤمنين وخبأها فى دير القديس مكاريوس ببرية شيهات حوالى سنة ١٠١٣ ميلادية . ثم فى خلال القرن الحادى عشر وحتى القرن الرابع عشر تتابع نقل رأس القديس الى كثير من بيوت أغنياء الأقباط لاخفائها عن الولاة العرب الذين كانوا لايفتأون يفتشون عنها ليقسروا الأقباط على دفع مبالغ ضخمة لاستعادتها فكانوا لا يعلمون أن رأس القديس موجودة بأحد بيوت سراة الأقباط حتى يقبضوا عليه ويضربوه ويهينوه ويفرضوا عليه مبلغاً فاحشاً من المال فإذا اضطر الى دفعه تركوا الرأس له وإذا رفض أو عجز نكلّوا به وأوثقوه وألقوه فى السجن ، وقد تكرر هذا الأمر

مراراً كثيرة ، حتى تم أخيراً بناء مدفن خاص لرأس القديس فى الكنيسة المرقسية بالاسكندرية فى القرن الثامن عشر ووضع فيه داخل صندوق من الرخام . وذلك منذ أيام البابا بطرس السادس .

وقد ظل جسد القديس مرقس راقداً فى كاتدرائيته العظمى فى البندقية منذ سنة ٨٢٨ ميلادية حتى طلب البابا كيرلس السادس بطريرك الأقباط من بابا روما اعادة الجسد الى موطنه الأصلى فى مصر وكان ذلك بمناسبة الاحتفال بمرور تسعة عشر قرناً على استشهاد القديس ، وكذلك بمناسبة تأسيس الكاتدرائية المرقسية الكبرى بأرض الأنبا رويس بالعباسية بالقاهرة لتكون مقراً للجسد المقدس . وفى يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٦٨ ميلادية عاد الوفد الذى أوفده قداسة البابا كيرلس السادس لإعادة الجثمان الى مصر ، ومعه أعضاء البعثة التى أوفدها بابا روما يحملون الرفات المقدس من كنيسة القديس أثناسيوس الرسولى بروما فى موكب رسمى تتقدمه الدراجات البخارية الى مطار روما الدولى ، ومن هناك استقلوا طائرة خاصة وصلت الى القاهرة فى الساعة الحادية عشرة الا الربع من مساء اليوم نفسه . وكان قداسة البابا كيرلس السادس فى انتظار وصول الجثمان فى مطار القاهرة يصحبه مارأغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق للسريان الأرثوذكسى وعدد كبير من المطارنة والأساقفة الأقباط والأجانب ورؤساء الطوائف والأديان من المصريين والأجانب وعشرات الألوف من أفراد الشعب ، يرتلون التراتيل الدينية وكان المطار كله يدوى بالترانيم ، وعندما رست الطائرة فى أرض المطار صعد البابا كيرلس السادس الى سلم الطائرة وتسلّم من يد رئيس الوفد الاسكندرى الصندوق الثمين الذى يحمل رفات القديس مرقس . وفى هذه اللحظة رأت جموع المحتشدين فى المطار ثلاث حمامات بيضاء كبيرة الحجم ناصعة البياض مشعة بنور وهاج تحلق فوق الطائرة وفوق صندوق الرفات ، كما رأوا قبل ذلك حمامة أخرى بيضاء تتقدم الطائرة فى الجو . وكان الاعتقاد الجازم لدى الجميع أن هذه الحمامات تمثل أرواح قديسين ، جاءت ترحب برفات القديس العظيم لأن الوقت كان ليلاً ومن المعروف أن الحمام لا يطير فى الليل . ونزل البابا كيرلس يحمل صندوق الرفات على كتفه بين ترتيل الشمامسة ، ويتبعه موكب ضخم من كتل بشرية تعد بعشرات الأولوف ، مرنمين ، متهللين فرحين . وعاد قداسة البابا ومعه صندوق الرفات

الى الكاتدرائية المرقسية الكبرى القديمة بالأزبكية ووضع الصندوق على المذبح الكبير المدشّن باسم القديس مرقس . وظل هناك ثلاثة أيام . وهكذا عاد رفات القديس مرقس الى مصر بعد أن غاب عنها ١١٤٠ سنة .

وفى صباح يوم الثلاثاء ٢٥ يونيه سنة ١٩٦٨ ميلادية أقيم احتفال عظيم فى أرض دير الأنبا رويس بالعباسية احتفالاً بهذه المناسبة العظيمة ، تولى رئاسته قداسة البابا كيرلس السادس وشهده الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية فى ذلك الحين ، والأمبراطور هيلاسلاسى الأول امبراطور أثيوبيا وعدد ضخم من رؤساء الأديان ومندوبى الكنائس فى العالم كله . وفى نهاية إلقاء الكلمات بهذه المناسبة انتقل قداسة البابا كيرلس السادس ومعه الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية والامبراطور هيلاسلاسى الأول امبراطور أثيوبيا ، والسيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر السابق الى مدخل الكاتدرائية الجديدة وأزاح الستار عن اللوحة التذكارية التى أقيمت تخليداً لذكرى هذا اليوم العظيم فى تاريخ مصر وكنيسة مصر أول وأقدم كنيسة فى أفريقيا . وكانت فى هذه الأثناء أجراس الكنائس تدقّ فى القاهرة كلها ابتهاجاً بهذه المناسبة الرائعة .

ثم فى الساعة السادسة من صباح يوم الأربعاء ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٨ ميلادية بدأ الأحتفال الدينى الطقسى بافتتاح الكاتدرائية المرقسية الجديدة بدير الأنبا رويس بالعباسية بالقاهرة ، فجاء قداسة البابا كيرلس السادس بسيارته يحمل صندوق رفات القديس مرقس الرسول من الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية التى ظل موضوعاً بها منذ ثلاثة أيام ، وتقدم الموكب يحفّ به المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة الى أن صعد البابا الى الكاتدرائية الجديدة ، ووضع الصندوق بكل اجلال على مائدة خاصة فى شرقية الهيكل ، وبدأت مراسم القداس الحبرى الحافل الذى خدمه قداسة البابا كيرلس السادس واشترك معه مار أغناطيسوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس وعدد من المطارنة الأقباط والأثيوبيين والسريان والهنود والأرمن الأرثوذكس ، وحضره الامبراطور هيلاسلاسى الأول امبراطور أثيوبيا والكاردينال دوفال رئيس البعثة البابوية الرومانية وكثير من رؤساء الأديان والمطارنة والأساقفة

ورجال الدين من مختلف بلاد العالم ونحو عشرة آلاف من الشعب . وما أن انتهى القداس حتى نزل البابا كيرلس السادس يحمل الرفات ومعه الامبراطور وبطريرك السريان الأرثوذكس ورؤساء الكنائس فى موكب كبير واتجه الى مزار القديس مرقس الذى كان قد سبق اعداده تحت المذبح الرئيسى للكاتدارئية وأودع الصندوق المزخرف فى القبر الرخامى وغطى بلوحة رخامية كبيرة وسط التراتيل والأناشيد .

وقد اشتهر القديس مرقس الذى أسس كنيسة الاسكندرية بلقب ظل يطلق عليه على مدى التاريخ القبطى كله وهذا اللقب هو « كاروز الديار المصرية ورئيس بطاركة كرسى الاسكندرية العظمى » .

وقد اشتهر اسم القديس مرقس على مدى التاريخ المسيحى والقبطى فأصبح يطلق بعده على كثير من البطاركة والأساقفة والكهنة والرهبان والكنائس باعتباره هو كاروز الديار المصرية ومؤسسها .

أ ــ فمن بطاركة الأقباط الأرثوذكس أطلق اسم هذا القديس على سبعة منهم وهم مرقس الثانى البابا ٤٩ ومرقس الثالث البابا ٧٣ ومرقس الرابع البابا ٨٤ ومرقس الخامس البابا ٩٨ ومرقس السادس البابا ١٠١ ومرقس السابع البابا ١٠٦ ومرقس الثامن البابا ١٠٨ .

ب ــ أما الأساقفة الذين أطلق عليهم اسم القديس مرقس فكانوا كثيرين جداً ، لم يخلُ منهم عهد أو مكان ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما قام البابا بنيامين وهو الثانى والثمانون بضع الميرون شاركه فى ذلك اثنا عشر أسقفاً كان منهم أربعة باسم مرقس . وفى عهد البابا ديمتريوس الثانى كان وكيل الكرازة المرقسية هو الأنبا مرقس مطران البحيرة . كما كان يوجد بهذا الاسم الأنبا مرقس مطران أبو تيج . ويوجد حالياً نيافة الأنبا مرقس الأسقف الأرثوذكسى لمرسيليا وطولون بفرنسا ، كما يوجد بهذا الاسم فى المجمع المقدس فى الوقت الحالى الأنبا أنطونيوس مرقس الأسقف العام لشئون أفريقيا والأنبا مرقس الخورى أبوسكوبوس بمطرانية القليوبية .

جـ ــ أما الكهنة والرهبان والنساك الذين يحملون اسم القديس مرقس فعددهم عظيم جداً يصعب حصره .

الكنائس والأديرة التى لقبت على اسم القديس مرقس :

وقد بنيت كنائس كثيرة فى أنحاء مصر باسم القديس مرقس فاندثر بعضها وبقيت آثار البعض الآخر .

أ ــ الكنائس التى اندثرت :

١ ــ كنيسة القديس مرقس الانجيلى فى الناحية القبلية من الاسكندرية ، اذ نقرأ بسنكسار فى ٢٨ بؤونة فى سيرة البابا ثيئودوسيوس البابا الثالث والثلاثين عن بناء هذه الكنيسة أن الملك الخلقيدونى يوسطاسيانوس كان قد أمر بغلق جميع الكنائس الأرثوذكسية ، فقام الأقباط الأرثوذكس ببناء هذه الكنيسة سراً غرب الاسكندرية فى الموضع المعروف بالسوارى وهو الموضع الذى تمت فيه محاولة حرق جسد القديس مرقس الرسول ، ولكن الملكيين الخلقيدونيين نجحوا فى الاستيلاء على هذه الكنيسة فى عهد الأنبا مرقس الأرثوذكسى البابا التاسع والأربعين بأمر من الخليفة العربى ، حتى هدمت هذه الكنيسة فيما بعد .

٢ ــ كنيسة مار مرقس المسماة بالمعلقة ، وكانت فى الأصل معبداً للاله الوثنى زحل الذى بنته له الملكة كليوبترا ثم حوّله الأقباط الى كنيسة للملاك ميخائيل لأن عيده فى ١٢ بؤونه كان يوافق عيد الاله زحل فى نفس اليوم . وكانت هذه الكنيسة قائمة عند الفتح العربى بالاسكندرية ثم احترقت أثناء نشوب معارك هذا الفتح وكانت تحلّ قبل احتراقها محل الكنيسة الكبرى لضخامتها ، وقد اشتهرتْ باسم المعلقة لأن بناءها كان قائماً فى مكان مرتفع فوق أسوار المدينة . وقد أعيد بناء هذه الكنيسة ودعيت باسم مار مرقس وحفظت فيها رأس القديس بعد سرقتها سنة ٦٤٤ للميلاد وهى التى كلف عمرو بن العاص البابا بنيامين الثامن والثلاثين ببنائها لحفظ رأس القديس ، ولكنها هدمت أيضاً سنة ١٧٩٨ ميلادية خلال الحملة الصليبية الخامسة ، خوفاً من أن يعتصم بها الانجليز فحمل كهنتها جميع أوانيها وآثارها النفيسة ومخطوطاتها وحفظوها بكنيسة رشيد ، ويقال إن مما حملوه معهم صورة الملاك ميخائيل الأثرية التى مازالت فى كنيسة رشيد الى اليوم ، وبعض هذه النفائس نقل الى المتحف القبطى فيما بعد .

٣ ــ كنيسة مرقس الانجيلى بالجيزة وقد ذكر أبو المكارم سنة ١٢٠٩ ميلادية أن الذى بناها هو أحد أثرياء الأقباط فى عهد الدولة الأيوبية ، وذكر المقريزى سنة ١٤٤١ ميلادية أنها خربت حوالى سنة ١٣٩٨ ثم أعيد تعميرها فى القرن الخامس عشر .

٤ ــ بيعة مرقس بالبهنسا ، وقد ذكرها أبو المكارم مرتين باعتبار أنها كانت موجودة سنة ١٢٠٩ ميلادية وكانت تقع على بعد ١٢ كيلو مترا غربى مدينة بنى مزار .

٥ ــ كنيسة مرقس بساقية محفوظ ، وقد ذكرها أبو المكارم فى سنة ١٢٠٩ وكانت تقع فى ناحية قريبة من مركز مطاى بمحافظة المنيا .

٦ ــ كنيسة القديس مرقس الانجيلى فى طحا المدينة ، وقد ذكرها أبو المكارم سنة ١٢٠٩ ميلادية وكانت تقع فى ناحية طحا الأعمدة بمركز سملوط بالمنيا .

٧ ــ كنيسة القديس مرقس بالأشمونين ، وقد ذكرها أبو المكارم سنة ١٢٠٩ ميلادية وكانت تقع بمركز ملوى بالمنيا .

ب ــ بعض الكنائس القائمة حتى اليوم :

ويوجد للقديس مرقس حتى سنة ١٩٧٥ ميلادية احدى وثلاثون كنيسة على اسمه فى القطر المصرى كله تابعة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية معظمها حديث البناء ، فى حين أنه لم يكن للقديس مرقس بمصر كنيسة تحمل اسمه حتى أول القرن العشرين سوى خمس كنائس . وتوجد اليوم باسم القديس مرقس كنائس أرثوذكسية خارج القطر المصرى بعضها فى السودان وفى ليبيا وفى لبنان وفى الكويت وفى فرنسا وفى كندا وفى الولايات المتحدة الأمريكية وفى استراليا وفى أثيوبيا ، وكلها خاضعة للكرازة المرقسية الأرثوذكسية .

جـ ــ الأديرة التى بنيت باسم القديس مرقس :

كانت توجد بمصر ثلاثة أديرة باسم القديس مرقس وقد اندثرت جميعاً وهى :

١ ــ دير مارمرقس المعروف بدير أسفل الأرض وكان فى موضع الكنيسة المرقسية

الحالية بالاسكندرية ومايجاورها . وقد ورد ذكر هذا الدير فى رحلة الراهب الفرنسى « برنار الحكيم » نحو عام ٨٧٠ للميلاد حيث يقول « ووراء الباب الشرقى دير القديس مرقس ، ويعيش الرهبان فى ذلك المكان الذى كان فيه مدفن القديس مرقس » . كما أن السائح الفرنسى « بيير بيلون جيمانز » زار مصر سنة ١٥٢٨ ميلادية وذكر أنه يوجد دير به رهبان اقباط وبه دار البطريرك وبجواره كنيسة لهم ، وهو المكان الذى كان يوجد به جسد القديس مرقس قبل أن يسرقه أهل البندقية .

٢ ــ دير مارمرقس المعروف باسم دير الجبل ، وقد ذكره الواقدى سنة ٨٣٢ ميلادية فى كتاب « فتوح الشام » وهو تابع للأقباط الأرثوذكس .

٣ ــ دير القديس مرقس الإنجيلى بحاجر الأقصر ، وقد عثرت عليه حديثاً بعثة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية فى الأقصر ويضم كنيسة وبضع قلالى للرهبان ويرجع تاريخه الى القرن الخامس أو السادس الميلادى .

مكانة القديس مرقس فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية :

ويلقى القديس مرقس أكبر تكريم وتعظيم فى نفوس وفى طقوس كل الشعب القبطى فى الكنيسة الأرثوذكسية ، فلا تكاد تخلو صلاة فى الكنيسة من اسمه ، سواء بتمجيد أو شفاعة أو طلب بركة . ويذكر اسمه على الدوام فى صلاة البركة التى تختم بها الكنيسة اجتماعاتها بعد رفع بخور عشية ، وبعد رفع بخور باكر ، وفى نهاية القداس بعد التناول ، وفى نهاية كل صلاة طقسية فى كل اجتماع ، يطلب المجتمعون بركة القديس مرقس . ملقبين اياه بناظر الاله الانجيلى مرقس الرسول القديس والشهيد ، ذاكرين فى هذه العبارة خمس صفات أساسية لهذا القديس العظيم .

وفى تحليل الخدام الذى يقال بعد رفع الحمل يطلب الكاهن الحل للكهنة والخدام والشمامسة والإكليروس وكل الشعب « من فم الثالوث الأقدس ، ومن فم الكنيسة .. ومن أفواه الأثنى عشر رسولاً ، ومن فم ناظر الإله الانجيلى مرقس الرسول القديس والشهيد » وله مردّ فى الأبركسيس نقول فيه « السلام لك أيها الشهيد .. السلام للانجيلى .. السلام للرسول مرقس ناظر الإله » .

كما نذكره فى صلاة المجمع بنفس صفاته ، وفى صلوات أخرى نضيف اليه صفة « رئيس الأساقفة » ، ونتشفع به فى ختام تحليل نصف الليل فى صلاة الاجبية قائلين « الشهيد الكريم مار مرقس الانجيلى الرسول كاروز الديار المصرية » . وفى تسبحة نصف الليل نقول « أطلب من الرب عنا أيها الناظر الإله الانجيلى مرقس الرسول ليغفر لنا خطايانا » . وفى رفع بخور عشية وباكر له ربع من أرباع الناقوس يقال بعد صلاة الشكر « بصلوات ناظر الإله الانجيلى مرقس الرسول يارب أنعم علينا بمغفرة خطايانا » . ونقول أيضاً « السلام لك أيها الشهيد . السلام أيها الانجيلى .. السلام أيها الرسول مرقس ناظر الاله » . ونقول بعد مزامير باكر « السلام لأبينا مرقس الانجيلى مبدّد الأوثان » . كما نقول « أيها المبشر العظيم فى كورة مصر مرقس الرسول مدبرها الأول » . وفى الاحتفال بعيد القديس مرقس نقول « ياتلميذ المسيح ، مرقس الرسول .. هوذا الرب قد اختارك بالحقيقة وجعلك مبشراً بإنجيله » . كما يوصف أيضاً بالكاروز والمبشّر . وفى كتاب التماجيد يقال له « أيها القديس مرقس الإنجيلى وتلميذ المسيح بطريرك الاسكندرية » . ومن الصفات التى تقال له فى هذا اللحن أيضاً « مرقس السراج المضىء » .

وتحتفل الكنيسة بعيد القديس مرقس فى ٣٠ برمودة . وقد اختيرت قراءات الانجيل كلها فى ذلك اليوم من انجيل القديس مرقس ولا سيما انجيل القداس الذى هو بداية انجيل القديس مرقس . كما أن الرسائل والأبركسيس (أعمال الرسل) تتعلق كلها بالقديس مرقس وعمله مع باقى الرسل ولا سيما مع القديسين بطرس وبولس وبرنابا .

وفى دورة الصليب فى يوم الشعانين يقف المصلّون أمام أيقونة القديس مرقس ويقول الكاهن أوشيّة الانجيل ، ويقرأ الفصل الخاص باختيار السبعين تلميذاً وارسالهم للخدمة ، مما يؤكد أن القديس مرقس كان واحداً من السبعين رسولاً .

وفى السنكسار القبطى تحتفل الكنيسة بعيد القديس مرقس فى يوم ٣٠ برمودة وهو تذكار استشهاده و ٣٠ بابه وهو تذكار ظهور رأسه المقدس .

وعند اتخاذ اجراءات رسامة بطريرك جديد يكتب فى التزكية الخاصة به « الأنبا فلان القديس البطريرك الذى استحق كرسى القديس مرقس الانجيلى ذى المعرفة الحقيقية

الذى نادى فى كل المسكونة بالعزاء وخلاص النفوس .. هذه التى سبق أن يكرز بها ويغرسها ويقويها فى الجامعة الرسولية أبونا الطاهر الانجيلى مرقس من أجل اتيان عريسها الحقيقى الابن الوحيد يسوع المسيح مخلصنا الكامل الذى يكمل كل شيء » . وفى صلاة تجليس البطريرك يقولون : « نجلس الأنبا فلان رئيس أساقفة على الكرسى الطاهر الرسولى الذى لأبينا القديس المبارك ناظر الإله مرقس باسم الأب والابن والروح القدس أمين » . ثم يجلسه الآباء على كرسيه ويضعون انجيل القديس مرقس فى حضنه ، ثم يقوم الأساقفة بتقبيل البطريرك الجديد فى فمه ،، ثم يقبله الكهنة فى صدره ويقبل الشمامسة يده . أما البطريرك الجديد فيقبل انجيل القديس مرقس ، ثم يأخذ الرأس الرسولية التى للقديس مرقس فى حضنه لأنه صار خليفة له ، مبدياً بذلك استعداده لأن يقتفى آثاره .

وهكذا نرى أن الأقباط يهتمون اهتماماً كبيراً بكاروزهم العظيم القديس والشهيد مرقس الرسول الذى يدخل اسمه فى صلواتهم وفى ألحانهم وفى قراءاتهم الكنسية ، ويطلبون فى صلواتهم بركته ، ويأخذون الحل من فمه ويتشفعون به . وتعطيه الكنيسة ألقاب القديس ، والشهيد ، وناظر الاله ، والإنجيلى ، والناطق بالإلهيات ، والرسول ، وتلميذ المسيح ، وأحد السبعين ، والكرسى الطاهر الرسولى . ومن جهة كرازته تذكر الكنيسة عمله المسكونى حيث نادى فى كل الأمم باسم الرب وقام بالتبشير كل يوم بخلاص العالم وبالعزاء وخلاص النفوس .

٢ ــ مار جرجس :

مار جرجس تعبير سريانى معناه القديس جرجس ، وهذا التعبير السريانى هو الذى أصبح سائداً بين الشعب القبطى وفى الاستعمال الكنسى . وهو ينطق كذلك فى اللهجات الأخرى الأجنبية جورج أو جاورجى أو جاورجيوس وقد ولد مارجرجس بمدينة اللد باقليم كبادوكية بفلسطين سنة ٢٨٠ ميلادية ، وكان والداه مسيحيين تقيين عريضى الثراء رفيعى المركز . وكان اسم ابيه « انسطاسيوس » واسم أمه « ثاؤبستا » ، وكانت له أختان تسمى احداهما « كاسيا » وتسمى الثانية « مدرونه » .

وكان والد مارجرجس أميراً لفلسطين وقد اشتهر بالصلاح والإصلاح والعدل . فلما رزقه الله بابنه هذا أحسن تربيته على مقتضى الآداب والأخلاق المسيحية المستقيمة ، ولقّنه العلوم الكنسية واللاهوتية كما لقّنه العلوم والآداب والقوانين ، فضلاً عن إجادة اللغة اليونانية التى كانت فى ذلك العصر هى لغة المدنية والثقافة . واجادة الفروسية التى كانت هى مفخرة ذلك الزمان .

وقد حدث أنه حين بلغ مارجرجس الرابعة عشرة من عمره أن علم الوالى أن والده انسطاسيوس يعتنق الديانة المسيحية فأمر بقطع رأسه وعيَّن فى مكانه أميراً آخر لفلسطين ، فأخذت والدة جرجس ابنها وابنتها ورحلت من اقليم الكبادوك الى مدينة ديوسبوليس أحد أقاليم فلسطين حيث كان موطنها الأصلى وحيث كانت لها فيه أملاك كثيرة .

أما القديس جرجس فإذ كان حسن الطلعة ممشوق القوام التحق بالجيش وكان عندئذ فى السابعة عشرة من عمره ، فلما علم الوالى الجديد بشجاعته وفروسيته بعث به الى الامبراطور الرومانى وبصحبته مائة جندى وأعطاه خطاباً الى الامبراطور يوصى فيه بترقيته . فلما رآه الامبراطور وقرأ الرسالة التى معه فرح به جداً ومنحه لقب أمير ورتب له راتباً شهرياً ضخماً وأعطاه خمسمائة جندى ليكونوا تحت أمره ، كما عينه حاكماً لعدة بلاد لتكون خاضعة لحكمه .

ولما بلغ القديس جرجس العشرين من عمره توفيت والدته ، وكان قد بلغ رتبة عالية فى الجيش وذاعت شهرة شجاعته وبسالته وقوة عزيمته ، فقرر أمير فلسطين أن يزوجه ابنته الأميرة ، غير أنه قبل أن تتم مراسيم الزواج توفى الأمير . ففكر القديس فى أن يتمم زواجه من الأميرة ليصبح أميراً على فلسطين بعد أبيها ، ولكن الله كان قد دبر له مملكة من نوع آخر ومن نوع أنبل وأجمل وأسمى ليكون أميراً عليها وهى مملكة الشهداء التى ليست هى فى الأرض وانما فى السماء . ذلك أنه لم يلبث أن سمع أن الامبراطور دقلديانوس أصدر أمره بإجبار المسيحيين على عبادة الأوثان وأن أى واحد منهم يرفض ذلك يتم قتله على الفور . فانطلق مارجرجس الى مدينة نيقوميدية بآسيا الصغرى ومعه عدد من عبيده وبعض أمواله حيث وجد الامبراطور الرومانى دقلديانوس

مجتمعاً بتسعة وستين من أمراء امبراطوريته ، وقد أصدر اليهم أمراً بأن عليهم فى عيد الإله الوثنى أبوللون أن يرغموا المسيحيين على عبادة هذا الإله فمن رفض منهم فليقتلوه ، وقد وزع الامبراطور منشوراً بذلك على أولئك الأمراء ليذيعوه فى جميع ولايات الامبراطورية . فلما رأى مارجرجس ذلك عتق جميع عبيده ووزع كل أمواله على الفقراء ، واستعد لخوض معركة ضد أعداء المسيح .

وفى اليوم الثالث من اجتماع البلاط الامبراطورى ، دخل مارجرجس فوجد على الجدار أحد تلك المنشورات التى تحرض على قتل المسيحيين ، فأمسك به ومزقه وصاح فى جرأة أمام الامبراطور وأمرائه قائلاً « أيها الامبراطور وأنتم أيها الرومانيون حتى متى تصبّون غضبكم على المسيحيين الأبرار ؟ لا يجدر بكم أن تخدعوا أنفسكم لأن المسيح الذى تنكرونه هو الإله الحقيقى وحده وهو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء » . فاستشاط الامبراطور غضباً وصاح قائلاً : « إننى على الرغم من حداثة سنك رفعت مقامك وأعليت من شأنك ثم تأتى بعد ذلك وتتحدى أوامرى وتتجرأ على الديانة الرسمية للامبراطورية ؟ ومع ذلك فإننى من أجل شجاعتك ومحبتى لك أنصحك بأن تكف من تمردك وتمتنع عن عصيانك ، لئلاً تهلك نفسك وأنت فى مقتبل العمر » فأجابه القديس قائلاً « من الأفضل لك ياسيدى أن تؤمن بالإله الحقيقى الحى الذى لا يموت ، والذى يمكنه أن يهبك عرشاً خالداً لا يفنى أشرف وأسمى بكثير من عرشك الدنيوى الذى لا يلبث أن ينهار ويزول . وأما أنا فلا شىء فى العالم كله يمكنه أن يثنينى عن ايمانى بالسيد المسيح مهما لقيت فى سبيل ذلك من الآلام والأوجاع وألوان العذاب التى تهدد بها المسيحيين فى منشورك » . فصاح الامبراطور فى غضب شديد قائلاً «قد جمعت الامبراطورية الرومانية كلها تحت سلطانى ولكل ولاية منها ملك يدين لى بالطاعة ، فلم أر واحداً منهم تجاسر فأبدى ما تبديه أنت من جرأة ، أو أهان آلهتنا جهاراً مثلما فعلت أنت فهل يا ترى أنت أمير أو وزير لتفعل هذا فى حضرتنا الامبراطورية ؟ » فأجاب قائلاً « أنا جرجس الملطى من الكبادوك ابن الأمير انسطاسيوس وقد جئت هنا لأتقلد وظيفة أبى بعد وفاته ، ولكننى لما رأيتك أيها الامبراطور قد تركت عبادة الإله الحى حزن قلبى وأخذت على عاتقى أن أحارب عبادة

الشهيد العظيم مارجرجس

الأوثان بكل قوتى .. ان نصيحتى لكم أيها الامبراطور وأنتم أيها الملوك أن تتركوا عبادة هذه الأحجار التى لا حياة فيها ولا قوة لها » .

ومن ثم بدأ الامبراطور مع القديس سلسلة من ألوان العذاب المروعة فأمر أولاً بأن يوضع فى سجن مظلم ، حيث أرقدوه على الأرض وربطوا يديه ورجليه بقيود حديدية ووضعوا حجراً كبيراً على صدره ، وتركوه حتى اليوم التالى ظانّين أنه بذلك تتحطم إرادته وينثنى عن عزمه . ولكنهم كم كانت دهشتهم عظيمة حين دخلوا السجن فى صباح اليوم التالى فوجدوه سليماً معافى وقد أعطاه الله قوة احتمل بها ذلك العذاب الذى أرادوه له ، فأخذوه الى الامبراطور ، الذى تولته الدهشة بدوره واستولى عليه الذهول اذ وجد أن قضاء ذلك الشاب ليلة كاملة موثقاً فى السجن المظلم وعلى صدره حجر ضخم لم يؤثر فيه أقل تأثر ، بل جاء سليم الجسم وضاء المحيّا ، فسأله عن سر قوّته فأجابه جرجس بأنه هو يسوع المسيح الحى الذى قوّاه وشفاه وتحدى به الديانة الوثنية للامبراطور . فما سمع الامبراطور ذلك حتى حنق حنقاً شديداً ، وأمر بأن يخلعوا عنه ملابسه وأن يضعوه فى آلة الهنبازين ، وهى جهاز مكون من دورين أحدهما فوق الآخر وقد دقت فى الدور الأسفل سكاكين حادة متجهة الى أعلى ودقت فى الدور الأعلى سكاكين حادة أيضاً ويوضع المحكوم عليه بين الدورين الأسفل والأعلى ثم يدار الجهاز كما تدار الرحى ، وقد وضعوا القديس فى هذا الجهاز وأداروه بكل قسوة حتى تمزق جسده وتناثر لحمه وسال دمه على الأرض ، ولم يكتفوا بذلك بل أتوا بمشاعل وجعلوا يمرون بها على جراحه ، وينثرون الملح عليها لتزيد من قسوة آلامه . ولكن القديس ظل صابراً صامداً متجها بقلبه الى السيد المسيح كى يقوّيه على احتمال هذا العذاب ، وخرج من تلك الآلة الجهنمية صحيحاً معافى فسأله الامبراطور عن سر شفائه فأجاب قائلاً « إن يسوع المسيح الحى هو الذى شفانى وأرسلنى لأهدم أصنامك » فغضب الامبراطور غضباً شديداً وأمر بأن يربط القديس بين أربعة أوتاد ويضرب بالسياط على بطنه وظهره الى أن يتناثر لحمه وينهمر دمه كالماء على الأرض ، ثم أمر بأن يحضروا اليه بعد ذلك حقيبه ضخمة من الجير ويصبوها على جسده ، ثم يصبوا القطران والكبريت على جراحاته حتى يتآكل جسده ويذوب قطعة بعد قطعة . وقد فعلوا به ذلك فعانى من ذلك معاناة لايحتملها بشر ، ولكن الله أعانه على أحتمال تلك

الأهوال ، وهو لا ينقطع عن الصلاة والترتيل والتسبيح ورسم علامة الصليب على صدره فظل حيا صحيح الجسم حتى لقد تولت الدهشة الحراس وذهبوا الى الامبراطور وقالوا له « لقد آمنا بيسوع المسيح الذى يخلص المؤمنين به من العذاب والموت » ، فغضب الامبراطور غضباً عنيفاً وخشى أن يزداد تأثير هذا القديس على المحيطين به من الجند وغيرهم ، فعاد يلاطفه مرة أخرى ويعده بالعفو والمناصب العليا اذا أنكر المسيح وعبد الأوثان ، ولكنه فشل كل الفشل أمام ثبات القديس وقوة إيمانه وشجاعته وصدق عزيمته .

ولذلك لم يسع الامبراطور إلا أن يعود الى وسائل التعذيب العنيف والبطش المخيف ، فأمر الجند بأن يطرحوا القديس فى حوض مملوء بالجير ويتركوه مطموراً فيه ثلاثة أيام تحت حراسة مشددة . فأخذه الجند وحين همّوا بأن يلقوه فى حوض الجير رسم علامة الصليب على صدره وهو يسبّح الله ويمجّده ويطلب المعونة منه . ثم غاص جسمه كله فى الحوض ومكث فيه ثلاثة أيام ، وبعدها طلب الامبراطور من جنوده أن يذهبوا اليه وأمرهم اذا وجدوا بقية من جسده مازالت لم يلتهمها الجير ، فليحرقوها بالنار لئلا تصبح موضع تكريم أهل ديانته . ولكن الجند ذهلوا حين ذهبوا الى القديس فوجدوه حيا سليم الجسم مضيء الوجه مبتسماً ، فصرخوا مع الشعب ممجدين اله القديس صائحين إنه إله عظيم وحين جاءوا الى الامبراطور تولاّه الذهول وسأل القديس عن سبب نجاته فأجابه قائلاً « انى أعجب لقسوة قلوبكم ، لأن لكم عيوناً ولا ترون ما يحدث أمامكم ، ولذلك فإنكم لا تستحقون جواباً منى » .

فامتلأ الامبراطور غيظاً وصاح فى القديس قائلاً « إننى هذه المرة سوف أرى ان كنت تقدر ان تصنع معجزة » . ثم أمر جنوده بأن يأتوا بحذاء ثقيل ومسامير ملتهبة بالنار ، وان يلبسوه الحذاء فى حضرته ويسمّروه بالمسامير فى قدميه بحيث تنفذ المسامير من داخل الحذاء فى لحمه وعظمه ، ففعل الجنود ذلك وراحوا يضربون القديس كى يمشى بذلك الحذاء الفظيع ذى المسامير ويهزأون به والامبراطور يضحك ساخراً . ثم فى المساء طرحوا القديس فى السجن فقضى الليل كله يصلى الى الله ضارعاً اليه أن يعينه على احتمال هذا العذاب ، وفى اليوم التالى كان الامبراطور جالساً مع عظماء مملكته

وأراد أن يدخل السرور الى قلوبهم بمنظر القديس وهو يمشى على الحذاء ذى المسامير فأمر باستحضاره وكم كانت دهشته حين رآه مقبلاً يمشى وكأنه ليس فى أقدامه حذاء ولا مسامير فقال الامبراطور فى حنق « دع عنك هذا السحر وأنقذ حياتك » فأجاب القديس قائلاً « ليس فى استطاعة أية قوة فى الأرض أن تنزع عنى إيمانى بالمسيح إلهى . وإنى أرثى لكم لأنكم تفخرون بالجمادات التى لا تعى ولا تدرى عن نفسها أو عن غيرها شيئاً وترفضون عبادة الله الحى الأزلى الأبدى الذى يعلم كل شىء ويقدر على كل شىء » .

فاشتد غضب الامبراطور وأمر جندياً بأن يضربه فضربه على فمه قائلاً له « أهكذا توجه الكلام الى الامبراطور ؟ » ثم انهال عليه الجنود يجلدونه بسوط من أعصاب البقر بطريقة وحشية ، حتى تناثر لحمه وسال دمه ، فاحتمل القديس تلك الآلام فى صبر وايمان ، ثم القوه فى السجن . وفى اليوم التالى وجدوه سليم الجسم هادئاً مبتسماً .

وكان الامبراطور يعتبر هذا الفارس الشجاع خير زوج لابنته الجميلة ، كما كانت هذه الإبنة شديدة الاعجاب بقوة احتمال هذا الفارس وما يبدى من فضائل مسيحية ، وكانت لا تفتأ تدافع عنه أمام أبيها ، ثم اعترفت بأنها أصبحت مسيحية بفضل ما رأت فيه من كمال وسمو ، فاهتاج الامبراطور اهتياجاً شديداً واندفع نحو ابنته فى وحشية وشراسة وأطبق بيديه الغليظتين على عنقها وظل يضغط عليه حتى فاضت روحها .

أما القديس جرجس فقد حار الملك فى أمره وظن أنه إنما يستخدم السحر فيما يصنع من معجزات ، فاستدعى أمهر ساحر فى الامبراطورية وكان اسمه أثناسيوس وأمره بأن يستخدم سحره فى قتل هذا القديس ، فأخذ الساحر كأساً مملوءة خمراً وممزوجة بقدر كبير من السم وقدّمها للقديس ليشربها أمام الامبراطور فرسم القدّيس علامة الصليب على الكأس وشربها ، وكان جميع الحاضرين يتوقعون سقوطه على الفور جثة هامدة ، ولكنهم كم كانت دهشتهم حين رأوه واقفاً أمامهم مبتسماً وكأنما لم يشرب شيئاً ، فجن جنون الساحر أثناسيوس وملأ كأساً أخرى بالخمر وصب فيها كمية مضاعفة من السم وطلب تقييد يدى القديس لكى لا يرسم علامة الصليب كما فعل أول مرة ، ولكن القديس لإيمانه بقوة الصليب ــ راح يحنى رأسه الى أعلى ثم الى أسفل

ثم إلى اليسار ثم الى اليمين ، قائلاً فى كل مرة هل أشرب الكأس من هنا أم من هنا أم من هنا أم من هنا ، وبذلك رسم علامة الصليب بانحناء رأسه فى الجهات الأربع وشرب الكأس فلم تضره بشىء وكان ذلك مصداقاً لقول السيد المسيح فى الإنجيل « هذه الآيات تتبع المؤمنين ... يحملون حياة وإن شربوا شيئاً مميتا لا يضرهم » (مر ١٦:١٧و١٨) .

وعند ذلك أشار الساحر على الامبراطور بأن يطلب من القديس إقامة ميّت ليثبت بذلك صحة قول المسيح الذى يعبده « من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها » (يو ١٤:١٢) . فأخذوا القديس الى قبر قريب به رجل مات حديثاً وهناك جثا القديس على جسد الميت وصلى بإيمان للرب يسوع ، فقام الميتّ . وعندئذ انحنى الساحر اثناسيوس على قدمى القديس راجيا عفوه ، ثم أعلن إيمانه أمام الجميع فأصدر الامبراطور أمراً بقطع رأس الساحر مع مئات من الحاضرين الذين امنوا بالسيد المسيح حين رأوا هذه المعجزات .

وبعد ذلك استمر الامبراطور فى تعذيب القديس فأمر جنوده بأن يربطوه بحبال مشدودة شداً متيناً ثم يلقوا به فى جهاز الهمبازين مرة أخرى فكانت سكاكين هذا الجهاز تكشط جسده كشطاً وتمزقه تمزيقاً بشعاً ، وكان يحتمل كل هذا فى شجاعة وشهامة عظيمة ، وقد جاءه فى هذه الأثناء صوت من السماء يقول له « لا تخف ياجرجس لأنى معك » فخرج القديس من جهاز الهمبازين كامل الصحة ولا أثر فيه للتعذيب فأسرع الجند وأخبروا الامبراطور وهو فى معبد أبوللو ، فدهش دهشة عظيمة ، وصرخ اثنان من حاشيته هما أنطونيوس وبروتو لازم قائلين ان إله المسيحيين هو الإله الواحد الحق » فأمر الملك بقطع رأسيهما . كما أن طاليوس ملك الأرمن كان حاضراً فلما رأى هذه المعجزة قال أمام مجلس البلاط الأمبراطورى « أيها الملوك الكفرة ، كيف تخفون الحق . فإن جرجس هذا هو عبد الإله الحقيقى ، ولذلك فإننى اؤمن أنا وأهل بيتى وكل عشيرتى بسيدى يسوع المسيح رب وإله هذا القديس » ، واعترف معه جمع كثير ، فأمر الامبراطور جنوده باخراجهم جميعاً الى خارج المدينة ، وبقطع جسد كل واحد منهم الى عشرة أجزاء . وبعد أن فشلت كل محاولات الامبراطور

دقلديانوس مع القديس لينكر عقيدته المسيحية وانتصر عليه القديس فى محاورته له عن صحة ديانته المسيحية حَدَث أن كانت الامبراطورة الكسندرا زوجة الامبراطور موجودة تسمع ما يقال فتأثرت جداً بقوة منطق القديس جرجس وكانت تصغى باشتياق الى حديثه عن الإله الواحد الأزلى الابدى خالق كل شيء القادر على كل شيء ، وقد تجسّد فى أحشاء السيدة العذراء مريم ، فكان هو السيد المسيح ، وأخيراً صاحت الامبراطورة بأنها تؤمن بإله جرجس وأنها مسيحية ، فاشتد غضب الامبراطور وأمر جنوده بأن يقبضوا على الملكة ويعلّقوها من شعرها فى ساحة القصر ويضربوها ضرباً عنيفاً ثم يقطعوا رأسها فنفّذ الجنود ما أمرهم به الامبراطور ، وبهذه الصورة استشهدت الامبراطورة ألكسندرا .

أما القديس جرجس فقد يئس الملك من ردّه عن إيمانه المسيحى فأمر بقطع رأسه وسلّمه للجنود الذين ربطوه فى ذيل حصان وطافوا به فى شوارع المدينة كلها ، حتى إذا تعبوا قطعوا رأسه وكان ذلك فى أول مايو سنة ٣٠٣ ميلادية . وكان عمره عند استشهاده ثلاثة وعشرين عاماً . فجاء رجل من المؤمنين المحبين له اسمه سقراط وحمل جثته وذهب بها الى بيت ذلك القديس فى فلسطين حيث دفنوه فى منزله ، حتى إذا جلس الامبراطور قسطنطين الكبير على العرش شيدّ المسيحيون له كنيسة عظيمة فى مدينة الله بفلسطين ونقلوا اليها جسده ، ووضعوا رأس القديس تحت المذبح ، وأما أعضاؤه الطاهرة فوضعوها فى صندوق من الذهب وحفظوها فى الكنيسة ، ويقال أن جزءاً من هذا الجسد أخذه بعض المؤمنين فى ١٦ أبيب الى دير مارجرجس بمصر واحتفظوا به هناك . وقد بنيت باسم القديس جرجس كنائس كثيرة فى العالم كله .

وللقديس جرجس مكانة كبيرة فى قلوب المصريين جميعاً وفى طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ففى مجمع التسبحة اليومى يقال « أطلب من الرب عنا ايها الشهيد المجاهد سيدنا الملك جورجيوس ليغفر لنا خطايانا » . ويقال فى تذكاره « عظيم هو جهادك بين الشهداء والأبرار أيها القديس جورجيوس البطل الشجاع قبلت العذاب سبع سنوات أيها القديس جورجيوس » . كما تذكره الكنيسة ضمن التسبحة التى تقال بعد مزامير باكر ، وبعد صلاة الشكر فى رفع بخور عشية وباكر ، وقبل البولس فى

مرد الأبركسيس ، يقال فى تذكاره « السلام لك ياسيدى الملك جورجيوس » . وفى مرد الانجيل يقال ، أطلب من الرب عنا أيها المجاهد الشهيد سيدى الملك جورجيوس ليغفر لنا خطايانا » . ويوجد له تمجيد فى كتاب التماجيد المقدسة . وله قراءات فى دورة عيد الصليب ، والشعانين . وتوضع أيقونة الشهيد مارجرجس فى جميع الكنائس القبطية الأرثوذكسية . ويبخر أمامها الكاهن مع بقية الأيقونات .

وتوجد أديرة وكنائس كثيرة باسم مارجرجس فى كل أيبارشيات الكرازة المرقسية ، فلئن كان أكثر الكنائس فى بلادنا المصرية باسم السيدة العذراء مريم ، فإن التى تليها فى العدد مباشرة هى كنائس الشهيد مارجرجس .

ويذكر أبو المكارم فى القرن الثانى عشر أن فى عهده كانت توجد بالبلاد المصرية حوالى ١٣٣ كنيسة باسم مارجرجس أكثرها بالوجه البحرى ولا سيما محافظة الغربية التى كانت بها أكثر من أربعين كنيسة باسم مارجرجس .

وأهم الأديرة والكنائس تقيم احتفالات سنوية للقديس مارجرجس ، تستمر مدة أسبوع فى الغالب وتحدث أثناءها معجزات شفاء المرضى وطرد الأرواح النجسة : دير ميت دمسيس مركز أجا دقهلية وتستمر فيه الاحتفالات من ٢٣ الى ٢٩ أغسطس من كل عام ، ويقال أن بهذا الدير ذراع مارجرجس . وذلك غير نحو عشرين ديراً وكنيسة تقام بكل منها احتفالات سنوية لمارجرجس . وتحدث فيها معجزات عظيمة لاتلبث أن تمتد شهرتها إلى كل مكان . ويذكر المقريزى أن أكبر احتفال للشهيد مارجرجس كان يقام فى عهده بناحية شبرا فى عيد وفاء النيل .

وللقديس جرجس أيضاً شهرة عالمية تمتد الى كل أنحاء العالم ، فهو مثلاً شفيع بريطانيا التى بها ١٥٢ قرية باسمه وتنقش صورته على العملة الذهبية وتحتفل بريطانيا بذكرى استشهاده فى ٢٣ أبريل من كل عام ويعتبر البريطانيون هذا اليوم عيداً قومياً لهم تعطل فيه الأعمال الحكومية ، كما يطلق اسمه على المؤسسات التجارية والمحلات العامة والمدارس والملاجىء ، وكثير من ملوك بريطانيا يتخذون اسمه لأنفسهم تبركاً به مثل جورج الأول والثانى والثالث والرابع والخامس والسادس . وكذلك كان ملك اليونان يتخذ اسمه . وكان مارجرجس هو شفيع الامبراطورية الروسية قبل الثورة البلشفية سنة

١٩٢٣ ، ولا شك أن الروس سيعودون الى اتخاذه شفيعاً لهم بعد انهيار الشيوعية فى بلادهم .

وغالبية المنازل فى الشرق والغرب تتزين بصورة مارجرجس ولا سيما فى مصر التى يعتبره شعبها قديسهم المحبوب الذى يلجأون اليه متشفعين به فى الشدائد والضيقات ، فيسرع إليهم ليلّبى طلباتهم ويخرجهم بقوة السيد المسيح من شدائدهم وضيقاتهم .

٣ ــ مارمينـــا :

ولد مارمينا من أبوين مسيحيين مصريين ، وكان والده يدعى أودكسيوس ، ووالدته تدعى أوفيميا . وكانت العائلة تقيم فى مدينة نيقيوس أبشادى ، التى كانت فى مكان قرية أبشادى الحالية التى تقع شرق فرع رشيد بمركز منوف بمحافظة المنوفية . وكانت مدينة نيقيوس هذه شهيرة فى زمانها . وكان أودكسيوس والد القديس مينا من طبقة الحكام المقربين من أباطرة الرومان ، وكان أميراً على احدى ولايات مصر ، وهى على الأرجح ولاية نيقيوس التى كانت مقراً لعائلته ، كما كان أخوه أناطوليوس أميراً على ولاية أخرى . وكان والدهما ليبلوديافوس جد القديس أميراً أيضاً فى زمن الامبراطور الرومانى بروبوس الذى حكم الامبراطورية من سنة ٢٧٦ إلى سنة ٢٨٢ ميلادية ، مما يدل على عراقة أصل القديس .

وكان أودكسيوس والد القديس محبوباً جداً من شعب ولايته بسبب فضائله وصفاته الكريمة ، ومن ثم دخل الحسد قلب أخيه أناطوليوس فسعى ضده لدى الامبراطور الرومانى كارينوس الذى حكم من سنة ٢٨٢ الى سنة ٢٨٤ ميلادية . وبالفعل قرر الامبراطور نقل أودكسيوس الى ولاية أخرى فى شمال أفريقيا ، فانتقل حاكما لها فى سنة ٢٨٣ ميلادية ، وكان ذلك فى عهد البابا القبطى ثاؤنا البطريرك السادس عشر على الكرسى الاسكندرى ، وهناك أحبه الشعب أيضاً ، فأقام هناك مع زوجته أوفيميا التى كانت عاقراً ، ومتقدمة فى السن ، وقد حدث أن ذهبت ذات مرة الى الكنيسة ،

ووقفت أمام أيقونة السيدة العذراء وأخذت تصلّى بلجاجة أن تتشفع لها فيمنحها الله نسلاً ، وبالفعل استجاب الله لطلبها فولدت طفلاً واطلقت عليه اسم مينا وكان ذلك فى عام ٢٨٥ للميلاد .

ونشأ مينا مماثلاً لأبيه فى فضائلة ومواهبه الروحية والعقلية وكان مداوماً على الصلاة فى الكنيسة . حتى اذا بلغ الحادية عشرة من عمره ، أى حوالى عام ٢٩٦ للميلاد توفى أبوه ، ثم بعد ثلاث سنوات لحقت به أمه . وقد ورث عنهما ثروة كبيرة ، ولكنه بسبب تقواه تصدّق بها على الفقراء ، واعتكف فى الكنيسة ، حتى اذا بلغ الخامسة عشرة من عمره ، أى نحو عام ٣٠٠ للميلاد ، أصدر الامبراطور الرومانى دقلديانوس منشوراً يطلب فيه جنوداً . وكان أمير افريقيا فى ذلك الوقت يدعى أرخوريفوس ، وكان الضابط فرمليانوس قائداً لأحدى الفرق العسكرية التى تدعى فرقة الروتلياكون . وكان هذا القائد صديقاً لوالد القديس مينا ، فأقنعه بالانضمام الى فرقته ، ومنحه رتبة عالية ومركزا بارزاً فى الجيش . وقد احتفظ القديس فى الجيش بكل فضائله المسيحية ، كما كان كفؤاً فى عمله الرسمى .

ثم فى عام ٣٠٣ للميلاد أصدر الامبراطور الرومانى دقلديانوس ومعه الأمبراطور مكسيميانوس منشوراً امبراطورياً نصه كالآتى : « دقلديانوس ومكسيميانوس الامبراطوران المنتصران يعلنان على الجميع أن يفرحوا بما حظيا به من النعمة والنصر على الأعداء ، بفضل الآلهة التى حفظتنا ، واسبغت علينا بركاتها ، ولذلك فإننا نأمر كل أحد تحت سلطاننا ، سواء أكان قائداً أو مقدّماً أو كبيراً أو رئيساً أو جندياً أو مواطناً أو أسقفاً أو قسا أو شماساً أو خادماً أو قارئاً أو راهباً ، وسواء أكان صغيراً أو كبيراً ، عبداً أو حراً ، رجلاً أو امرأة ، أن يعبد الجميع الهينا أبوللون وأرطاميس . ونحن نأمر كل الذين تحت طاعتنا بأنهم بمجرد أن يصل اليهم أمرنا هذا يسارعوا الى تنفيذه بدون أى توان أو ابطاء . وكل من لا يفعل هذا سيعاقب عقاباً صارماً ، فلا يجرؤ أحد على أن يفلت من أيدينا » .

الشهيد العظيم مارمينا

فما أن ورد هذا المنشور حتى كان على الجميع أن يتوجهوا الى الهياكل الوثنية لتقديم الذبائح للآلهة . ولكن مينا رفض من كل قلبه أن يستجيب لأى كلمة جاءت فى هذا المنشور ، وقرر أن يترك خدمة الجيش وأن يهرع الى الصحراء ليقاوم كل اضطهاد يقع على المسيحيين ، ومن ثم وزّع كل ما تبقى من ثروته وممتلكاته على المحتاجين ، فلم يستبق له سوى بعض الجِمال ليعمل بها فى فلاحة الأرض بالنهار ، ثم يمضى الليل كله فى صلاة وتضرع للرب كى ينقذ المؤمنين . وقد ظل على هذا الحال فى الصحراء خمسة أعوام ، ثم فى نهاية السنة الخامسة سمع فى الليل هاتفاً يجىء له من السماء ، داعياً اياه أن يترك الصحراء ويقف أمام الحكام ليعترف بإيمانه المسيحى ، فما أن أشرقت الشمس حتى قام وسلّم ما لديه من الجِمال الى رجل من ليبيا يدعى بورفيليوس وانحدر الى المدينة ليقدّم اعترافه . وهناك وقف أمام بيروس والى أفريقيا واعترف علانية بإيمانه المسيحى ، فسأله الوالى « ما اسمك ؟ » فقال « أنا مينا خادم السيد المسيح خالق السماوات والأرض » . وعندئذ عرفه أحد الحاضرين فقال للوالى « إنى أعرف هذا الرجل معرفة جيدة . فقد كان مجنداً فى فرقة الروتلياكون ، ورئيسه هو فارمليان ، وله الآن خمسة أعوام هارباً من الخدمة العسكرية » . فقال مينا « نعم كان هذا فيما مضى ، ولكننى عند اعلان المنشور الخاص باضطهاد المسيحيين تركت الجيش وآثرت أن أكون جندياً لملك السماء ، وسأبقى هكذا الى الأبد » . فأمر الوالى اثنين من الحرّاس بالقاء القبض عليه والقائه فى السجن ، ثم فى الغد عقد مجلساً علنياً واستدعى مارمينا وأخذ يستجوبه قائلاً :

ـــ تقدم أيها المستهتر . لماذا تجرأت بالأمس وأتيت الى مجلسنا وأحدثت اضطراباً بيننا فى عيد آلهتنا ، وكيف لم تَخَف من أوامر الملوك حتى تفعل هذا ؟ من أين جئت ، ولماذا تركت الخدمة العسكرية ؟

ـــ أنا مصرى ، وقد تركت رتبة جيوش الأرض لكى أخدم فى جيوش سيدى يسوع المسيح له المجد .

ـــ ومنذ هروبك أين كنت ؟

ـــ كنت فى الصحراء وعشت حياة التوحد وسط الوحوش الضارية لكى أكتسب خلاص نفسى ، أفضل من أن أعيش مع الأشرار وأهلك ، لأنه مكتوب فى كتبنا المقدسة « لا تهلك مع الخطاة نفسى ولا مع رجال الدماء حياتى » .

ـــ لقد أخبرونى عن جنسك وعملك السابق ومنزلة عائلتك بين الناس ، فارجع عن خطأك ، وتقدم واذبح للآلهة ونفّذ أوامر الامبراطور وانقذ نفسك من الهلاك ، وسوف أكتب له كى يمنحك رتبة ممتازة أعلى من تلك التى كانت لأبيك ، وسيكون لك مركز رفيع وسلطة عظيمة .

ـــ انى لا أهتم بهذه العروض المغرية ، لأن رغبتى الوحيدة هى أن أكون وفياً لمخلّصى وإلهى ، لكى أنال الاكليل الأبدى الذى لا يفنى ، فلا تضع وقتك فى اغرائى أو تهديدى ، لأننى لا أكترث بإغرائك ولا يخيفنى تهديدك .

فلما سمع الوالى أقوال مينا واستهانته بأوامر الامبراطور واستخفافه بسلطة الحاكم ورفضه أن يذبح للأوثان ، أمر جنوده بأن يذيقوه كل صنوف التأديب والتعذيب . وبدأ بأن أمرهم بأن يطرحوه على الأرض وأن يربطوه وهو ممدّد بأربعة أوتاد ، ثم يجلدوه بالسياط ، فظلوا يفعلون ذلك حتى تمزق جسمه ، وانبثق منه الدم الغزير ـــ وفى هذه الأثناء كان بجانبه بيكاسيوس أحد رجال الوالى يحاول أن يقنعه بالذبح للأوثان لينجو من هذه الآلام الرهيبة وراح يستعطفه قائلاً له « ارحم شبابك وجمالك واذبح للآلهة قبل أن يضمحلّ جسدك وتتعرّض للهلاك » . فقال له مينا « إننى رفضت طاعة الحاكم ، فهل تتصور أننى أخضع لك ؟ إن يسوع المسيح الذى يقف بجانبى هو الذى يقوّينى ويعزّينى ويعوّضنى عن هذا العذاب حياة أبدية . أما أنتم أيها الأباطرة والحكام فسوف يكون نصيبكم هو عذاب جهنم ، ليس فقط بسبب خطاياكم الشخصية وعبادتكم الآلهة الزائفة ، وإنما أيضاً بسبب العثرات والعراقيل التى تضعونها أمام المؤمنين بالإله الحقيقى » . وهكذا تحمّل ذلك الشاب الباسل هذا العذاب القاتل فى صبر وصمت وقوة ايمان .

وإذ رأى الحاكم بيروس أن هذا العذاب لم يجعل الشهيد يتضعضع أو يتراجع صاح فى جنوده يأمرهم بأن يذيقوه عذاباً أقسى وأشد ، فوضعوه فى جهاز الهمبازين ذى

السكاكين التى تكشط اللحم كشطاً وتحطم العظم أبشع تحطيم . وفيما هو يعانى داخل هذه الآله الجهنمية أبشع وأشنع العذاب ، قال له الوالى .

ـــ هل ارتد إليك عقلك يا مينا أم يلزم لذلك تعذيب آخر ؟

ـــ إن تعذيبكم هذا ليس كثيراً بالنسبة للآلام التى اشتهيتها من أجل محبتى للمسيح مخلّصى ، فأنا محاط الآن بملائكة يعينوننى على احتمال هذا البلاء ، ويخفّفون من أوجاعى . وكل عذاب أعانيه الآن يجعلنى مستحقاً لأكاليل المجد لدى السيد المسيح ملكى والهى .

ـــ أيها الجنود زيدوا إذن فى تعذيب هذا العاصى الذى يزعم أن له ملكاً آخر غير ملكنا الامبراطور .

ـــ حقاً انكم لا تعرفون ملكى ، لأنكم لو كنتم تعرفونه لانصرفتم فوراً عن أباطرتكم الذين تخدمونهم ، وأسرعتم الى الملك الحقيقى لتقضوا العمر فى خدمته .

ـــ من هو إذن ذلك الملك الحقيقى هذا ؟

ـــ انه يسوع المسيح ابن الله الحى الأزلى الخالق لكى شىء والقادر على كل شىء .

ـــ ألا تعلم أيها البائس أن كل من يذكر اسم المسيح يستحق التعذيب والموت ، وفقاً للأمر الصريح الصادر من أباطرتنا ، فكيف تذكره وتعرّض نفسك للهلاك ؟

ـــ ان تهديداتكم تلك لا ترهبنى ولا تستطيع أن تفصلنى عن محبة الهى يسوع المسيح الذى من أجله أتقبل هذه الآلام .

ـــ وهل يعلم إلهك هذا أنك تتقبل هذه الآلام من أجله ؟

ـــ انه يعلم ذلك لأنه يعلم كلى شىء من الظاهرات والخفيات ، وكما أن الذهب لا يمكن تنقيته مالم تصهره النار ، هكذا نحن ينبغى أن نتعرّض لنار الآلام كى ننقى نفوسنا ونكون مستحقين لمحبة المسيح . فالنار تنقّى المؤمنين وتحييهم حياة أبدية ، وأما الأشرار فإنها تحرقهم وتفنيهم الى الأبد .

ـــ أتريد أن أتركك يومين أو ثلاثة كى تتبصر فى أمرك وتفكر فى هدوء ، عسى أن ترجع عن رأيك ؟

ـــ لقد انتهيت من التبصّر والتفكيّر لا يومين ولا ثلاثة ، وإنما هذا هو رأيى بالأمس واليوم والى الأبد .

وعندئذ ثارت ثائرة الوالى وغضب غضباً شديداً إزاء هذا الشاب العنيد الذى لا يتزعزع ولا يتزحزح عن رأيه ، وأمر جنوده باحضار أوتاد حديدية وتثبيتها فى الأرض ، ففعلوا ذلك وراحوا يسحبون القديس على تلك الأوتاد من شعره ومن عنقه الى الأمام ثم الى الخلف ، حتى تمزق جسده كله ، ولكن القديس مع ذلك نظر الى الوالى وقال له « لا تظنّ أن تعذيبك لى مهما بلغت بك القسوة يمكنه أن يفصلنى عن محبة المسيح ، لأنه مكتوب فى كتابنا المقدس أن كل الآلام لا تستطيع أن تسود على خدام المسيح الحقيقيين » .

فازداد الوالى غضباً وغيظاً وأمر الجنود بأن يأتوا بأقمشة خشنة ويدلّكوا بها جراحات القديس الدّامية بكل قسوة وعنف ، ولكنه مع ذلك لم يئنّ أو يتأوه أو تصدر عنه أى حركة تدل على ألم أو توجّعه حتى لقد ذهل الوالى من شجاعته وقوة احتماله وقال له « يا مينا كأنه ليس جسدك هذا الذى يتلقى كل هذا العذاب ولا يتضعضع . أو كأنّ جسدك هذا شبح من الأشباح » . فأجابه مينا قائلاً « ذلك لأن سيدى يسوع المسيح يقف بجانبى ويقوينى ويخفّف الآلام عنى ، كما يفعل مع كل الذين يحبونه » .

فما كان من الوالى إلا أن تمادى فى تعذيب القديس تعذيباً قاسياً حتى لقد قال لجنوده « أحضروا مشاعل متّقدة وثبتّوها فى جنبيه لنتغلّب بها على غلظة قلبه وشدة عناده ، ففعلوا ذلك وظلت المشاعل الملتصقة بجسمه متّقده وهو صامت لا يشكو ولايتوجّع ، فذهل الوالى وسأله قائلاً : « ألا تحسّ بالنيران التى تحرقك ؟ » فأجاب قائلاً « كلا إنها لا تحرقنى لأن السيد المسيح يقوينى ، وقد جاء فى كتابنا المقدس « اذا اجتزت فى المياه فأنا معك ، واذا مشيت فى النار فلا تلدغك واللهيب لا يحرقك » .

عندئذ كاد الوالى بيروس أن ينشق من الغيظ والخجل من فشله أمام ذلك الشاب

الشجاع وراح يصرخ كالمجنون فى جنوده قائلاً : « اضربوه بالعصا . اجلدوه بأعصاب الثيران المعقودة على قطع الرصاص ، حتى يرى جزاء احتقاره لنا ولآلهتنا . الكموه بعنف فى وجهه بغير شفقة ولا رحمة . وبالفعل انهال الجنود عليه يضربونه ويجلدونه ويلكمونه حتى تكسرت أسنانه وتمزّق جسده ، وهو مع ذلك صابر صامت كالحمل الوديع .

وفى هذه الأثناء كان يجلس مع الوالى أحد رجال البلاط يدعى هليودوروس فأومأ الى الوالى قائلاً « أنت تعلم يا سيدى أن المسيحيين يسرّهم احتمال العذاب حتى الموت ، لأن الموت عندهم أثمن من الحياة ، بل أنهم كلّما اشتدت آلامهم ابتهجوا وتهلّلوا ، فوفّر وقتك ولا ترهق نفسك مع هذا الرجل ، بل احكم عليه بالموت فهو يستحقه ، وبذلك تستريح منه » . فاطمأن بيروس قليلاً عندما سمع هذا القول وهدأت ثورته وخاطب مينا فى هدوء قائلاً « للمرة الأخيرة يا مينا أقول لك إن كنت توافق على أن تذبح للآلهة ، فسوف أعفو عنك عندئذ ، بل أعدك برتبة كبيرة وشرف عظيم » . فأجابه البطل القديس قائلاً « إننى أرفض هذه الرتبة ولا أرغب فى هذا الشرف ولا أريد هذه الكرامة الا فى السماء حيث تكون الكرامة الحقيقية فإننى أريد أن أكون جندياً لذاك الذى جعلنى أهلاً لهذه الآلام ، فإنه مكتوب فى كتابنا المقدس « أما نحن فسيرتنا فى السماء ، لأن الكرامة التى هنا فى الأرض زينة وقتية ، وهى عند الله لا شىء . أما الإيمان بالله والإقرار بعظمته فهما اللذان يجعلان رؤيته ممكنة لنا ويورثاننا الحياة الأبدية معه » . فلما رأى الوالى أنه ثابت لا يتزعزع يئس منه وأمر بإرساله الى الحاكم المجاور له فى نفس المنطقة ، وبعث اليه بأوراق الدعوى المقامة على القديس والتهم الموجهة اليه . ومع ذلك فإن بيروس أثنى عليه فى خطابه الى الحاكم وأشاد ببطولته سواء عندما كان جندياً بالجيش أو أثناء الآلام الرهيبة التى عاناها عند تعذيبه .

أخذ الجند بعد ذلك القديس مينا فى إحدى السفن الى حيث الحاكم الثانى فأمر بإلقائه فى السجن الذى كان ممتلئاً بعدد كبير من المحكوم عليهم بالموت الذين ينتظرون الاستشهاد ، ويقال إن عددهم خمسمائة وعشرون ، وفى الصباح قدّم الجند القدّيس للمحاكمة ، فبدأ الحاكم أولاً بمحاولة اغرائه بالدعود الخلابة ليرتد عن عقيدته . فلما

لم يفلح راح يكيل له التهديدات المرعبة ، ثم أصدر الأمر الى جنوده فجلدوه مائة جلدة بسيور غليظة مصنوعة من جلد البقر . ثم احضروا منشاراً مهددين بأن ينشروا جسده ، ولكنه لم يأبه بكل ذلك . وأخيراً صدر عليه الحكم ونصه : « حيث أن مينا الجندى المسيحى رفض أن يطيع أمر الامبراطور المعظّم ويذبح للآلهة ، نأمر بأخذ رأسه بالسيف واحراق جسده بالنار » . وساق الجند القديس الى مكان التنفيذ . وهناك ركع ورفع عينيه الى السماء وصلّى بحرارة ، ثم مدّ عنقه للسياف فهوى السيف على عنقه وأسلم الروح وكان ذلك بإحدى ولايات شمال أفريقيا فى نحو عام ٣٠٩ للميلاد فى اليوم الخامس عشر من هاتور ، وكان عمره حينذاك نحو أربعة وعشرين سنة .

وبعد أن قطع السيّاف عنق القديس ، أعدّ الجند كومة من الحطب ليحرقوا جثته كما أمر الوالى واضرموا النار وألقوا الجثّة فيها وتركوها ومضوا . فجاء بعض المؤمنين وأخرجوا الجثة من بين الحطب وأخذوها كما أخذوا الرأس ولفّوها فى لفائف حريرية وعطّروها بأغلى الأطياب ثم حملوها الى بيت واحد منهم .

ولم تمض بضع سنوات على استشهاد القديس مينا حتى خرج من شرق ليبيا قوم من البربر ، وشنّوا هجماتهم على منطقة مريوط فى مصر فأشاعوا فيها الخراب ، فاستعان الحاكم بفرق عسكرية من المناطق الأخرى القريبة من منطقة أفريقيا . وصدر الأمر بذلك الى فرقة الروتلياكون بقيادة رجل مسيحى يسمى أثناسيوس ، وكان من أعز أصدقاء القدّيس مينا . وتأهّبت الفرقة على الفور لكى ترحل الى الاسكندرية لتعاضد أهل مريوط ضد جماعات البربر . وقد أشار القائد اثناسيوس على بعض الجند المسيحيين فى فرقته بأن يأخذوا معهم جسد القديس لكى تحميهم ببركتها وتنصرهم فى حربهم ، فأخذوا الجسد سراً الى السفينة التى ستتّجه بهم الى الاسكندرية . ولما كانت السفينة فى عرض البحر ، انشقت المياه فجأة عن حيوانات ضخمة مرعبة ذات أعناق طويلة ورؤوس تشبه رؤوس الجِمَال ومدّت رؤوسها الى داخل السفينة تريد أن تلتهم الذين فيها ، ففزع الجميع وراح المسيحيّون يصلّون متشفعين بالقديس مينا ، واذا بسهام من نار ملتهبة تخرج من جسد القديس وتتّجه الى تلك الحيوانات ، فهربت واختفت فى مياه البحر . ولكنها لم تلبث أن ظهرت مرة أخرى ، ولكنها بفعل السهام النارية الخارجة

من الجسد المقدس ارتدّت مرة أخرى ، و لم تلحق أى أذى بالجنود ، بل انها أحنت رؤوسها ساجدة أمام الجسد فى هيبة وجلال ، ثم غطست فى البحر مرة أخرى و لم تظهر بعد ذلك .

وبعد خمسة أيام وصلت السفينة الى الاسكندرية ، واستقبل الشعب القبطى كله جسد القديس وعلى رأسه البطريرك الذى يرجح أنه كان هو البابا الكسندروس البطريرك التاسع عشر ، وأنزلوه بالكنيسة المرقسية وعزموا على بناء كنيسة خاصة به ، ثم واصلت الفرقة العسكرية رحلتها وقد أخذت معها الجسد المقدس ، واتجت غرباً ، وعندما اقتربت من بلدة أبى صير ، نزل الجنود الى البر ، ووضعوا الجسد على جمل آخر أقوى من الأول ، ولكن هذا الجمل توقّف أيضاً وعجز عن الحركة عجزاً كاملاً ، وهكذا فعلوا ببقية الجمال التى معهم فحزن القائد أثناسيوس ولكنه فهم أن هذه هى ارادة الله أن يكون مكان هذا الجسد هو ذلك المكان ، وعندئذ أمر أثناسيوس بحفر صورتين متشابهتين على لوحين من الخشب تمثّلان القديس ، كما تمثّلان وحشاً من تلك الوحوش المشابهة للجِمَال التى خافت منه وسجدت عند قدميه . ثم وضع أثناسيوس الصورتين على جسد القديس وصنع تابوتاً من الخشب الثمين ووضع الجسد فيه ثم بَنَى له مقبرة ودفنه هناك ، ودفن معه احدى الصورتين اللتين صنعهما له ، وأما الصورة الأخرى فأخذها لتكون بركة للجند فى عودتهم الى بلادهم .

وقد ظل جسد القدّيس مدفوناً فى ذلك القبر ، دون أن يعرف أحد من أهل مريوط حقيقته ، الى أن حدث بعد بضعة سنوات أن كان هناك صبى كسيح منذ ولادته فى قرية إستى ، راح يزحف الى خارج القرية حتى رأى نوراً ينبعث من قبر القديس فواصل الزحف نحوه وهناك وقع عليه نعاس ، وكان أهله يبحثون عنه حتى وجدوه نائماً عند القبر ، وحين أيقظوه ذهلوا اذ رأوا ذلك الطفل الكسيح منذ ولادته قد انتصب قائماً ثم راح يجرى ويقفز الى داخل القرية ، فلما علم الناس بهذه المعجزة هرعوا الى القبر واحضروا كل المرضى الذين فى القرية فشفوا جميعاً من أمراضهم . كما كان أحد رعاة الغنم لديه خراف مصابة بالجرب . وحدث أن غطس أحدها فى نبع ماء قريب من القبر ، ثم تمرغ فى التراب فشفى فى الحال ، فدهش الراعى وأحضر

باق خرافه المريضة فشفيت كلها . و لم يلبث خبر هذه المعجزات أن ذاع بين الناس فى تلك المنطقة ، فبنوا كنيسة صغيرة لجسد القديس على هيئة مقصورة لها قبة قائمة على أربعة أعمدة ، وتوافد الناس من كل الانحاء لينالوا الشفاء من جسد القديس ، و لم يفتأ عدد الناس يتكاثر حتى ضاق بهم المكان ، فاتجهوا الى الأنبا أثناسيوس الذى كان بطريركاً للأقباط فى ذلك الحين ، بين عامى ٣٢٨ ، ٣٧٣ للميلاد ، فبنى لهم كنيسة كبيرة فى نفس المكان ، إلا أنه على الرغم من اتساع هذه الكنيسة فقد ضاقت هى الأخرى بالوافدين اليها من كل انحاء العالم ، فبنى لهم البابا ثيؤفيلوس بين عامى ٣٨٥ و ٤١٢ للميلاد كنيسة ثالثة أكثر اتساعاً . ثم فى عهد الامبراطور زينون فى المدة بين عامى ٤٧٤ و ٤٩١ للميلاد بنيت حول هذه الكنيسة مدينة ظلت تتسع حتى أصبحت من المدن العظيمة .

ثم بدأ عصر تخريب الكنائس على يد الخلقيدونيين منذ عهد البابا يوساب الأول فى الفترة بين سنة ٨٣١ إلى سنة ٨٤١ ميلادية ، فخربت كنيسة مارمينا ، ولكن جسد القديس ظل فى موضعه داخل تابوته . ثم فى نهاية القرن الثالث عشر أصبحت المدينة التى حول الكنيسة مهجورة وخربة . وفيما كان بعض البدو ينقبون فى الأنقاض عثروا على تابوت القديس ، وبعد أحداث كثيرة انتقل التابوت الى أحد الأقباط الأتقياء ، فاحتفظ به دون أن يعلم حقيقة شخصية الراقد فيه . ثم أخذه الى بيته فى مدينة بنها ، و لم يلبث أن ظهر القديس مينا فى رؤيا لراهب اسمه اسحق يمتّ بصلة القربى لصاحب البيت ، وأخبره بأنه هو صاحب الجسد الذى فى التابوت ، ففرح جداً ، كما فرح صاحب البيت ، وكلّف كاهناً برفع البخور أمام الجسد . ثم حدثت منازعات بعد ذلك حول الجسد ، فلما علم بذلك البابا بنيامين البطريرك الثانى والثمانين ، أمر بنقل الجسد الى كنيسة مارمينا بفم الخليج بالقاهرة ، وهناك ظهرت منه معجزات كثيرة . وظل الجسد فى هذه الكنيسة قروناً طويلة ، حتى جاء البابا كيرلس السادس ، فاهتم به اهتماماً عظيما واعتبره شفيعه وقرر الاحتفال بعيدين له كل سنة فى كل انحاء مصر ، احدهما فى ١٥ هاتور والثانى فى ١٥ بؤونه ، وقام ببناء دير باسمه فى مريوط بالقرب من موضع الدير الأثرى ، ونقل جسده الى ذلك الدير فى احتفال دينى عظيم فى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٢ ميلادية . ويقع دير مارمينا الحالى بمنطقة مريوط على بعد حوالى

٧٠ كيلوا متراً الى الجنوب الغربى من الاسكندرية ، فى منتصف المسافة بين الاسكندرية ووادى النطرون . ولرغبة البابا كيرلس السادس فى دوام رفع الصلوات فى تلك البقعة المقدسة قام ببناء كنيسة كبرى باسم القديس داخل اسوار ذلك الدير .

وفضلاً عن الدير الأثرى باسم مارمينا فى مريوط ، والدير الجديد الذى بناه البابا كيرلس السادس بمريوط ، توجد خمسة أديرة أخرى باسمه بمصر القديمة ودير وكنيسة مارمينا بفم الخليج بالقاهرة ، وبمركز كفر الزيات بمحافظة الغربية ، وبضواحى منفلوط بمحافظة أسيوط ، وبمركز نجع حمادى بمحافظة قنا ، وتوجد باسمه ١٢ كنيسة عامرة و ٢٤ كنيسة أثرية فى كل أنحاء القطر .

وكان من أثر شهرة مارمينا العظيمة التى وصلت الى مسامع العالم كله أن بنيت باسمه كنائس كثيرة ، ليس فى مدن مصر وحدها ، وإنما كذلك فى مختلف بلاد العالم مثل آرك بفرنسا ، وكولونيا بألمانيا ، وروما بايطاليا ، والقسطنطينية وأيرلندا .

وقد اتخذ اسم مارمينا من بطاركة مصر البابا مينا الأول البطريرك السابع والأربعون الذى جلس على كرسى البابوية سنة ٧٦٧ ميلادية ، والبابا مينا الثانى البطريرك الحادى والستون الذى جلس على كرسى البابوية سنة ٩٥٦ ميلادية . كما اتخذ اسم مارمينا عدد كبير من أساقفة الكنيسة القبطية .

وللقديس مينا مكانة عظيمة عند المصريين بسبب قداسته وقوة شفاعته أمام الله ، وآلاف المعجزات التى تمّت بواسطته على امتداد تاريخه كله ، ولذلك فإن الكنيسة القبطية تذكره مراراً فى صلواتها وقراءاتها إكراماً له وتذكيراً للجميع بقصة استشهاده ومعجزاته والمثال الصالح الذى تركه لكل المسيحيين . ومن ثم فإن الأقباط يأتون الى ديره فى الصحراء من كل انحاء القطر ويقيمون الصلوات فى كنيسة الدير ، بل أن كثيرين من غير مصر يأتون الى ديره من أبعد البلاد ، ولا يمر يوم إلا ويمتلىء الدير بالآلاف ممن يقصدونه ويتخذونه شفيعاً لهم ويطلبون اليه الشفاعة لدى السيد المسيح فى شفاء أمراضهم وأنقاذهم من ضيقاتهم المختلفة الأسباب ، وبالفعل تجرى فى هذا الدير كل يوم معجزات عظيمة تدل على مدى قداسة ذلك الشهيد ومكانته العظيمة لدى الله .

٤ ــ القديسة بربارة :

ولدت القديسة بربارة فى نحو عام ٢٢٠ للميلاد من أب وثنى يدعى ديسقورس فى نيقوميديا التابعة لولاية بيثينيا بآسيا الصغرى . وكان أبوها من الأشراف الموسرين ذوى المكانة والجاه ، وكان وثنياً متعصّباً لوثنيته ، شديد التمسك بأصنامه ، ومن ثم كان يكره المسيحيين ويزدريهم . أما والدتها فتوفيت وهى ما تزال طفلة صغيرة . حتى إذا كبرت وترعرعت أصبحت ذات جمال ساحر وروح رقيقة تأخذ بمجامع القلوب ، ومن ثم رأى أبوها أن يحجزها عن الانظار ليقيها مفاسد ذلك العصر ، ويبعدها عن المسيحية التى كانت قد ازدهرت فى ربوع آسيا الصغرى ، فأقام لها قصراً شامخاً عالى الأسوار ، ووفّر لها فيه كل أسباب البهجة والسرور ، وخصّص لسكناها غرفة رحبة فى أعالى ذلك القصر ، حتى لا يتسنى لأى أحد أن تقع عينه عليها ، وجاء لها بكبار الأساتذة الوثنيين ليلقّنوها شتى العلوم فى ذلك العصر ، شأن بنات الأشراف وصفوة الأثرياء ، والوجهاء المترفين . وعمل على أن تنشأ مثله شديدة الحب والولاء للآلهة ، فوضع أصنامهم فى كل ناحية من نواحى القصر والحديقة حتى يقع بصرها عليهم أينما اتجهت . بيد أن الوحدة التى فرضها أبوها عليها جعلتها دائمة التأمل والتفكير واستطلاع أسرار الكون والكائنات ، مما دفع بها لأن تعتقد أن هناك قوة عظمى هى التى أوجدت كل الموجودات وهى التى تديرها وتدبرها وتتحكم فيها ، ومن غير المعقول أن تكون تلك القوة هى هذه الأصنام التى ليست إلا حجارة صمّاء ، ومن ثم راحت تبحث عن الاله الحقيقى الذى تتمثّل فيه تلك القوة العظيمة التى أبدعت بدائع الأرض والسماء ، وكان بين خدمها فتاة مسيحية أخذت تطلعها على أسرار عقيدتها ، وتقنعها بأن الإله الذى تفكر فيه وتبحث عنه هو الإله الذى يعبده المسيحيون ، وراحت تلقّنها قصة الخالق والخليقة ، وقصة آدم وحواء ، وقصة مجىء المسيح فادى البشر ومخلّصهم من الهلاك . ثم أخبرتها عن عالم مسيحى كبير وشهير ، يدعى أوريجانوس ، أستاذ الفلسفة المسيحية فى الجامعة اللاهوتية بالاسكندرية ، فأسرعت برباره وكتبت اليه رسالة شرحت له فيها أفكارها وطلبت اليه أن يكون مرشدها ، فأجابها برسالة بديعة وأعطاها صورة حية للعقيدة المسيحية ، وسلّم تلك الرسالة الى تلميذه فالنتيانوس فسلمها اليها ، ومنه وقفت على الأسرار الإلهية ، وقد شرح لها معتقدات الديانة المسيحية

شرحاً وافيا ، وحدّثها عن بتولية السيدة العذراء مريم وجمال هذه البتولية ، كما حدّثها عن الحياة الزائلة الزائفة على الأرض ، والحياة الباقية الخالدة فى السماء . ومن ثم تشبعت روحها بالعقيدة المسيحية واقتنعت بها اقتناعاً كاملاً وعميقاً ، وفى النهاية التمست من فالنتيانس أن يعمّدها ، فعمّدها وأتاها بالقربان المقدس فناولها . ومنذ ذلك الحين خصصت بتوليتها للرب على مثال السيدة العذراء مريم ، ووطّنت نفسها على احتمال الآلام واستعدّت اذا اقتضى الامر حتى للاستشهاد . وظل أبوها لا يعلم شيئاً عن كل ذلك . واذ رآها قد اكتمل شبابها وازدهر جمالها ، أرادها أن تتزوج من أحد الأمراء . فما عرض هذا الأمر عليها حتى رفضت رفضاً قاطعاً بحجة أنها لا تريد الابتعاد عنه وقد اعتادت على الوجود معه . فتركها بعض الوقت عسى أن يتغيّر تفكيرها ، ولكن طالبى يدها من الأمراء راحوا يلحّون على أبيها أن يقبل واحداً منهم ليكون زوجها ، فعاد الى التحدث اليها فى هذا الأمر ، فاعتذرت مرة أخرى ، واذ رأى أنها تتعلل بأنها لا تريد الابتعاد عنه ، سافر وتركها كى تتعوّد على فراقه ، ولكنها أثناء غيابه عكفت على قراءة الأنجيل والكتب المقدسة ، ثم قامت الى الأصنام التى أقامها أبوها فى القصر وفى الحديقة فحطمتها . ولما عاد أبوها هرعت لاستقباله وعانقته فى شوق ، فظن أنها قد رضخت له وأصبحت مستعدة لأن تستجيب لرغبته ففاتحها من جديد بشأن زواجها ولكنها اعتذرت كعادتها ، فألحّ عليها الحاحاً شديداً ، فلم تجد فى النهاية مناصاً من أن تفضى اليه بحقيقة الأمر ومن ثم استجمعت كل شجاعتها وصارحته بأنها خطبت نفسها لعريس سماوى يفوق فى المجد والسمو كل عريس على الأرض ، ولذلك فإنها لن تتزوج من أحد فاضطرب ديسقورس وملأته الدهشة وسألها بلهجة عنيفة « من هو هذا العريس الوهمى الذى تقولين عنه ؟ ان ارادتى يجب أن تطاع ، ولا عريس لك الا من أريده أنا لك ، وإلا فأنت تعرفين مقدار غضبى على من يجسر على مخالفتى » . وعندئذ أيقنت بربارة أن المعركة قد بدأت ، فاستعانت فى نفسها بالسيد المسيح وحشدت كل قواها وقالت لأبيها « إننى مسيحية وقد نذرت بتوليتى للرب يسوع » فكاد يجن وأخذ يشتم ويلعن ، وقد أنفجر غضبه كالبركان ثم اندفع خارجاً وهو لا يكاد يعى من شدة ثورته ، واذ رأى الأصنام التى يعبدها محطمة والصلبان مرسومة على الجدران ارتدّ الى ابنته يعنّفها ويشرح لها فظاعة عملها وخسارة

حياته وأمواله واسمه وشرف أسرته فإن الامبراطور لابد أن ينتقم منها ومنه . فاندفعت بربارة بكل ما أعطاها الروح القدس تدافع دفاعاً حاراً عن موقفها وتبين لأبيها أن من الغباوة الاعتقاد بالأصنام وأن الإله الواحد خالق السماوات والأرض هو وحده الإله الحقيقى ، واهب الحياة ومبدع الكائنات . فلم يتحمل أبوها أكثر من ذلك واندفع كالثور الهائج وقد استلّ سيفه يريد الفتك بها ، فهربت من أمامه ، فلحق بها وراح يضربها ضرباً عنيفاً ، ويلكمها بيديه ويركلها برجليه ، ثم أمسك بها من شعرها وجرّها الى قبر مظلم حيث كبلّها بالقيود وتركها بين الحياة والموت .

فلما كان اليوم التالى أراد ديسقوروس أن يعلن أمام الملأ عبادته لآلهة الدولة وولاءه للامبراطور ، وخضوعه لأوامره ، فذهب الى الوالى مركيانوس وبسط له ما حل به من العار من جراء كفر ابنته بالآلهة وطلب منه أن ينزل بها أشد العقاب ، فأرسل الوالى فى طلبها فأتوا بها مكبّلة بالأغلال وازدحمت الجموع حولها لتنظر ما يكون من أمرها .

وحين أبصر الوالى هذه الفتاة الغضّة الشباب الباهرة الجمال وطلعتها الملائكية ، هدأ غضبه وأمر الجند فنزعوا أغلالها ، ثم لام أباها على استعمال العنف معها ، وأخذ يلاطفها على أمل أن يردّها عن الإيمان بالمسيح قائلاً لها « إنى لأعجب كيف استطاعت تلك الشرذمه المسيحية أن تخدعك وأنت ابنة رجل عظيم . لماذا تُحزنين شيخوخة أبيك ؟ ألا ترين أنك بعنادك تحرمين نفسك من كل خيرات أسرتك وكل ما تجلبه لك صفاتك النبيلة وجمالك الرائع من دواعى البهجة والسرور ؟ عودى الى رشدك واتركى الأوهام الدينية وقدّمى الذبائح لآلهتنا ولا تعرّضى نفسك لموت فظيع وعار شنيع » .

فأجابت برباره بوداعة « إننى كل يوم أقدّم ذبيحة التسبيح للكى والهى رب السماوات والأرض وكل مافيها . إن آلهتكم ليست سوى حجارة صماء صنعتها أيدى الناس ، وإنكم بعبادتكم لها تعبدون الشياطين . أما خيرات الدنيا التى تهددنى بخسارتها فإنها لا قيمة لها عندى ، لأن قلبى متعلق بالخيرات الحقيقية الأبدية التى وعدنا بها يسوع المسيح ربى والهى » .

القديسة الشهيدة بربارة

فاستشاط الحاكم غضباً ، وعظم عليه أن فتاة صغيرة تجسر أن تخاطبه بهذا الشكل ، وتزدرى آلهة الدولة وتتحدّى أوامر الامبراطور علناً أمام الناس ، فأمر الجلادين فنزعوا عنها ثيابها وجلدوها جلداً عنيفاً ، حتى تفجّرت الدماء من أعضائها الغضّة ، ثم أمرهم فمزقوا جسدها بحدائد مسنّنة ، حتى أن الحاضرين أخذتهم الشفقة وذرفوا الدموع على صباها ونضارتها . أما الوالى فكان كلما أظهرت احتمالاً وبسالة ازداد هو قسوة وفظاظة ، فأمر بها فعلقوها فى الفضاء ورأسها الى أسفل ، وأخذوا يضربونها حتى سالت منها الدماء ، ثم انزلوها ونثروا على جسدها المثخن بالجراح ملحاً ليزيدوا فى آلامها ، ولفوها بنسيج من الخيش الخشن ، وراحوا يدخلون بين هذا الخيش وبين جسدها الدامى قطعاً من الفخار المكسور إمعاناً فى تعذيبها . ولكنها ظلت هادئة وصابرة لاتئن ولا تتوجع . فلما لم يظفروا منها بأى إشارة تدل على استسلامها لإرادتهم أعادوها الى السجن ، فجلست فى ظلام السجن تصلى وتتضرع الى السيد المسيح كى يثبتها فى الايمان الى النفس الأخير ، فظهر لها السيد المسيح وشجعها وشدد عزيمتها .

وكانت بين الحاضرين أثناء تعذيبها فتاة تدعى يوليانة ، فلما رأت ما أنزلوه بها من عذاب ، ذرفت الدموع سخينة إشفاقاً عليها ، ولكنها حين رأت ثباتها وشجاعتها تمنت أن يتاح لها أن تواسيها فى آلامها حتى لو أدى الأمر الى موتها .

وفى صباح اليوم التالى أخرجوا برباره من سجنها وقادوها من جديد لمحاكمتها أمام الوالى ، فإذا بها سليمة الجسم كأنها لم يلحق بها أى ضرر بالأمس ، فما أن وقع نظر الوالى عليها حتى تملكته الدهشة ، ولكنه أراد أن يغالطها أمام الحاضرين فقال لها « أرأيت ما فعلته آلهتنا لك مما يدل على أنها تحبك وترحمك . فاشفقى أيتها الفتاة الجميلة على نفسك واحرصى على حياتك وارجعى عن عنادك واذبحى للآله ، فإن لم تمتثلى سيكون الموت هو جزاؤك » . فأجابته برباره قائلة « كيف تعتقد أيها الوالى أن هذه الأصنام الحجرية التى لاتتكلم ولا تتحرك ولا تعقل تستطيع أن تعين الناس وتساعدهم ؟ إن الذى شفانى هو ربى يسوع المسيح مخلص العالم . واعلم أيها الوالى أن إيمانى به لا يمكن أن يزعزعه وعد ولا وعيد ، فلتصدر أمرك بما تشاء من ألوان التأديب والتعذيب ، فأنا راضية ومطمئنة الى أن الهى ومخلصى سيقيمنى بالمجد بعد أن تقتلوا جسدى ، وسوف أحيا معه فى السماء الى الأبد » .

فاشتد غضب الوالى وأمر جنوده بأن يعلقوها من شعرها وأن يمزقوا جسدها بالسياط والمخارز الحديدية ، فأخذوا يفعلون ذلك حتى تدفق الدم من كل أنحاء جسمها ، ثم طرحوها على الأرض وجعلوا يحرقون أطرافها بالنار ، ولكنها ظلت ثابته العزم مستسلمة لأيدى الجلادين . فلما رأت يوليانه ما حل بالقديسة من العذاب الأليم بكت وراحت تصرخ من هول مارأت ، فسأل عنها الوالى فقيل له إنها مسيحية مثل بربارة ، فأمر بتعليقها هى أيضاً وأن يمشّطوا جنبيها بأمشاط حديدية وأن يلهبوها بمشاعل متقدة بالنار .

واذ رأى الوالى أن بربارة لم تصعف على الرغم من كل ما حلّ بها من ألوان العذاب ، أمر بأن يذيقوها طعم الفضيحة بأن يخلعوا عنها كل ثيابها حتى تصبح عارية تماماً ، وأن يطوفوا بها هكذا فى الشوارع والأسواق ، فاضطربت البتول أمام هذا الفكر الجهنمى ، وتضرعت الى الله أن لا يسمح بهذا العار ، قائلة « خلصنى يارب من أنظار هذا الجمع السفيه الأثيم » . وما كادت تنتهى من صلاتها حتى شاهد الناس جروحها وقد شفيت وانبعث من وجهها سناء وضّاء بهر العيون ، فلما رأى الوالى ذلك خاف الفضيحة وأمر بقطع رأسها بالسيف هى ويوليانه .

وعند ذلك شاهد الناس رجلاً يبرز من بين الجمع والشَّرر يتطاير من عينيه ، وقد تقدَّم الى الوالى وطلب اليه أن يسمح له بأن يقطع رأس ابنته بيده ، فتعالت أصوات الحاضرين يقولون فى دهشة « إنه أبوها ، إنه أبوها » ، إذ كان هذا هو ديسقوروس أبو بربارة ، فسمح له الحاكم بما أراد ، فقبضوا عليها وساروا بها هى ويليانه الى خارج المدينة ، وتبعته الجموع تلعنه وتصب عليه جام سخطها .

أما بربارة فأخذت تصلّى صلاة طويلة ، ثم قالت : « يا ضابط الكل ، فى يديك أستودع روحى ، أنا وعبدتك يوليانه » وأما أبوها فأخذ فأساً وقتلها هى ويوليانه ، وجاء أحد المؤمنين وأخذ جسدى الشهيدتين ولفّهما فى ثوب من حرير ودفنهما فى حقل بجزيرة تدعى غلاليا ، ثم نقلت الأعضاء المقدسة بعد ذلك الى مصر ، ووضعت بالكنيسة التى تحمل اسم القديسة بربارة بمصر القديمة . وقد كان استشهاد هذه القديسة فى يوم ٨ كيهك سنة ٢٣٧ ميلادية فى عهد الامبراطور الرومانى ماكسيمينوس .

أما الكنيسة التى دفنت فيها هذه الشهيدة فهى الكنيسة التى تحمل اسمها بمصر القديمة ، ويقال إنها أنشئت فى آخر القرن الرابع الميلادى أو أوائل القرن الخامس . وقد ذكر المؤرخ المقريزى فى القرن الخامس عشر الميلادى أنها أعظم كنائس الأقباط شهرة ، وكانت تقام فيها سنوياً الاحتفالات العظيمة بذكرى القديسة بربارة ، وكان يحضرها بطريرك الأقباط بنفسه . وقد تعرّضت هذه الكنيسة للتخريب فى القرن العاشر الميلادى ثم أعاد بناءها الوزير القبطى يوحنا بن الأبحّ فى عصر الدولة الفاطمية حوالى سنة ١٠٧٢ ميلادية . ويقال أنه تم تجديد الكنيسة مرة أخرى فى القرن الثامن عشر على يد المعلم ابراهيم الجوهرى . وتحتفل كنيسة القديسة بربارة الأثرية بمصر القديمة بعيد استشهادها فى يوم ٨ كيهك واليوم الذى يعقبه فى كل عام احتفالاً عظيماً تحت رعاية قداسة البابا ويحضره الشعب من جميع الجهات .

٥ ــ القديس مرقوريوس أبو سيفين :

ولد القديس مرقوريوس حوالى سنة ٢٢٥ ميلادية ، وكان اسمه فى البداية فيلوباتير . وكان أبواه وثنيين يقيمان فى مقاطعة سكيتوس بشرق الامبراطورية الرومانية ، فى مكان دولة رومانيا الحالية . وكان اسم والده جورديانوس واسم والدته كيبوثوس . ولم تلبث هذه العائلة أن اعتنقت الديانة المسيحية .

وكان والد ذلك الشهيد قائداً فى جيش الامبراطورية الرومانية . فلما توفى التحق ابنه بالجيش ، وتدرج فى سلك الجندية ، وإذ أدهش الجميع بشجاعته ومهارته العسكرية أطلقوا عليه اسم مرقوريوس .

وكان يحكم الامبراطورية الرومانية فى تلك الأيام الامبراطور ديسيوس الذى ظل على العرش منذ سنة ٢٤٩ الى سنة ٢٥١ ميلادية . وكان يساعده فى الحكم فاليريانوس . وقد حققت الامبراطورية الرومانية انتصارات عظيمة على أعدائها فى بداية عهد ديسيوس ، وكان ينسب انتصاراته الى فضل الآلهة الوثنية التى كان يعبدها ويتعصّب لها أشد التعصب . فأصدر بالاشتراك مع مساعده فاليريانوس مرسوماً عاماً يقضى بوجوب أن يضحى للآلهة الوثنية كل مواطنى الامبراطورية ، حتى إذا امتنع

أحد عن ذلك ينبغى تعذيبه تعذيباً شديداً ، فإذا استمر فى امتناعه ينبغى قتله . وأصدر الامبراطور أمره بإرسال نسخ من هذا المنشور الى جميع أنحاء الامبراطورية ، فأحدث هذا المنشور اضطراباً عظيماً فى كل مكان .

وبينما كان ديسيوس منشغلاً بشن حملة اضطهاده على المسيحيين ، فوجىء بهجوم البربر على حدود الامبراطورية ، فأصدر أمره باستدعاء كل فرق الجيش التى فى كل المقاطعات الامبراطورية ، وكانت من بينها فرقة مرابطة فى أرمينيا تسمى مارتيسون ، وكان قائدها فى ذلك الحين يدعى ساترنينوس . وكان مرقوريوس من ضباط هذه الفرقة . وحدث انه بينما كانت المعركة فى أشدّ مراحلها ، ظهر له ملاك الرب فى هيئة رجل يرتدى ملابس بيضاء متلألئة ، ويشع منه الضياء وقد أمسك سيفاً فى يده ، واقترب منه وقال له « يامرقوريوس عبد يسوع المسيح ، اننى مرسل اليك لأساعدك وأقودك الى النصر ، فتسلّم هذا السيف من يدى وحارب به الأعداء ، حتى إذا انتصرت لا تنسى الرب الهك » . وقد اعتقد مرقوريوس أن هذا الرجل أحد قواد الامبراطور ، وبمجرد أن أمسك السيف الذى أخذه من يده شعر بقوة الهية تغمره ، فأسرع بهذا السيف ، وبالسيف الذى كان معه الى لقاء جنود الأعداء بهذين السيفين فهزمهم شر هزيمة .. وكان من نتيجة ذلك أن انتصر جيش الامبراطور انتصاراً عظيماً ، وقد أفنى من جيش العدو حوالى ثلاثين ألف جندى ، وكان ذلك بفضل الانتصار الذى أحرزه مرقوريوس . فجعله الامبراطور قائداً أعلى للجيوش الرومانية ، ولم يكن حينذاك قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره .

ولم يلبث الامبراطور أن استدعى مرقوريوس واستقبله بكل ترحيب وأكرمه إكراماً عظيماً أمام الملوك والأمراء ، والولاة الحاضرين ، وخاطبه بإعزاز وفخر عظيمين ، ملقباً إياه ببطل روما العظيم قاهر الأعداء .. وبعد أن تشاور معه فى بعض الأمور المتعلقة بالامبراطورية والجيش قال له « هيا بنا يا مرقوريوس لنقدّم البخور والقرابين لأرطاميس إلهتنا العظيمة ، لأنها أعانتنا فى الحرب وحققت لنا هذا النصر العظيم » . ثم خرج الامبراطور وحوله موكب عظيم من قواد الدولة وعظمائها ، ولكن مرقوريوس لم يخرج معهم ، ولم يذهب معهم الى المعبد . وقد لاحظ ذلك القنصل كاتيلوس وكان يكره

مرقوريوس ويغير منه ويحقد عليه ، فوشى به لدى الامبراطور قائلاً له « إنه يعصى أوامرك اذ لم يذهب معك الى المعبد ، ولا يحترم الآلهة » فأمر الامبراطور باستدعاء مرقوريوس وقال له « أأنت مرقوريوس الذى رفعته الى أعلى المناصب ومنحته أرفع الأوسمة ، ووهبته كل رعاية وتكريم ؟ لقد جعلتك قائداً أعلى ورئيساً على كل القواد بسبب النصر الذى أحرزته بفضل الآلهة . فلماذا بادلت حبى لك بالبغضاء ، ولماذا استهنت بالمناصب العظيمة التى تفضلتُ بها عليك ؟ إنك بسلوكك هذا تزدرى الآلهة بدلاً من أن تقدم لها الولاء والشكر » .

فأجابه مرقوريوس قائلاً « إننى ما ارتقيت الى قيادة الجيش إلا عن استحقاق و لم أنتصر على الأعداء إلا بقوة ربى وإلهى يسوع المسيح . أما المناصب والأوسمة التى تتحدث عنها فإننى أعيدها اليك » . ثم خلع مرقوريوس الأوسمة العسكرية والمنطقة الذهبية التى يتقلّدها وألقى بها عند أقدام الامبراطور ، وصاح مجاهراً بإيمانه أمام الحاضرين قائلاً « إننى مسيحى ، فاسمعوا جميعاً ، إننى مسيحى » .

وعندئذ ذهل ديسيوس ونظر الى مرقوريوس متأملاً فى جماله البارع وشخصيته الجذابة وملامحه الوسيمة وجسمه الممشوق القوى . ثم حاول أن يستميله بكل وسيلة حتى لا يخسر هذا البطل الشجاع ، ولكنه لم يستطع ، اذ رفض مرقوريوس قائلاً « لقد قلت لك اننى مسيحى ، ولن أتراجع أبداً عن إيمانى بسيّدى يسوع المسيح من أجل مناصب زائلة أو مظاهر تكريم دنيوى ، وسوف أظل بنعمته أميناً له حتى الموت » . فثارت ثائرة الامبراطور وأمر جنوده بالقبض على مرقوريوس والقائه فى السجن .

وفى اليوم التالى حضر الامبراطور الى الساحة التى كانت تعقد فيها اجتماعات مجلس الشيوخ الرومانى ، وكانت تسمى « الفوروم » ، وأمر جنوده بإحضار مرقوريوس ، فما رآه ماثلاً بين يديه حتى أخذ يلاطفه تارة ويهدده تارة أخرى ، ولكنه لم يضعف وإنما قال « إنى مسيحى ولا أخشى العذاب ولا أهاب الموت » . ومع ذلك ظل الامبراطور يراوده الأمل فى أن يستجيب له ، فراح يستميله قائلاً :

ــ اذهب يا مرقوريوس وارفع البخور للآلهة العظيمة كى تنقذ حياتك وسوف أجعلك أعظم رجل فى الامبراطورية .

ـــ يا سيدى إن آلهتك هى التى قال عنها داود النبى « أصنامهم فضة وذهب من عمل الناس . لها أفواه ولا تتكلم . لها أعين ولا تبصر . لها آذان ولا تسمع .. مثلها يكون صانعوها ، بل كل من يتكل عليها » .

ـــ اننى أحبك يا مرقوريوس ولا أريد أن أعذّبك . لذلك أكرر عليك القول بأن تذهب وترفع البخور للآلهة .

ـــ إن العذاب على اسم ربى يسوع المسيح هو شرف عظيم لى ، فقد تجرّدت بإرادتى من الأوسمة والألقاب لأنها فانية مع كل أمجاد هذا العالم . وأنا لا يهمنى إلا أن أفوز بملكوت السماوات . فأنا مسيحى يا سيدى الامبراطور ، وقد قلت لك اننى لا استمع الى أقوالك ، فلا تتعب نفسك وتكرّر ما تقوله لى . وها أنا مستعدّ الآن لا لأن أتألم فقط ، بل أن أموت أيضاً على اسم ربنا يسوع المسيح . فكل ما تريد أن تفعله بى فافعله ولا تتردد .

ـــ أخبرنى عن أسرتك ومكان ميلادك .

ـــ ان أبى حسب الجسد يدعى جورديانس وهو من سكيتوس ، وقد خدم فى سلك الجندية وكان قائداً فى فرقة مارتيسيون . وكان يتبع الإله الحقيقى ، سيدى يسوع المسيح الذى هو أبى السماوى ، ولذلك فإن مدينتى السماوية هى أورشليم مدينة الملك العظيم ، ملك الملوك .

ـــ ومن الذى دعاك بلقب مرقوريوس هذا .

ـــ أنه قائد الكتيبة التى كنت تابعاً لها . وأما الاسم الذى دعانى به والدى فهو فيلوباتير .

ـــ يا مرقوريوس أنصت جيداً لكلامى وفكّر كثيراً قبل أن تجيبنى هل توافق على الخضوع لما جاء بالمنشور الصادر منا الى كل أنحاء الامبراطورية وتقدّم التبجيل الواجب نحو آلهتنا ، وعندئذ أعيدك مرة أخرى الى مركزك ورتبتك العسكرية وتستعيد الكرامة التى كانت لك فى الجيش .

ـــ إننى جئت الى هنا الآن كى أنتصر بأسلحتى الإلهية على إبليس الذى هو مصدر كل الشرور ، وبعد انتصارى عليه بنعمة ربنا يسوع المسيح سأنال منه إكليل النصر . فكل ما تريد أن تفعله بى فافعله سريعاً .

ـــ كيف تجاسرت يا مرقوريوس على أن تقول هذا الكلام أمامى وترفض أوامرى ؟

قال الامبراطور هذا وقد تأجّج غضبه وأمر جنوده بأن يجرّدوا مرقوريوس من ثيابه وأن يربطوه بين أربعة أوتاد على ارتفاع ذراع من الأرض ، ثم يغرسوا دبابيس حادة الأطراف فى كل جسده ، ووقف الامبراطور يشاهد عذاب القديس متعجّباً من صبره واحتماله وسط هذا العذاب المرير ، وأخذ يهزأ به قائلاً « أين هى أسلحتك التى تتسلح بها ، وأين هو إلهك لينجيك ؟ » فلم يجبه القديس بكلمة واحدة ، فأمر الامبراطور جنوده بأن يمزّقوا جسد القديس بأمواس حادةّ ، وأن يشعلوا جمراً من النار تحته ليحترق . ثم لم يلبث أن أمرهم بأن يفكوّا أربطة يديه ورجليه حتى لا يموت هكذا سريعاً وينجو مما ينوى أن يذيقه إياه من ألوان العذاب الأخرى ، وقد كان القديس على وشك أن يموت فعلاً من قسوة ما ناله من تنكيل لا يحتمله بشر . وقد أمر الامبراطور بنقله الى السجن . فلما كان فى السجن ظهر له ملاك الرب وراح يشجعه ويشفى جراحه .

وفى اليوم التالى أمر الامبراطور بإحضار القديس مرة أخرى أمامه ، فلما جىء به ذهل إذ رآه وقد شفيت كل جراحه وعاد سليماً كما كان من قبل فقال له « عندما حملوك من أمامى بالأمس كنت على وشك الموت ، فكيف أراك الآن معافى ولا إصابات فى جسدك ؟ » وإذ عرف أنه بالتأكيد سيقول إن المسيح هو الذى شفاه ، واصل كلامه قائلاً للجند « ألم تحضروا اليه طبيباً فى السجن ليعالجة ؟ » . فقالوا إنه لم يدخل عنده أحد قط . وأما كيف شفى من جراحه فنحن لا ندرى » . فصاح الإمبراطور قائلاً « إنه سحر المسيحيين . كيف كان بالأمس مجرد جثة هامدة ، وها هو اليوم واقف على قدميه ؟ » ثم صاح بالقديس قائلاً :

ـــ من الذى شفاك .

ـــ ان الذى شفانى هو ربى يسوع المسيح الطبيب الحقيقى الذى يشفى أجسادنا وأرواحنا » .

ـــ إننى سوف أضع نهاية لحياتك بألوان العذاب العديدة ، وسوف أرى اذا كان المسيح الذى تؤمن به سيشفيك .

ـــ إننى أؤمن بربى يسوع المسيح ، فمهما أصابنى من ألوان العذاب لن تستطيع أن تهلكنى ، لأنه يقول « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يقتل النفس والجسد كليهما فى نار جهنم » .

فأمر الامبراطور بأن يحضروا أسياخ حديد محمّاة وأن يضعوها على جسم القديس وأن يسلّطوا على جنبيه مشاعل نار متوهجة ، ثم قال له :

ـــ أين طبيبك لتطلبه كى يأتى ويشفيك ؟

ـــ إفعل بى ما تشاء لأن لك سلطاناً على جسدى فقط ، وأما نفسى فهى مِلْكُ لإلهى .

وهنا أمر الامبراطور جنوده بأن يعلقّوا القديس فى شجرة منكّس الرأس وأن يربطوا فى عنقه حجراً ضخماً . ولكن قوة الله التى ترافق الشهيد آزرته فاستطاع أن يحتمل هذا العذاب القاسى فترة طويلة من الوقت حتى تعب الامبراطور ويئس من تعذيبه ، فلما طالت مدة تعليقه و لم يمت أمر جنوده بأن يطرحوه فى السجن حتى تخرج روحه من جسده ، فإن لم يمت سيرى فى الغد ماذا يصنع به . وفى السجن قضى القديس ليلته كلها يصلّى . وإذا بنور عظيم أضاء كل أركان السجن فسقطت كل القيود المربوط بها وظهر له ملاك الرب يقوّيه ويشجّعه ، ثم مد يده ومس حروقه وجراحه فشفى القديس فى الحال وقد زال عنه كل أثر للجراح .

وفى الغد سأل الامبراطور عن مرقوريوس وهو متأكد أنه فارق الحياة ، ولكن الجند أخبروه بأنهم وجدوه مازال على قيد الحياة وأنه بصحة كامله . فلما أحضروه صاح

الامبراطور قائلاً « يامرقوريوس أشفق على جسدك وارجع عن عنادك وقدم البخور للآلهة الكرام ، فنستريح وتستريح أنت أيضاً من هذا العذاب وهذه الآلام » ولكن القديس لم يرد عليه ، فأمر جنوده بأن يحضروا سوطاً معقودة به فى أطرافه قطع من الحديد ، وأن يجلدوه به حتى يتناثر لحمه وينزف دمه . فلما رأى أن القديس لم تظهر عليه أى علامة للخوف أو الرهبة وأن عزيمته لم تتزعزع على الرغم من تعذيبه على هذه الصورة وأن كثيراً من الحاضرين قد أعجبوا به وأحبّوه وأخذوا يصيحون علانية معترفين بقوة إله القديس ، إزداد الامبراطور حنقاً منه وحقداً عليه ، وكتب قضيته قائلاً « حيث أن الامير مرقوريوس القائد الأعلى للجيوش الرومانية قد أنكر الآلهة المكرّمين ورفض طاعة الأوامر الامبراطورية ، فإننا نأمر بأن يؤخذ إلى قيصريّة الكبادوك لتؤخذ رأسه هناك بحّد السيف » .

فأخذ الجند القديس وأجلسوه على دابة وربطوه عليها لأن جسده كان ممزقاً ولحمه متناثراً منه أثر الجلد ، وبعد بضعة أيام قضوها فى سفر طويل ، وصلوا الى قيصرية الكبادوك وهناك أنزلوه ، فطلب منهم أن يتركوه ليصلى قبل تنفيذ الحكم ، وبينما كان يصلّى ظهر له السيد المسيح ببهاء عظيم يحيط به الملائكة ورؤساء الملائكة وخاطبه بصوت حنون وشجعه ، ثم باركه واختفى عنه . ففرح القديس فرحاً عظيماً والتفت الى السياف والجند المحيطين به ، قائلاً لهم « الآن افعلوا كل ما أمرتم به ، فتقدم الجلاد وقطع رأسه بحد السيف . وكان ذلك فى الساعة الثالثة من النهار فى اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ٢٥٠ للميلاد ، وهو اليوم الخامس والعشرين من شهر هاتور حسب التقويم القبطى .

وتذكر جميع المخطوطات أنه بعد أن أكمل القديس جهاده وقطعت رأسه صار جسده كله أبيض كالثلج وانبعثت منه رائحة عطرة جداً ، مما دفع كثيرين من الحاضرين الى الإيمان بالسيد المسيح .

كما تذكر المخطوطات أنه بعد مرور نحو خمسين عاماً من استشهاد القديس مرقوريوس أى نحو عام ٣٠٠ للميلاد ظهر القديس فى رؤيا لرجل بسيط فى قيصرية الكبادوك وأنبأه بالمكان الذى دفن فيه جثمانه وطلب منه استخراج هذا الجثمان من تحت أنقاض

بيت قديم فى تلك المدينة وبناء كنيسة باسمه ، وفعلاً ذهب الرجل الى المكان الذى ذكره له القديس ووجد جثمانه ملفوفاً بثوب أبيض وقد انبعثت منه رائحة بخور زكية انتشرت فى المكان كله ، ففرح الرجل به فرحاً عظيماً وأخذ يقبله ، وأخذ المسيحيون يتجمّعون حوله ، ثم حملوه الى كنيسة المدينة ، ثم راحوا يبنون كنيسة خاصة باسمه وحين اكتملت نقلوه اليها ، وكان ذلك حسب تقويم الكنيسة القبطية فى اليوم الثالث من شهر أبيب ، وقد بدأت المعجزات تتوالى فى هذه الكنيسة ، وبعد أنتشار السيرة العطرة لهذا القديس تسابقت كنائس كثيرة فى العالم المسيحى كله لتحصل على اجزاء من جثمانه لتكون بركة لكل الأجيال . ومنها كنائس فى قبرص واليونان وايطاليا وتركيا . كما توجد أجزاء من هذا الجثمان فى أديرة وكنائس مصر ومنها دير وكنيسة القديس أبى سيفين للراهبات بمصر القديمة .. وقد بنيت على اسم هذا القديس أديرة وكنائس كثيرة خارج مصر ، وفى المدن المصرية . فخارج مصر بنيت على اسمه عدة كنائس وأديره فى كبادوكية وتسالونيكى وفى اليونان وايطاليا واستراليا وكاليفورنيا بأمريكا . وفى مدن مصر بنيت على اسمه عشرة كنائس فى القاهرة وحدها . وفى الإسكندرية والوجه البحرى خمس كنائس وفى الوجه القبلى أثنان وعشرون كنيسة . وتلك هى الكنائس التى لا تزال عامره وأما الكنائس التى اندثرت فهى فى القاهرة خمسة كنائس وفى الوجه البحرى تسع كنائس وفى الوجه القبلى واحدة وعشرون كنيسة .

وتكرم الكنيسة القبطية ذكرى الشهيد مرقوريوس تكريماً عظيماً وتذكره فى كل طقوسها كالذكصولوجيات والابصاليات وكذلك فى الدفنّار ، ويذكره الآباء الكهنة فى تحليل الكهنة عقب صلاة نصف الليل ، وذكصولوجية باكر عقب صلاة مزامير باكر قبل رفع البخور وفى أرباع الناقوس ، وفى رفع بخور عشية وباكر . وفى مرد الأبركسيس وفى مجمع الآباء القديسين وفى ألحان المناسبات وفى السنكسار .

والقديس الشهيد مرقوريوس مشهور فى مصر بلقب أبى سيفين ويتخذ الأقباط هذا اللقب اسماً لكثير من رجالهم وإن كانوا اختضروه الى « سيفين » ، مما يدل على مدى تكريمهم له وتعلّقهم به وطلبهم لشفاعته والتماسهم المعجزات على يديه .

٦ ــ القديسة كاترين :

كتب سيرة هذه القديسة فى القرن العاشر الميلادى سمعان المتافرستى ، وسجلها فى موسوعة « أخبار القديسين » وقد جمعها من أساقفة الكنائس والأديرة .

وقد كانت القديسة كاترين تعيش بالاسكندرية فى عهد الامبراطور الرومانى مكسيميانوس ، وكان والداها وثنيين من عائلة نبيلة ذات شهرة وثروه ، وقد تعلمت أحدث العلوم فى عصرها ولا سيما الفلسفه ، وقد آمنت بالسيد المسيح وان كانت لم تتعمد ، ثم رأت فى الحلم السيدة العذراء مريم تحمل ابنها يسوع ، فما رآها الطفل الالهى حتى أشاح بوجهه عنها ثم ظهر لها السيد المسيح بعد ذلك وطلب منها أن تتعمد فتعمدت ، فظهر لها وألبسها خاتماً كرمز إلى رضائه عنها والى أنها أصبحت عروساً له .

وكانت الامبراطورية الرومانية فى ذلك العهد ، مقسمة بين الأباطرة الثلاثة قسطنطين وليسينيوس ومكسيميانوس ، وكانت مصر تابعة لمكسيميانوس الذى كان مستبداً عاتياً ، يبغض المسيحيين بغضاً شديداً ، ويعذّبهم أشد عذاب ويفتك بهم . فلم يلبث أن أصدر منشوراً بالعوده الى عبادة الآلهة الوثنية التى كان الناس قد هجروها ، ويقتل كل من يرفض التبخير لها وتقديم الذبائح اليها . وقد أقام حفلاً كبيراً لتمجيد تلك الآلهة وأصدر أمراً بأن كل من لا يشترك فى ذلك الحفل يجرى تعذيبه بأشد صنوف العذاب ثم يكون جزاءه الموت . وقد ارتاع المسيحيون حين رأوا عهد الأضطهاد يتجدد بعد موت دقلديانوس . وكانت كاترين تخرج من قصرها كل يوم وتطوف بشوارع الإسكندرية . كى تشجع المسيحيين وتقوى عزائمهم ، معرضة نفسها لأشد الأهوال ، مستعدّة حتى للموت ، فشاع اسمها بين كل المسيحيين فى الإسكندرية . ثم قرّرت أن تواجه الامبراطور نفسه لتوبّخه على عبادته للآلهة الوثنية ، ووحشيته فى معاملة الذين يرفضون تلك العبادة .

فلما حضر الإمبراطور الى الاسكندرية طلبت أن تقابله ، فلما جاءها الاذن بذلك دخلت القصر ورأت الإمبراطور جالساً يحيط به الوزراء والقوّاد فى ملابسهم الرسمية ، فوجهت إليه كلامها قائلة له : « إننى يسعدنى يا جلالة الإمبراطور أن تعرف النتائج

الخطيرة لمنشورك الأخير » . فدهش الامبراطور من جرأتها ومن بلاغتها وتأثيرها القوى وقال لها « اخبرينى أيتها الصغيرة ماذا تريدين ومن أنت » فقالت له « أنا ياجلالة الامبراطور كاترين وعائلتى معروفه فى الإسكندرية ، وأجدادى من أشراف الامبراطورية ، وقد درست كثيراً من العلوم كما درست البلاغة والفلسفة وقد وقفت حياتى على السعى لمعرفة الحقيقة ، وقد أيقنت أن يسوع المسيح هو الإله الحق ، فأصبح هو معلمى وعريسى » .

واستمرت كاترين تشرح للامبراطور عقيدتها المسيحية ، وتناقشه بمنطقها السديد وبلاغتها الرائعة ، حتى أثبتت له أن كل الآلهة الوثنية ليست الاّ جمادات صمّاء ، أو بعبارة أخرى ليست إلا شياطين ، فأحرجت الامبراطور إذ انتصرت عليه فى نقاشها ، فلم يَسَعه إلا أن يقول لها « اننى لست على دراية كما ينبغى بأفكار الفلاسفة حتى يمكننى أن أهدم حجتك ، ولكننى سأجىء لك بأكبر العلماء فى الامبراطورية وهم سيعرفون كيف يردون على منطقك الذى تتوهمين أنه لا يمكن الرد عليه ، وسيظهرون لك أن اعتقادك الذى تتفاخرين به ليس إلا وهم وهراء » . فوافقت كاترين على أن تواجه أولئك العلماء ثم انصرفت .

ومن ثم أرسل مكسيميانوس يستدعى أكبر العلماء فى امبراطوريته ليناظروا تلك الشابة المغرورة بعلمها والمستسلمة ــ على ما يرى هو ــ لحماس الشباب ورعونته . فلم يلبث أن ذاع خبر ذلك فى جميع الامصار ، وبات الجميع ينتظرون متلهّفين اليوم الذى حدّده الامبراطور لتلك المناظرة التى لم يسبق فى التاريخ مثيل لها . أما كاترين فقضت أيامها ولياليها فى صلاة متصلة وصوم مستمر . وأخيراً جاء اليوم المعهود فتقاطر عظماء الامبراطورية وقوّادها وتوافد العلماء على القصر الامبراطورى . وأخيراً دخل الامبراطور فى عظمة الى قاعة العرش فوقف الجميع إجلالاً له ومهابة منه . ودخلت كاترين فاتجهت اليها كل الأنظار وداخل المسيحيين الخوف عليها أمام ذلك الحشد الحافل من الشيوخ والعلماء والفلاسفة ، ولكنها كانت هادئة مبتسمة ، لا تبدو عليها أى لمحة من الرهبة أو الخوف .

ثم بدأ عميد العلماء بالكلام قائلاً للفتاة :

ـــ أيتها الأميرة النبيلة ، إنك تستحقين اللوم الشديد لأنك تكلّمت عن مقدساتنا بتلك الجسارة والاستهتار .

ـــ من جانبى لا أعتقد أن تهمة الجسارة والاستهتار تمسّنى . فأرجوك أن تجيبنى بأدلّة منطقية .

ـــ إذا كنت على علم بما قاله الشعراء ، فسوف تلاحظين ألقاب المجد التى أسبغوها على الآلهة العظام . إن الكلمات المجيدة التى وصفوا بها الآلهة بعيدة كل البعد عن أوصافك المحتقرة لهم .

ـــ من هم هؤلاء الشعراء ؟ وما هى ألقاب المجد التى أسبغوها على آلهتك ؟

ـــ هوميروس على سبيل المثال ، يصف جوبيتر بأنه « الأعظم والأمجد » ، وأورفيليوس يصف أبوللو بأنه « الكلّى القدرة الذى يرى الآلهة ويأمرهم » . ويمكننى أن أذكر لك عدداً كبيراً من الشعراء الآخرين الذين مجدّوا آلهتنا . كما أن أىّ واحد من هؤلاء الشعراء لم يقل أن ذلك الرجل المصلوب الذى تؤمنين به إله من الآلهة .

ـــ لقد سبق أن قلت أن الشعراء قد أسبغوا على آلهتك كثيراً من صفات التمجيد ، ولكنك لا تستطيع أن تنكر أن أولئك الشعراء أنفسهم قد وصفوا تلك الآلهة بأنها مختلّة العقل ، وآخرون منهم قد نسبوا اليها أعمالاً مشينه وجرائم من كل نوع . فهذا هوميروس الذى تقول أنه مجّد جوبيتر بكثير من الكلمات الجميلة ، قد وصفه بالضلال ونَسَب اليه الكذب والسرقة والانحلال . إن الفلسفة الصحيحة القائمة على المنطق لا يمكن أن تعترف إلا بإله واحد ، خالق السماء والأرض ومبدع جميع الكائنات . وقد أكد سوفوكليس أن من بين الأخطاء المتأصلة بين البشر عبادتهم وإكرامهم للصور والتماثيل الكثيرة للآلهة ، مؤكداً أنه لا يوجد إلا إله واحد ، هو الذى صنع كل شىء .

ثم استرسلت كاترين فى دفاعها شارحة لأولئك الفلاسفة أسرار العقيدة المسيحية ومبرهنة على ألوهية السيد المسيح ، وأنه واحد مع الآب والروح القدس ، وأنه تجسَّد

الملاك ميخائيل

وخلّص البشر من الهلاك بآلامه وموته وقيامته ، وسردَت أقوال الأنبياء فى العهد القديم ، ثم طبقتها على ما جاء بالعهد الجديد عن حياة السيد المسيح وتعاليمه ومعجزاته وموته على الصليب فداء عن البشر . فاستولت كاترين ببلاغتها وقوة منطقها على نفوس كل الحاضرين ، وإذ طلب الامبراطور الى العلماء والفلاسفة أن يدافعوا عن ديانتهم ، كانت دهشته عظيمة ، إذ قالوا له إن الفتاة الصغيرة قالت الحق وأنهم مقتنعون بكل ما قالته ، وأنهم كانوا من قبل على خطأ ، وقد تبّرأوا من الديانة الوثنية وأصبحوا يؤمنون بالرب يسوع المسيح ، وسيعبدونه على أنه الإله الحقيقى .

عندئذ اشتعل غضب الامبراطور ، وجنّ جنونه ، وقد أصبح محرجاً مسلوب الكرامة أمام شعبه ، فتحوّل الى وحش مفترس وأصدر أمره الى جنوده بأن يوقدوا ناراً ويلقوا فيها كل أولئك العلماء والفلاسفة الذين خذلوه ، ففعل الجنود ذلك ، وقد تألم شعب الإسكندرية كله من تلك المأساة الرهيبة . وأما الإمبراطور فقد أفاق فى اليوم التالى وأراد أن يتراجع فأمر بدعوة كاترين الى قصره ، فلمّا مثلت أمامه ، قال لها بلهجة رقيقه :

ــ يا إبنتى ها أنت ترين المحبة الأبوية التى أغمرك بها ، فأرجو أن توافقينى على أن تقدّمى ذبيحة لأشترى بها رضاء الآلهة التى أنت مدينة لها بالحكمة المذهلة الظاهرة فى شخصك ، وعندئذ ستقيمين فى قصرى ، وتصيرين إبنتى ، وكل ما ترغبينه أحققه لك .

ــ أرجوك أن تكفّ يا جلالة الامبراطور عن أن تجزل لى من عبارات التملق هذه ، فإنها لا تؤثر فى نفسى ولا تغيّر من عقيدتى . فقد عزمت على أن أجود بحياتى من أجل يسوع المسيح إلهى ، أفضل من أن أنكره وأسىء اليه . لقد اتخذنى عروساً له ، وأعطانى خاتم الزواج المقدّس . وإننى واثقة من أنه سيسبغ من هباته على شخصى الضعيف عندما يُلبسنى ثوب الاستشهاد الذى هو فى نظرى أثمن من ثوب الأرجوان الملكى الذى تعدنى به .

ــ إحذرى يا إبنتى لأننى أستطيع أن أذلّك وأحطّم عنادك وألبسك ثوب الاستشهاد الذى تتحدثين عنه ، ولكن بعد أن أذيقك شر عذاب .

ـ إفعل ما تراه ولا تظن أن إلحاحك سيخضعنى مهما كانت قسوتك ، لأن المكافأت التى سأنالها من سيدى يسوع المسيح مكافأة أبدية ، لا تعادلها أى مكافأة على الأرض .

فلما رأى مكسيميانوس أن سياسة اللين التى اصطنعها لم تعد تجدى مع تلك الشابة الباسلة ثارت ثائرته ، وأمر جنوده بأن يجلدوها فأخذوها الى الفناء الخارجى للقصر ، وظلوا ساعتين يجلدونها جلداً قاسياً عنيفاً حتى تمزّق جلدها وأنبثقت دماؤها ، وحتى أن المشاهدين لم يقووا على رؤية هذه الفتاة الجميلة وهى تعانى كل هذا العذاب فبكوا من التأثر . أما هى فكانت ثابته لا تتأوّه ولا تتوجّع حتى ذهلوا من شجاعتها وقوة احتمالها ، ثم ألقى بها الجنود فى السجن مدة اثنى عشر يوماً متتالية ، فقضت هذه المدة كلها فى الصلاة ، فضمّد الرب جراحها ، وأعاد اليها الصحة الكاملة . وأما الامبراطور فذهب فى هذه الأثناء للتفتيش على القلاع والحصون التى على الحدود الشمالية لمصر .

وكانت فوستان زوجة الامبراطور قد رأت كاترين فى يوم الاجتماع الشهير واستمعت فيه الى بلاغتها وعذوبة منطقها ، فأعجبت بها فى قلبها ، كما أنها رأت فى الحلم كاترين بعد ذلك تتلألأ ببهاء عظيم وهى جالسة على عرش من نور ، وقد دعتها الى الجلوس بالقرب منها ووضعت لها إكليلاً على رأسها وقالت لها « أيتها الملكة العظيمة إن عريسى هو الذى يهدى إليك هذا الإكليل » . فلما استيقظت رغبت فى أن ترى كاترين وطلبت من بورفيروس قائد السجن أن ييسّر لها ذلك . فلما رأت كاترين وقد شفيت تماماً من كل جراحها ذهلت ذهولاً عظيماً ، وراحت كاترين تحدّثها فى حكمة وقوة عن السيد المسيح وعن ملكوت الله وعن الازدراء بنعيم الدنيا وخيراتها الزائلة ، والتمسك بالنعيم السماوى فى حضن السيد المسيح ، ففتح الرب قلب الملكة وآمنت ، كما آمن بورفيروس قائد السجن اذ كان ينصت للحديث ، وقد تنبأت كاترين بأنهما سيعانيان بعد ثلاثة أيام صنوف العذاب ، فأبديا استعدادهما لذلك ولو أدى الأمر بهما الى الموت .

فما أن عاد الامبراطور من رحلته ، حتى كان أول ما فعله هو أن ذهب الى السجن وهو يظن أنه سيجد هناك كاترين وقد أصبحت جثة هامدة بعد ما كابدته من ضربات

السياط على جسمها ، ولكنه فوجيء بأنها قد استردت صحتها وازدادت بهاء واشراقاً ، فأخذ يلحّ عليها أن تقبل الزواج منه ، فوّبخته توبيخاً شديداً على نقضه للقوانين والتقاليد ارضاء لكبريائه وشهوته . ولم يستطع أن يحتمل تهكمها عليه فغادر السجن غاضباً ، وراح يفكر فى الكيفية التى يحطم بها عناد تلك الفتاة . وكان هناك حارس خاص للامبراطور وهو فى نفس الوقت حاكم إحدى المقاطعات تقدّم الى الامبراطور وقال له « يا جلالة الامبراطور إننى أعرف وسيلة للتعذيب تضع حداً لعناد هذه الفتاة ، وهى آلة بها عجلة مزوّدة بقطع مسنّنه من الحديد ، تحدث عند دورانها فرقعة مخيفة تجعل من يسمعها يموت من الخوف ، وهى كفيلة بأن تقتل هذه الفتاة . فوافق الامبراطور وأمر جنوده بأن يجيئوا بهذه الآلة الجهنمية ، فجاءوا بها ووضعوها فى مكان متسع ، واقتادوا كاترين حتى وقفت أمام هذه الآلة الضخمة الممتلئة بالأسنان الحديدية الحادة ، ولكنها لم يظهر عليها أى خوف ، وإنما ابتسمت ابتسامة كلها ثقة وطمأنينه ، فأمسكها الجند وربطوها فى الآله بحبال متينة ، ثم بدأوا يديرون الآلة الرهيبة لكى تسحق جسدها سحقاً . ولكن يداً خفية امتدت وقطعت الحبال ، فسقطت كاترين على الأرض ولم يصبها سوء ، وأسرع الجند يحاولون أن يأخذوها من على الأرض ليربطوها بالآلة مرة أخرى ، ولكنهم خانتهم قواهم فاجتذبتهم الآلة ومزقت السنون الحادة أجسادهم . وكانت فوستان زوجة الامبراطور تشاهد هذا المنظر فذهبت الى زوجها وأخذت تلومه على وحشيته ، قائلة له « لقد كان عليك أن تترك هذه الأبنة تذهب حرة وأن تذعن للحق أمام المعجزات الباهرة التى جرت على يديها وأن تتخلى عن شرورك وآثامك وتؤمن بالمسيح فتنال الخلاص » . فجن جنون الامبراطور حين سمع هذا الكلام من زوجته ، وإذ عرف أنها أصبحت مسيحية هى والقائد بورفيروس ، أصدر الأمر الى جنده بتعذيبهما ثم قطع رأسيهما ، كما أمر بقطع رؤوس مائتين من جنود بورفيروس الذين رأوا هذا المشهد فآمنوا بالمسيح .

وأخيراً أمر الامبراطور جنده بقطع رأس كاترين بالسيف ، وعندئذ ركعت وصلت ثم طلبت من الجند أن يقوموا بواجبهم فقطعوا رأسها ، وكان ذلك فى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ٣٠٧ ميلادية .

وقد دفن جسد القديسة كاترين فى مرتفعات جبل سيناء ، حيث أنشىء بعد ذلك دير يحمل اسمها ويحجّ اليه المسيحيون من مصر ومن كل أنحاء العالم ، حيث أصبح مزاراً عالميا ، وأصبحت القديسة كاترين من أشهر الشهداء وقد اشتهرت باسم شهيدة الإسكندرية .

ويصوّر الفنّانون أيقونة القديسة كاترين وعلى رأسها تاج رمزاً الى نسبها الملكى ، وممسكة بيدها فرع نخيل رمزاً لانتصارها ، وسيفاً يرمز الى طريقة استشهادها ، كما تمسك بكتاب يرمز الى ثقافتها العالية . ويرسمون فى إصبعها خاتماً يرمز الى الخاتم الذى وضعه السيد المسيح فى إصبعها .

٧ ــ الأمير تادرس الشُّطبى :

فى عهد الامبراطور الرومانى نوماريوس كانت العداوة على أشدها بين الأمبراطورية الرومانية ومملكة فارس . وكانت كل منهما تجمع الرجال الأقوياء لمحاربة الأخرى . ومن ثم أرسل الامبراطور الرومانى الى مصر أميراً أنطاكياً يدعى أنسطاسيوس كى يختار من بين المصريين رجالاً أشدّاء يصلحون لأن ينضموّا الى الجنود الرومان فى حربهم ضد الفرس . فتوغل ذلك الأمير فى صعيد مصر حتى وصل الى بلدة كانت تسمى « تابور » بالقرب من مدينة شطب التابعة لمركز أسيوط ، وهناك أعجب برجل مسيحى يدعى يوحنا ، كانت تبدو عليه مخايل القوة والشجاعة والاقدام ، ولكنه حين عرض عليه الانضمام الى الجيش الرومانى رفضه ، فأصدر الأمير أمراً بالقبض عليه . وعبثاً حاول والى تابور ــ وكان يدعى كيروس وهو زوج أخت يوحنا ــ أن يجعل الأمير يتخلّى عنه ، وقد حبسه الأمير فى معصرة لكى لا يهرب منه . وبينما كان يوحنا يبكى فى سجنه سمع صوتاً فى الليل يقول له « لا تبك يا يوحنا بسبب مغادرتك لهذه الأرض ، فإنها ستصير مملوكة لك وسيرثها أبناؤك من بعدك ، وسيدفن جسدك فى هذا الموضع الذى سجنت فيه ، وستُبنى فيه كنيسة ، وبدل المعصرة سيكون هيكل يقدم فيه جسد المسيح ودمه » . فلما سمع يوحنا هذا القول طلب أخته أنفيليا وزوجها الوالى كيروس ، وأخبرهما بما رآه وسمعه فى الرؤيا ، ثم قال لهما : « إن الله كفيل بحراستى ، فلا تفعلا أو تقولا ما يغضب الأمير ، لئلا يسمع الامبراطور بعصيانى أمره ، فيصبّ جام غضبه على بلادنا ويقتل أهلها وأكون أنا السبب » ، ثم ودّعها وانطلق مع الأمير . وفعلاً أظهر يوحنا من البسالة والإقدام فى الحرب ما جعله ينال حظوة لدى الأمير انسطاسيوس حتى لقد عرض عليه الزواج من ابنته الجميلة « أوسانيا » ، فوافق مبتهجاً ومن ثم زف الى تلك الأميرة التى كان يتطلع الى الزواج منها أشهر الفرسان فى البلاط الامبراطورى وعاش يوحنا مع عروسه تلك فى مدينة أخائية على ضفاف البحر الأسود ، ولم يلبثا أن أنجبا ولداً جميلاً سَمياّه تادرس . بيد أن الأميرة أوسانيا كانت تعبد الأوثان فى حين كان يوحنا مسيحياً ، وقد حاولت كثيراً استمالته لأن يدخل فى ديانتها ، فكان يرفض ذلك رفضاً قاطعاً ، فكانت تعيّره قائلة له « إنك ناكر للجميل الذى صنعه معك أبى الذى جاء بك عبداً ذليلاً ، وجعلك من أكابر القوم ، إذ أعطانى لك زوجة على الرغم

من تقاليدنا وعلى الرغم من اختلاف الديانة بيننا » وقد اعتزمت أن تطرده من قصرها . وكان يوحنا يخشى أن يتركها خوفاً على ابنه تادرس من أن تجعله أمه وثنياً مثلها ، فكان فى صلاة دائمة ، حتى تراءت له ذات ليلة رؤيا سمائية ، وقد ظهر له ملاك الرب وقال له « لا تخف يا يوحنا على ابنك تادرس ، وكن على ثقة من أنه سيكون بَرَكة للعالم المسيحى كله ، وسيرفع راية المسيحية عالياً بإيمانه القوى وسيكون الرب معه . أما أنت فاترك هذه المرأة واذهب الى أهلك وعشيرتك فى مصر » ، فقام يوحنا مبكراً وغادر القصر منطلقاً الى صعيد مصر .

ولم يلبث أن مات الأمير أنسطاسيوس ، فأخذ حفيده تادرس لقبه وأصبح أميراً . وقد ألحقته أمه بمدرسة البلاط الامبراطورى ليتلقّى العلوم العسكرية كى يصبح ضابطاً فى الجيش ، فسريعاً ما أصبح موضع اعجاب زملائه من أبناء الأمراء ، بقوته وجرأته وشجاعته . بيد أنه حدث أن سمع من زملائه أن أباه كان مسيحياً وأن أمه طردته لهذا السبب ، وأنه مازال حياً لم يمت . فذهب تادرس الى أمه وسألها عن أبيه فقالت له إنه مات فى الحرب ، فقال لها « لقد عرفت الحقيقة وعرفت أنك طردت أبى لأنه كان مسيحياً ، فدعك من هذا وهيا نذهب الى أبى ونؤمن بالمسيح » ، فغضبت أمه غضباً شديداً وقالت له « لقد فقدت رشدك يا تادرس . فَعُد الى صوابك وهلُمّ اسجد للآلهة طالباً منهم الصفح لئلاّ يصبوّا جام غضبهم عليك » . فقال « إننى لن أسجد إلا ليسوع المسيح إله أبى . أما هذه الأوثان فلم يعد لها مكان فى قلبى ، ولا فى هذا البيت بعد الآن » . ثم ضرب بقدمه الصنم الحجرى الذى كان قائماً أمامه فوقع الصنم وتحطم . ثم خرج تادرس واتجه الى الكاهن المسيحى أولجيانوس ، فلقنه مبادىء الإيمان المسيحى ثم عمدّه . وكان عمره وقتذاك خمسة عشر عاماً .

وقد علم الامبراطور دقلديانوس ببطولة الأمير تادرس فأعجب به وقلّده أعلى الرتب العسكرية ، وكلفه بقيادة احدى الفرق العسكرية فى الجيش الرومانى على الحدود ، فأدى واجبه على أحسن وجه ، ومن ثم أحبّه الامبراطور وأعطاه لقب « الأمير الشجاع » وأخذ فى ترقيته حتى أصبح اسفهساراً ، وهى رتبة تعادل رتبة القائد الأعلى للجيش فى الوقت الحاضر .

ولم يلبث الأمير تادرس أن اشتاق الى رؤية أبيه ، فدعا اثنين من كبار قواد جيشه ، وهما أبيفام ودسقورس ، وأفضى إليهما بسرّ عزمه على المضى الى مصر للقاء أبيه هناك ، واتفقوا على أن يصحبه أبيفام ويبقى دسقورس لقيادة الجيش . ثم قاموا بتجهيز سفينة أبحرت بتادرس ورفيقه الى الاسكندرية ، حتى إذا بلغاها اتجها مباشرة الى الصعيد حيث مدينة شطب التى أرشدهما اليها أهل مصر ، وراح تادرس يسأل عن أبيه حتى اهتدى إليه ، فوجده مريضاً مشرفاً على الموت ، فتقدّم منه وارتمى فى حضنه قائلاً « أنا ابنك تادرس ، ووالدتى أوسانيا التى طردتك بسبب أصنامها . وأما أنا فتعمدّت وصرت مسيحياً » . فقام أبوه واحتضنه وراح يقبّله فى لهفة وقد انسابت دموع الفرح من عينيه . وشاع الخبر فى المدينة ففرح الجميع بأن الله افتقد يوحنا بمجىء ابنه اليه . ثم بعد خمسة أيام توفى أبوه ، وقام أهل المدينة كلهم بتشييع جنازته ودفنوه فى مدينة شطب . أما ابنه تادرس فقال لهم « وصيتى لكم أننى حين تنتهى حياتى وأنتقل من هذا العالم ، تحضرون جسدى وتدفنونه بجوار أبى » .

وفى هذا الوقت أعلن الفرس الحرب على الامبراطورية الرومانية ، فأرسل الامبراطور دقلديانوس رسلاً الى قواد الجيش يخطرهم بذلك ، فسارع ديسقوروس نائب الأمير تادرس بإرسال خطاب عاجل الى الأمير فى مصر يطلب اليه فيه الإسراع بالعودة الى أنطاكية . فعاد وجمع جيوشه ونظّم صفوفه ودخل الحرب فى شجاعة ، وناضل حتى تمكن من هزيمة الفرس وانسحابهم نهائياً عن حدود الامبراطورية ، فأعجب به الامبراطور ومنحه أعلى أوسمة الدولة وقام بتعيينه والياً على إحدى المقاطعات الرومانية بعد موت واليها . وكانت عاصمة هذه المقاطعة تسمّى أوخيطس ، فأخذ الأمير جنده وذهب اليها وعسكر بالقرب منها استعداداً لدخولها ، ويقال أنه كان ثمة فى ضواحى هذه المدينة ثعبان ضخم يسكنه شيطان وقد أفزع المدينة كلها وأدخل الرعب فى قلوب ابنائها وكان من عادة الوالى السابق ــ وكان وثنياً ــ أن يقدّم لهذا الثعبان أطفالاً صغاراً يرضى بهم الشيطان الساكن فيه . ثم حدث أن أرملة وصلت الى المدينة ومعها طفلاها الصغيران ، فأخذهما أهل المدينة منها وربطوهما فى شجرة ضخمة فوق الجبل كى يراهما ذلك الثعبان أو الشيطان . فمزقت المرأة ثيابها ونثرت شعرها وطفقت تبكى ولديها . وفى هذه الأثناء وصل الأمير تادرس ، فتقدمت اليه والدموع تنهمر من عينيها ، وقالت

له أنها مسيحية وأن أهل المدينة خطفوا ولديها ليقدموها لآلهتهم الوثنية . وكان الثعبان قد اقترب فاغراً فاه ليبتلع الأمير ، فطعنه الأمير برمحه ، ثم استل سيفه وقطع رأسه ، وعندئذ خرج منه الشيطان فى هيئة زنجى مديد القامة . فأسرع الأمير نحوه وهو شاهر سيفه ليطعنه فاختفى الشيطان فى الهواء . ثم أطلق الأمير سراح الطفلين وسلمهما الى أمهما . وكان من أثر هذه القصة الواردة فى المخطوطات ، أن الفنانين أصبحوا يرسمون أيقونة الأمير تادرس وأمامه الأرملة تتوسل اليه وهو على صهوة جواده بملابسه العسكرية وتحته الثعبان الضخم مطعوناً بالحربة ، والى جانب الأمير شجرة مربوط بها أحد ابنى الأرملة ، والإبن الثانى جالساً خلف الأمير على جواده .

وفى تلك الأيام اعتزل الامبراطور دقلديانوس الحكم وتنازل عن العرش لزوج ابنته جاليريوس سنة ٣٠٥ ميلادية ، الذى تنازل بدوره فى نفس السنة لابن أخيه مكسيموس دازا الذى فاق جميع من سبقوه فى الوحشية واضطهاد المسيحيين . وارتكاب أبشع صنوف التعذيب والذبح للآلاف منهم ، وظل فى الحكم حتى انتحر بعد هزيمته أمام الامبراطور ليكينيوس الذى جدد عهد الاضطهاد والاستشهاد . وفى عهده وشى كهنة الأوثان بالأمير تادرس لدى الامبراطور ، بأنه يحتقر الآلهة الوثنية ويعتنق الديانة المسيحية ، فأمر الامبراطور بإحضاره ، وحاول بكل أساليب اللين والاغراء بالمناصب العليا أن يجعله يرتدّ عن عقيدته ويعبد الأوثان ، ولكن الأمير صمد ورفض أن ينكر الهه يسوع المسيح ، فجن جنون الامبراطور وأمر جنوده بأن يجلدوه بالسياط الرومانية المزودّة بقطع الرصاص حتى تمزق جسده ، ولكنه لم ينكر إيمانه ، فأمر الامبراطور بوضعه فى آلة التعذيب التى تسمّى الهمبازين ، وهى كما سبق أن ذكرنا عجلة كبيرة يربط بها الشهيد ثم تدور على مسامير كبيرة بارزة فتفرى لحمه وتحطم عظمه ، ولكن الأمير احتمل العذاب الفظيع فى صبر وقوة عزيمة . ثم فى صباح اليوم التالى أمر الامبراطور باحضار الامير من السجن ولا طفه عسى أن يقنعه بالسجود للأوثان ولكن الأمير ظل على رفضه ، فغضب الامبراطور غضباً شديداً وأمر جنوده بأن يأتوا بسرير من الحديد ويوقدوا تحته ناراً ثم يطرحوا الأمير عليه ، فلما فعلوا به ذلك اشتدّ عذابه وصرخ مستنجداً بربه يسوع المسيح ، فلم تلبث أن جاءت سحابة عظيمة وأفاضت عليه مطراً غزيراً وجاءه صوت من السماء يقول له « تشدد يا تادرس فإن الرب

معك » . فقام على الفور سليماً معافى فلما رأى الجند ذلك دهشوا وآمنوا بالمسيح . فلما علم الامبراطور بذلك أمر بطرحهم فى حفرة متقدة بالنار فاستشهدوا جميعاً .

وبعد ذلك أمر الامبراطور جنوده بأن يطرحوا القديس على الأرض ويضربوه بأعصاب البقر ولكن الرب أعطاه قوة فاحتمل الآلام الرهيبة التى سببتها له السياط . ثم دقّوا جسده فى لوح من الخشب وشقّوا فخذيه وجاءوا بزيت ممزوج بكبريت وزفت وسكبوه فى فمه وجراح فخذيه ولكن الرب خفف آلامه فأمر الامبراطور جنوده بأن يعلقّوه منكّساً ويربطوا حجارة فى عنقه حتى بدأ الدم ينزف من فمه ومن أنفه وهو يحتمل الآلام فى صبر وشجاعة ، فأمر الامبراطور بطرحه فى السجن ، وكان ثمة وال رومانى يحكم الإسكندرية ويدعى كلكيانوس ، وإذ ظن الامبراطور أن تادرس يستخدم السحر فى احتمال آلامه ، استدعى ذلك الوالى وأمره بأن يقوم بترويض ذلك الرجل الباسل حتى يكفر بالمسيح ويرى طريقة لأبطال سحره أو يقوم بتعذيبه ، فاستدعاه كلكيانوس من السجن وراح يلاطفه عسى أن يستجيب له ، ولكنه أصر على إيمانه . فغضب كلكيانوس وأمر جنوده بأن يوثقوه بقيود حديدية وأن يقطعوا لسانه . وهكذا استمر ذلك القديس يتحمل كل صنوف التعذيب فى بسالة منقطعة النظير ، حتى تعب الوالى ويئس من إرغامه على إنكار إيمانه ، فأمر بقطع رأسه بالسيف وحرق جسده بالنار . فأخذه الجنود الى خارج المدينة وقطعوا رأسه ، ثم ألقوا جسده فى النار ، ولكن الله حفظه فلم تمسه النار بسوء ، وجاءت أمه أوسانية وكفّنته ودفنته فى بلد أبيه يوحنا حيث بنيت كنائس وأديره كثيرة على اسمه .

وتحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بثلاثة أعياد سنوية للشهيد الأمير تادرس ، وهى عيد استشهاده فى ٢٠ أبيب وعيد تكريس بيعته فى ٢٠ هاتور ، وعيد نقل جسده الى مصر فى ١٥ هاتور .

وتوجد أجزاء من جثمان الأمير تادرس فى بلدة منا الأمير بمحافظة الجيزة ، وفى دير الأمير تادرس الشطبى بحارة الروم بالقاهرة ، وفى كنيسة مارمرقس بالجيزه ، كما توجد أجزاء من جسده فى كنيسة مارجرجس بمنيل الروضة .

وتوجد للأمير تادرس أيقونات كثيرة فى الكنائس والأديرة القبطية ولعل أشهرها أيقونة يظهر فيها على صهوة جواده مرتدياً ثياب قواد الجيش الرومانى ويتدلى من وسطه سيف وقد أمسك فى يده رمحاً طويلاً مغروساً فى رأس التنين الذى هو الثعبان الضخم الذى قتله وهو منطرح تحت قدميه ، وقد وقفت أمامه الأرملة التى خلّص ولديها رافعة يديها تستنجد به ، وأحد ولديها مربوطاً فى شجرة عالية ، فى حين يظهر الولد الثانى راكباً الجواد خلف القديس ، كما أن له أيقونة أخرى تمثّله وهو يطارد الشيطان الذى خرج من التنين بعد قتله فى شكل زنجى ، وأما أقدم أيقونة للشهيد ، فهى المرسومة بالفرسك فى قبة كنيسة الأنبا انطونيوس فى ديره القائم على شاطىء البحر الأحمر ، وهى ترجع الى القرن الرابع للميلاد طبقاً لتقدير البعثة العلمية الفرنسية ، ولا تزال محتفظة برونقها وجمالها بعد ألف وستمائة سنة بالرغم من آثار الحريق الذى أشعله البدو الذين أغاروا على الدير وأقاموا فيه قرناً كاملاً . وتصور هذه الأيقونة القديس فى الوضع الأول الذى ذاعت شهرته ، كما أنه توجد بنفس الدير أيقونة أخرى للقديس فى كنيسة القديس مرقس التى ترجع الى خمسمائة سنة مضت . كما أن بهذا الدير هيكل باسم القديس الشهيد الأمير تادرس .

وقد أكرمت الكنيسة القبطية هذا الشهيد وأعطته منزلة مرموقة وخلعت إسمه على عدد كبير من الكنائس والأديرة . حتى لقد بلغت الكنائس والأديرة الجديدة التى تحمل اسمه عشرون كنيسة وديراً فى كل أنحاء القطر المصرى . وذلك غير الكنائس والأديرة التى اندثرت وعددها أربعة أديرة وخمس وخمسون كنيسة .

وقد جعلت الكنيسة القبطية لهذا القديس ألحاناً خاصة باسمه ورتبت أن تطلب شفاعته فى الصلوات ، ووضعت له التماجيد والمدائح المختلفة فى كل طقوسها .

ويوجد قديسون كثيرون غير هذا القديس يحملون اسمه ومنهم القديس الأمير تادرس المشرق والبابا تاؤدورس البطريرك الخامس والأربعون فى عداد البطاركة الأقباط . كما أن منهم القديس ثاؤدوروس أسقف كورنثوس والقديس ثاؤدورس أسقف الخمس مدن الغربية والقديس تادرس أسقف مصر (القاهرة) . والقديس تاوضروس الأسقف

المعترف والقديس تادرس الراهب الشهيد ، والقديس تادرس الاسكندرى والقديس تادرس الرومى والقديس تادرس ابن يوليوس الأقفهصى .

٨ ــ القديسة مارينا :

ولدت القديسة مارينا فى مدينة أنطاكية بيسيدية فى آسيا الصغرى ، من أبوين وثنيين وكان أبوها يدعى داديوس ، وكان رئيساً لكهنة الأوثان فى تلك المدينة ، وحين بلغت مارينا السنة الخامسة من عمرها توفيت والدتها ، فأسند أبوها تربيتها الى مربية مسيحية تقطن فى إحدى ضواحى أنطاكية ، فعاشت مارينا معها بعيدة عن عبادة الأوثان ، ولما كانت مربيتها تلك على قدر كبير من الوداعة والصلاح والتقوى ، عاشت مارينا معها أياماً سعيدة هادئة ، تغمرها مبادىء العقيدة المسيحية وآدابها السامية ، حتى اذا بلغت الخامسة عشرة من عمرها توفى أبوها ، ففضلت البقاء مع مربيتها ، وقد تحلّت بكل ما كانت تتحلى به تلك المربية من وداعة وصلاح وتقوى ، فضلاً عما كانت تتصف به مارينا فى تلك السن من جمال باهر ودماثة بارعة . وقد سمعت من مربيتها كثيراً من قصص الشهداء والقديسين الذين يتمسكون بالإيمان بالسيد المسيح . ويذهبون الى الموت فرحين متهللين .

وقد اتفق أن حضر الى أنطاكية والٍ جديد يدعى والوفارنوس . وإذ كان الامبراطور دقلديانوس قد أصدر مرسوماً بأن كل من يرفض عبادة الأوثان أو السجود لها يعذب عذاباً شديداً ثم تؤخذ رأسه بالسيف ، أو يطرح للوحوش الجائعة فتلتهم جسده ، كان ذلك الوالى مكلفاً بالقبض على المسيحيين المقيمين فى أنطاكية وتعذيبهم بأقسى وسائل التعذيب وأبشعها . وقد حدث أن خرجت القديسة مارينا من دارها ذات يوم فأبصرها ذلك الوالى وهو يمرّ بمركبته ، وإذ سحرته بجمالها الفتاّن فكّر فى أن يتخذها زوجة له ، وأرسل جنده ليجيئوا بها ، ولكنهم عادوا إليه قائلين إنها رفضت أن تجيء معهم لأنها مسيحية ، فغضب الوالى غضباً شديداً وأمر جنوده بأن يقبضوا عليها ويأتوا بها ، فجاءوا بها مكبلّة بالسلاسل ، فلما وقفت أمام الوالى قال لها :

ــ من أى جنس أنت ؟

ـــ أنا مسيحية .

ـــ من أى عائلة أنت وما اسمك ؟

ـــ أنا من عائلة يسوع المسيح وإسمى مارينا .

ـــ أىّ إله تعبدين ؟

ـــ أنا أعبد الله الحىّ خالق السماوات والأرض وكل ما فيها .

ـــ فأنت اذن من أتباع يسوع الناصرى الذى صلبه اليهود .

ـــ نعم . أنا من أتباعه ، وإننى أضرع اليه أن يخلّصنى من شر الشياطين ومن الذين يعبدونهم مثلك .

وعندئذ استشاط الوالى غضباً وأمر بأن يلقوها فى السجن ، حتى إذا كان ذاهباً فى اليوم التالى إلى المعبد كى يقدّم الذبائح للآلهة الوثنية أمر بإحضارها ، ثم تفرس فى محيّاها الجميل وقال لها :

ـــ إننى أشفق على شبابك وجمالك من التعذيب ، فأطيعى أوامرى واذبحى للآلهة معى ، تنالى منى الرضاء وأعظم العطاء .

ـــ إننى لا أتزعزع أبداً عن عبادة الله الحى وأتمسّك بعبادته الى الرمق الأخير .

ـــ إنك بهذا الاصرار يا مارينا ستعرّضين نفسك لأقسى صنوف التعذيب . ولن يستطيع أحد أن يخلّصك من يدى سوى طاعتك لأوامرى وتنازلك عن عنادك هذا وسجودك للآلهة ، وفى هذه الحالة ستنقذين نفسك وتحفظين جمالك ، وأنا أغدق عليك أثمن العطايا وأرفعك الى أعلى المراتب فتكونين أميرة لأننى عندئذ سأتزوجك .

ـــ أيها القاسى القلب هل تظن أننى أفزع من عقوباتك ؟ إننى مؤمنة بأن إلهى الصالح سوف يقوّينى ويعزينى . فاعلم أيها الوالى أنك لا سلطان لك إلا على جسدى ، وأما روحى فليس لك عليها سلطان .

القديسة الشهيدة مارينا

فامتلأ الوالى غيظاً وأمر جنوده بأن يربطوا يديها بالحبال خلف ظهرها ، وأن يقيّدوا قدميها بالسلاسل ويضربوها بالسياط ، وفيما كانوا يفعلون ذلك كانت هى تصلّى وتحتمل العذاب فى صبر حتى تمزّق جسدها وسال دمها غزيراً على الأرض . وكان الحاضرون ينظرون فى حسرة إليها ويبكون مشفقين عليها من هول ما تعانى . ولكنها مع ذلك لم تستجب للوالى على الرغم مما كانت فيه من عذاب أليم ، فأمر الوالى جنوده بأن يمشّطوا جسدها بأمشاط من حديد . فلما فعلوا ذلك لم يسع الوالى الا أن يستر وجهه بيديه من فظاعة الجراح التى كانت تنبثق منها الدماء . ثم صاح قائلاً لها « أرجوك يا مارينا أن تسجدى للآلهة لئلاً تموتى أبشع ميته » . ولكنها صمتت و لم تجبه بكلمة واحدة فلما لم يجد أى فائدة من تعذيبها أمر جنوده بأن يطرحوها فى السجن فحبسوها فى مكان مظلم . وفيما هى تصلى جاء ملاك الرب فشفاها من جراحها . حتى اذا أمر الوالى باحضارها فى اليوم التالى ونظر اليها وقد اختفت كل أثار التعذيب فى جسدها ، قال لها « لقد استخدمت السحر يا مارينا فى شفائك » فقالت له « أنا لست ساحرة ، بل أنا مؤمنة بسيدى يسوع المسيح الذى يقوّينى ويشفينى » ، فاحتدم غيظ الوالى وأمر جنوده بأن ينشروا جسدها بمنشار ، وهو يقول لها « سوف نرى إن كان ذلك الذى صلبه اليهود قادراً على أن يخلصك من يدى » . وفعلاً نشر الجنود جسدها . ثم أمرهم بأن يقوموا بتقطيع لحمها بالسكاكين ففعلوا ذلك أيضاً . وإذ ظن الوالى أنها ماتت أمرهم بأن يطرحوا جسدها فى السجن حتى يفنى ويضمحل . ولكنها مع ذلك بقوة الرب تم شفاؤها . واذ يئس الوالى من خضوعها له أمر بأخذ رأسها . فأمسكها السيّاف وخرج بها خارج المدينة . وهناك طلبت اليه أن يدعها تصلى قبل أن يقتلها ثم بعد صلاتها تقدّم السياف إليها وقطع رأسها ، فأخذ بعض المؤمنين جسدها ووضعوه فى صندوق من الرخام ودفنوه فى مدينة أنطاكية بيسيدية . وبعد زمن بنيت فوقه كنيسة . ولما كانت كنائس كثيرة ومتفرقه فى أنحاء العالم المسيحى ترغب فى أن تنال بركة هذه القديسة ، أخذت كل كنيسة جزءاً من جسدها . وكان من نصيب أقباط مصر إحدى يديها . وقد وضعت تلك اليد فى كنيسة الملاك ميخائيل بحارة الروم بالقاهرة . حتى إذا اندثرت هذه الكنيسة نقل الصندوق الذى يحوى يد القديسة الى كنيسة العذراء المغيثة التى بحارة الروم أيضاً . وقد بقيت تلك اليد كما هى دون أن

يصيبها أى تحلل أو فساد منذ حوالى الف وسبعمائة سنة حتى اليوم . وقد وصلت هذه اليد الى مصر فى عهد البابا ثيئودوسيوس الثانى وهو البطريرك التاسع والسبعون من بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية .

وقد تم تدوين سيرة هذه القديسة فى عيد استشهادها الذى يوافق ٢٣ أبيب من كل عام . كما أن هناك سنكساراً خاصاً بيوم تكريس كنيستها ويُقرأ فى ٢٣ هاتور بكل كنيسة يوجد بها جزء من أعضاء جسدها .

وقد اشتهرت القديسة مارينا فى مصر شهرة كبيرة نظراً للمعجزات التى تتم فى الكنيسة التى توجد بها يدها . وقد اتخذ اسمها عدد كبير من السيدات القبطيات تيمنا بهذا الإسم ، وطلباً لشفاعة هذه القديسة .

٩ ــ القديس الأنبا بضابا :

ولد القديس بضابا فى مدينة أرمنت مركز الأقصر بمحافظة قنا ، من أبوين مسيحيين ، وكان اسم والده مينا ، وكان لهذا القديس ابن خالة يسمى اندراوس . ومنذ صباهما كانا يعكفان على مطالعة الكتب المقدسة ، حتى إذا بلغ بضابا العاشرة من عمره ، كان اندراوس يبلغ الثانية عشرة . وقد اتفقا فى هذه السن على ترك العالم ، فراحا يصومان يومين يومين بغير طعام ولا شراب ، ولا يتناولان حين يفطران سوى الخبز والملح ، مع مداومة الصلاة ليلاً ونهاراً ، ثم لم يلبثا أن تركا أهلهما وذهبا الى الجبل الشرقى ، فوجدا هناك القديس الأنبا ايساك فى الموضع الذى تعبد فيه بعده القديس الأنبا بلامون ، فرحب بهما الأنبا ايساك وشجعهما على احتمال المتاعب ، ثم باركهما وأمرهما أن ينفردا فى مكان آخر وحدهما . ثم تنبأ لهما بمستقبلهما ، فقال للأنبا بضابا « سوف تكون يا ابنى راعياً لقطيع المسيح ، وفى النهاية تحل بك أتعاب واضطهادات عظيمة » . وقال لأندراوس « وأنت أيضاً ستنال إكليلاً معداً لك بعد جهادك » . ثم فارقاه وذهبا الى البر الغربى لنهر النيل ، حيث قاما ببناء صومعة للعبادة وقد اشتغلا بنقل الكتب الكنسية نظير مبالغ ضئيلة يقضيان بها حاجاتهما ، ثم يتصدّقان بما يتبقى

منها على الفقراء ، وتدرّجا فى الصوم حتى أصبحا يصومان أسبوعاً أسبوعاً ، ولا يأكلان حين يفطران إلا الخبز والملح .

ولم يلبث الأنبا تادرس أسقف تلك البلاد أن سمع بخبر هذين الناسكين الشابّين ، فحضر إليهما ورسم بضابا شماساً ، وكان هو واندراوس يمضيان الى الكنيسة القريبة مرة كل أربعين يوماً ليتناولا من الأسرار المقدسة . وقد حدث ذات مرة أن دخلا الكنيسة فرأى الأسقف وجه بضابا متألقاً وعلى رأسه شبه إكليل فرسم بضابا قساً ورسم أندراوس شماساً ، وبقى أندراوس مع الأسقف ، وأما بضابا فقد عاد الى قلايته فى الصحراء . ولكنه لم يلبث أن غادر هذه القلاية وانطلق لينفرد فى الجبل . وبعد أيام أرسل الأسقف رسولاً الى القلاية فى طلب القديس فلم يجده ، فبنى الأسقف كنيسة فى موضع القلاية على اسم القديس بضابا واذ كانت تجرى معجزات كثيرة على يد هذا القديس وهو فى الجبل ، لم يلبث أن ذاعت شهرته فحضر اليه الناس من كل مكان ، وقد كان من معجزاته أنه كان يقيم الموتى ويعيد البصر الى العميان ، ويشفى المقعدين ، ويخرج الأرواح النجسة من الذين سكنتهم تلك الأرواح .

وبعد أن توفى الأنبا تادرس أسقف قفط ، اجتمع أهل تلك الإيبارشية وقرروا تزكية الأب بضابا ليكون أسقفاً فى مكان الأسقف الذى توفى ، فوافق البابا فى ذلك الحين وهو الأنبا بطرس خاتم الشهداء الأقباط ، ورسم هذا القديس أسقفاً على كرسى قفط . وقد تمت هذه الرسامة بمدينة الاسكندرية فى ٢٥ يناير سنة ٣٠٢ ميلادية ، وقد عاش الأنبا بضابا بعد رسامته زاهداً كما كان أولاً ، وأرسل الى ابن خالته أندراوس ليكون معه ، فحضر اليه وأقام عنده فى قلايته بمقر الأسقفية .

وحين أثار الامبراطور دقلديانوس الاضطهاد على المسيحيين حضر الوالى أريانوس الى صعيد مصر ، وقبض على المؤمنين وألقى بهم فى السجون وراح يذيقهم من صنوف العذاب ألواناً متعددة من الوحشية والقسوة ، حتى وصل الى مدينة إسنا . فلما بلغ خبره الأنبا بضابا غار غيرة روحية وقال « هل يصح لى أن أمكث فى هذا المكان وإخوتى المسيحيون يلاقون من العذاب مالا يحتمله انسان ؟ كلا لابد لى من أن أذهب الى هناك وأموت على اسم المسيح » . وبعد ذلك دعا الشعب وأقام قداساً وناول الجميع

من الأسرار المقدسة ، ثم أخذ يعظهم قائلاً « إنها الساعة يا أبنائى لتستشهدوا فى سبيل إيمانكم ، فلا تخافوا من النيران الملتهبة ، أو من أسنّة الرماح المفزعة ، أو من لمعان السيوف المسلولة على رقابكم ، بل واظبوا على الصلاة والصوم ، كى تستمدوا منها القوة التى بها تتغلّبون على المتاعب والأهوال ، وتهزمون الشيطان الذى يسعى لأن يجرّدكم من إيمانكم بالسيد المسيح » . واستمر هذا القديس يعظ شعبه ويقوّيه ويشجّعه على ملاقاة الموت بقلب جسور ، ثم قال لهم « إننى سأذهب الآن للاستشهاد على يد أريانوس » ، وتركهم ومضى الى مدينة إسنا ، وكان يصحبه القس أندراوس والأب خرستوذولوس ، ثم التقى بهم فى الطريق القديس بنيامين . وحين وصلوا الى إسنا رأوا جمعاً كبيراً من المسيحيين اعتقلهم أريانوس ، وراح ينزل بهم أشد أنواع العذاب التى تقشعرّ لهولها الأبدان . وحين سمع أريانوس بقدوم الأنبا بضابا ورفاقه أمرهم بأن يسجدوا للأوثان ، فصرخوا قائلين « إننا مسيحيون ولا نسجد إلا لربنا يسوع المسيح » . وعندئذ التفت الوالى الى الأنبا بضابا وسأله عن اسمه ، فأجابه قائلاً « أنا إسمى بضابا » . فقال الوالى « أظن إنك أسقف هذه البلاد . ولكننى أعجب كيف تتجاسر على مخالفة أوامرى ؟ ألا تخشى بطشى وتهاب مكانتى وسلطانى ؟ لعلك لم تشاهد صنوف العذاب التى أحكم بها على أولئك الذين يعترفون بأنهم مسيحيون ؟ » . فقال القديس بكل شجاعة « هل لم تسمع قول الكتاب على لسان سيدى يسوع المسيح : كل من يعترف بى أمام الناس ، أعترف به أنا أيضاً أمام أبى الذى فى السماوات » . فمن أجل هذا الوعد نعترف بإلهنا يسوع المسيح الى النفس الأخير » .

وإذ رأى الوالى ما يتصف به ذلك الشيخ المبارك من حكمة ووقار ، أخذ يحاول أن يكسبه الى صفه باللين والكلام العذب ، قائلاً له « يا بضابا أسجد للآلهة لئلا أكرر معك ما أمرت به من صنوف التعذيب لكل من رفضوا أوامرى ، وإننى أرى أنك رجل جليل المظهر ، وتصلح لأن تكون رئيساً لكهنة الأوثان بدلاً من أن أحكم عليك بالموت » . فأجابه القديس قائلاً « إن موت المسيحى ليس موتاً بل حياة أبدية ، وأما حياتك أنت أيها الوالى وحياة كل الوثنيين فهى موت حقيقى يؤدى بكم الى الجحيم الذى تتعذبون فى ناره المتقدة الى الأبد » . فلما سمع الوالى هذا القول من القديس أمر جنوده بأن يضربوه على فمه . ثم أمرهم بأن يضعوه فى جهاز الهمبازين ليذوق

أقسى صنوف العذاب فى هذا الجهاز الرهيب . وبعد ذلك أمرهم بأن يمشّطوا جسده بأمشاط الحديد ، فتمزق لحمه وسال دمه غزيراً على الأرض . وفى هذه اللحظة ظهر له رئيس الملائكة ميخائيل ، وشفى كل جراحه وعزاه وقوّاه . وإذ رآه الوالى وقد أصبح سليماً من كل آثار التعذيب ، إشتد حنقه وأمر جنوده بأن يشدّوا وثاقه فى المعصره ، ويصبوّا خلاً وجيراً فى فمه ، فاحتمل القديس هذا كله بقوة الرب و لم يضعف ، فازداد حنق الوالى وأمر جنوده بأن يحضروا خلقيناً مملوءاً بالقار والكبريت ويضعوه على النار حتى يبلغ درجة الغليان ثم يلقوا القديس داخله . فلما ألقوه فيه أخذ يصلّى الى الرب يسوع كى يعطيه القوة لاحتمال هذا العذاب الذى لا يحتمله بشر . وبالفعل وجد فى نفسه القدرة والصبر على هذا البلاء .

وإذ فشل الوالى فى اجبار هذا القديس على إنكار إيمانه ، أمر بطرحه فى السجن ، ثم فى اليوم التالى أمر بقطع رأسه بالسيف هو وكل المؤمنين بالمسيح من الشعب . وكان استشهاد هذا القديس فى ١٩ أبيب ، الذى يوافق ٧ يوليو سنة ٣٠٥ ميلادية فى عهد الامبراطور مكسيميانوس أحد مساعدى الامبراطور دقلديانوس .. وكان الشهيد عندئذ فى الثانية والستين من عمره .

وقد أقام الأقباط فى أواخر القرن الثالث الميلادى ديراً باسم الأنبا بضابا أسقف قفط الشهيد فى موضع قلايته الأولى التى أقامها فى بداية انفراده للتعبد بالجبل الغربى . ويتبع هذا الدير إدارياً ناحية فرشوط ، غربى قرية بهجورة التابعة لمركز نجع حمادى بمحافظة قنا ، وكان يتبع كنسياً أيبارشية أسقف إخميم ، ثم أصبح تابعاً لأيبارشية وكرسى جرجا . وأصبح اليوم تابعاً لأيبارشية نجع حمادى . وهذا الدير هو أحد الأديرة القديمة التى لا تزال قائمة الى اليوم ، وإن كان أصبح خالياً من الرهبان ، ومع ذلك فهو لا يزال عامراً بالصلوات الدائمة فى كنائسه الأثرية . وأهالى المنطقة المحيطة بهذا الدير يؤمنون حتى اليوم إيماناً عظيماً بالأنبا بضابا ، وبقدرته على صنع المعجزات ، حتى لقد أصبح شفيعاً لهم .

وقد كتب الأنبا ثاوفيلوس أسقف كرسى قفط ميمراً بسيرة الأنبا بضابا ، كما ذكرها له ابن خالة هذا القديس ، وهو القديس أندراوس .

وقد كرّمت الكنيسة القبطة الأرثوذكسية القديس الشهيد الأنبا بضابا اكراماً عظيماً ، فجعلت له ألحاناً خاصة باسمه ، ورتّبت أن تطلب شفاعته فى الصلوات ، ولا سيما فى مرد الأبركسيس ، وفى رفع بخور عشية ، وتسبحة نصف الليل ، وفى مجمع التسبحة الكيهكى ، وفى التماجيد والأبصاليات ، وفى السنكسار تحت يوم ١٩ أبيب وهو عيد استشهاده ، ويوم ١٣ كيهك وهو عيد تكريس الكنيسة التى تحمل اسمه فى ديره بالقرب من بهجورة مركز نجع حمادى كما يرد اسمه فى مرد إنجيل القديس .

١٠ ــ القديسة رفقة وأبناؤها الخمسة :

سبق أن ألمحنا الى قصة استشهاد القديسة رفقة وأبنائها الخمسة أغاثون وبطرس ويوحنا وآمون وآمونه ، عند الكلام عن « استشهاد عائلات » . ولما كانت هذه العائلة المباركة قد لاقت شهرة عظيمة لدى الأقباط فى مصر ، فإننا نتناول سيرتها مرة أخرى فى هذا الباب بشىء من التفصيل .

وقد كانت هذه العائلة من العائلات الثرية فى احدى قرى مركز قوص بصعيد مصر ، ويقال انها قرية « قامولا » التى ما تزال موجودة حتى اليوم . وقد توفى زوج القديسة رفقة فتولت هى تربية أبنائها الخمسة على الأخلاق المسيحية ، وقد غرست فيهم كل صفات الصلاح والتقوى ، ثم سمعت هذه القديسة أن الامبراطور الرومانى دقلديانوس أصدر منشوراً يقضى بهدم كنائس المسيحيين ، واحراق كتبهم المقدسة ، وطردهم من المناصب العليا ، وحرمانهم من الحقوق المدنية ، وأجبارهم على السجود للآلهة الوثنية ، وتعذيبهم وقتلهم إذا رفضوا السجود لهذه الآلهة . فتألمت القديسة ألماً شديداً حين سمعت هذه الأنباء المحزنة . وجمعت أبناءها الخمسة وقالت لهم « قوموا الآن يا أبنائى نصلّى الى السيد المسيح بلجاجة كى يقوّينا فلا نضعف ، وكونوا واثقين أن شعرة من رؤوسكم لا تسقط الا بإذن أبيكم السماوى » . ثم وقفت فى وسطهم واسترسلت فى صلاة خشوعيّة حارة وعميقة استمرت طوال الليل ، وقد سألت السيد المسيح فيها أن يرحم شعبه وأن ينجّيه من المخاطر التى تنتظره . ثم لم يلبث ملاك الرب أن ظهر لهم وأنبأهم بأنهم سيموتون شهداء على اسم السيد المسيح فى مدينة شبرا

القريبة من الأسكندرية وهى اليوم جزء من مدينة دمنهور ، وأن أجسادهم ستدفن فى قرية « نقرها » التى هى اليوم جزء أيضاً من مدينة دمنهور . ثم قال الملاك لهم « هوذا الرب معكم حتى تكملوا جهادكم وتنالوا إكليل الشهادة فلا تهابوا الموت لأنكم سترثون الحياة الأبدية » . ففرحوا جميعاً بأنهم سيموتون باسم السيد المسيح . وفى فجر اليوم التالى قامت القديسة رفقة مع أبنائها ووزعوا كل ثروتهم على المساكين والمحتاجين ، ثم توجّهوا الى مدينة « قوص » للشهادة باسم الرب يسوع المسيح . وهناك تقدم أغاثون الابن الأكبر للقديسة رفقة ، ووقف أمام القائد ديونيسيوس ورسم علامة الصليب على صدره ، ثم اعترف بالسيد المسيح ، فالتفت القائد الى إخوته ووالدته وأمرهم بأن ينكروا المسيح ، فصاحوا جميعاً بأنهم يعترفون بالمسيح ولا يسجدون إلا له ، فأمر القائد بتعذيبهم . وعندئذ ركعت أمهم تصلى قائلة « أشكرك أيها الإله الرحوم وأبارك اسمك القدوس ، لأنك جعلتنى مستحقة أنا وأبنائى أن نتألم من أجل اسمك .. اننى أقدم لك يارب أولادى قرباناً على مذبحك المقدس ، فأقبلهم اليك كما قبلت قرابين هابيل البار » . وبعد أن انتهت من صلاتها أقبل الجنود وأخذوا القديسة وأبناءها ورفعوهم مربوطين الى فرع شجرة وراحوا يوقدون ناراً تحتهم ، حتى تهرّأ لحمهم وظهر عظمهم ، ولكن نعمة الرب قوّتهم على احتمال آلالام وقد شملتهم رحمة الله فشفاهم من كل جراحهم . فلما رأى الحاضرون ذلك آمنوا جميعاً بالمسيح ، فأمر القائد بقطع رقابهم . واذ خشى ذلك القائد من أن ينتشر الإيمان بين الأهالى حين يرون مثل هذه المعجزات ، أرسل الأم وأبناءها الى أرمانيوس والى الاسكندرية فحملهم الجنود الى سفينة متجهة من مدينة « قوص » الى مدينة شبرا القريبة من الاسكندرية . حتى إذا وصلوا الى هناك سلموا كتاب ديونيسيوس الى أرمانيوس ، فأمر بالقاء الأم وأبنائها فى السجن حتى ينظر فى أمرهم . ثم بعد أيام أمر بإحضارهم وقد قرأ فى كتاب ديونيسيوس أنهم من أغنياء قوص ، فسألهم قائلاً « هل أنتم حقاً من أغنياء قوص ؟ » فقالوا « نعم » ، فقال « وهل عصيتم أوامر القائد ديونيسيوس ؟ » فقالوا « نعم » ، فقال « ولماذا رفضتم السجود للآلهة ؟ » فأجاب أغاثون الابن الأكبر للقديسة قائلاً « إن الآلهة المصنوعة بالأيدى البشرية مرذوله فى عين الرب ، وعابدوها يهلكون » . فلما سمع الوالى هذه الإجابة وهذا التحدّى أمر بتعذيبهم ، فخلع الجنود أسنانهم ، ثم

ضربوهم بأمشاط حديدية ذات أسنان مدببة ، ثم صبّوا مزيجاً من الملح والخل على جراحهم حتى يزداد عذابهم . وإذ رأى الوالى أنهم لم يتوجعوا ، وأنهم قد شفيت جراحهم سريعاً ، أراد أن يأخذهم باللين ، واستدعى الأم وقال لها « أيتها السيدة ، ان أولادك كالزهور اليانعة ، وان ربيع حياتهم لم يكتمل بعد ، ومع ذلك فإنهم لم يستمعوا لأوامرى ، ولم يسجدوا لآلهتى ، وليس عندى لهم ولك غير الموت عقاباً لكم . ولكنكم اذا استمعتم لأوامرى وسجدتم لآلهتى ، وأعطيتمونى الاكرام اللازم ، سوف أعفو عنكم وأعيدكم الى موطنكم وأرد لكم أموالكم ، وأجعل أبناءك فى مناصب سامية فى الدولة الرومانية » . فقالت القديسة « أيها الوالى مكتوب فى انجيلنا المقدس : للرب الهك تسجد ، وإياه وحده تعبد ، فكيف نكرم آلهتك ، ومكتوب قول الرب : لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا جواهركم تحت أرجل الخنازير ، فأنتم قد تركتم الرب الخالق وعبدتم الذهب والفضة ، وسجدتم للحجارة التى لا تتكلم ولا تسمع ولا تحسّ » .

أما أنا وأولادى فلا نعبد إلا المسيح ربنا وإلهنا » . فاشتد غضب الوالى وأمر جنوده بأن يضعوا القديسة وأبناءها فى جهاز الهمبازين ، فوضعوهم بين فكى هذه الآلة الجهنمية ، وعصروهم بها كما تعصر أعواد القصب . ولكن القديسة رفقة لم تكفّ عن الصلاة ، وتشجيع أبنائها كى يحتملوا تلك الآلام الرهيبة التى لا يحتملها بشر . فيئس الوالى من زحزحة هذه العائلة الكريمة عن إيمانها الراسخ بالمسيح ، وأمر بتكبيل أيديهم خلف ظهورهم بالقيود الحديدية ، وإلقائهم فى السجن مقيدّى الأرجل فى المقطرة . وهى آلة خشبية ذات فتحات توضع فيها أرجل السجين مضغوطة بالمسامير حتى تتعذر عليه الحركة ، كما يتعذر عليه النوم . وفى هذا الوضع المؤلم استمرت القديسة فى الصلاة ، طالبة من الرب يسوع أن يقوّيها هى وأبناءها على احتمال هذا العذاب . وبعد مدة قضوها فى ظلام السجن أمر الوالى جنوده بإخراجهم وبأن يصلبوهم منكّسين . ففعلوا ذلك وتركوهم على الصلبان ثلاثة أيام ، ثم عادوا اليهم وقد ظنوا أنهم ماتوا ، ولكنهم وجدوهم أحياء وقد قوّاهم الله فخاف الجنود خوفاً عظيماً وأسرعوا الى الوالى وأخبروه بما رأوا فتعجب جداً وتحيّر ماذا يفعل مع هذه السيدة وأبنائها . ولكنه عاد فطلب من جنوده أن يلقوهم فى خلقين ممتلىء بالزيت

والقار ، وأن يوقدوا ناراً تحته . ففعلوا ذلك ، ولكن الرب قوّاهم أيضاً ، فخرجوا من الخلقين سالمين دون أى أثر فى أجسادهم لما لحقهم من عذاب . فاستبدت الحيرة بالوالى و لم يعد يدرى ماذا يصنع بهم ، فأشار عليهم بعض أعوانه بأن يقطع رؤوسهم بالسيف ويلقى أجسادهم فى البحر . فلما جاء الجلاد ليقطع رؤوسهم ركعت القديسة رفقة وصلت صلاة حارة وتقدمت الى الجلاد مع أبنائها وقدمتهم له واحداً بعد الآخر فقطع رؤوسهم ، ثم تقدمت هى وقدمت رقبتها للجلاد ، فاستشهدوا جميعاً . وكان ذلك فى اليوم السابع من شهر توت ، الموافق ١٧ أو ١٨ سبتمبر .

وحمل الجنود الأجساد الستة المباركة ليطرحوها فى البحر ، ولكن رجلاً تقياً من أهالى « نقرها » أعطى مالاً للجنود وأخذ الأجساد منهم ، وضمخها بالأطياب وكفنها واحتفظ بها حتى انقضى زمن الاضطهاد . فأظهرها ووضعها فى مدفن وبنى فوقه كنيسة فى مدينة « نقرها » ، وأصبحت تجرى فى هذه الكنيسة آيات ومعجزات كثيرة . ثم لما عاد الاضطهاد مرة أخرى حمل المؤمنون الأجساد الى كنيسة « أفامينا » بمدينة « ديبى » وظلت هناك مدة من الزمن حتى نقلت الى كنيسة تحمل اسم هؤلاء الشهداء فى مدينة « سنبوطية » ، المسماة اليوم « سنباط » بمحافظة الغربية . وقد ظلت هذه الأجساد المقدسة بتلك الكنيسة الى اليوم .

١١ ــ القديسان أبادير وأخته إيرينى :

كان القديسان أبادير وأخته ايرينى من عائلة مسيحية شريفة وغنية فى مدينة أنطاكية . وكان أباهما وزيراً يسمى واسيليدس . كما كان خالهما وزيراً يسمى باسيليوس . وحين بلغ أبادير السنة الثانية والعشرين من عمره طلب أبوه من الأمبراطور أن يعينّه ضابطاً فى الحرس الامبراطورى ، فأجابه الى طلبه . وبعد ذلك بنحو عشر سنين أعلن الامبراطور دقلديانوس الاضطهاد للمسيحيين ، فاستشهد واسيليدس أبو القديسين . كما استشهد خالهما باسيليدس . و لم يلبث أبادير أن ظهر له أبوه الشهيد فى حلم وشجعه على أن يستشهد على اسم المسيح ، فاعتزم ذلك فعلاً . وإذ علمت أمه بذلك حزنت حزناً شديداً ، وتوسلت اليه أن يرجع عن عزمه فلا يزيد فى لوعتها

وفجيعتها فى زوجها واسيليدس وفى شقيقها باسيليدس . فظل متردداً ثمانية شهور . ولكن أخته إيرينى جاءت اليه وأنبأته بأن والدهما ظهر لها فى الحلم وشجعها هى الأخرى على أن تستشهد على اسم المسيح . واذ خشيا على أمهما من أن يستبد بها الحزن قررا أن يستجيبا لنداء والدهما فى مكان بعيد عن أمهما . واذ كانت مصر قد اشتهرت بالعدد الكبير من شهدائها ، عقدا العزم على الرحيل اليها كى يستشهدا هناك .

ولم تلبث أن جاءت سفينة متجهة الى الاسكندرية فانضما سراً الى ركابها . وبعد سبعة أيام وصلا الى شواطىء مصر . وكان القديس أبادير قبل أن يترك البلاط الامبراطورى قد رقّاه الامبراطور اسفهساراً ، أى قائداً عظيماً ، وبعد سفره سأل عنه فلم يجده ، فغضب غضباً شديداً ، كما أن أمه حين اكتشفت غيابه هو وأخته مزقت ثيابها وبكت بكاءاً مراً . وأما هذان القديسان فقد علما فى الاسكندرية أن أكثر أهل مصر استشهاداً هم شعب الصعيد ، وأن أقسى الولاة فى معاملة المسيحيين هو والى الصعيد أريانوس ، فاتجها جنوباً فى محاذاة نهر النيل حتى وصلا الى مدينة بابليون ، ثم وصلا الى مدينة « طموه » بالقرب من مدينة ممفيس ، وهناك استضافهما الآنبا آمون أسقف هذه المدينة مدة يومين ، ثم واصلا رحلتهما جنوباً حتى وصلا بعد ثمانية أيام الى قرية « تشينيلا » وهناك قابلهما شماس يدعى صموئيل فأخذهما الى بيته وخدمهما بضعة أيام ، واذ علم أنهما جاءا لينالا إكليل الشهادة على يد أريانوس ، رافقهما الى أنصنا ، وهناك وجدوه يعذب المسيحيين بألوان رهيبة من العذاب ، فصاحا قائلين « نحن مسيحيان » ، فأمر الوالى بالقبض عليهما ، ثم طلب منهما أن يذبحا للآلهة الوثنية ، فقال أبادير « إننا لانذبح لآلهتك ، لأننا لا نعبدها وإنما نعبد الإله الواحد ربنا يسوع المسيح » ، فأمر الوالى بوضع أبادير فى جهاز الهمبازين ليتعذب عسى أن يرضخ لطلب الوالى ، وعسى أن ترى أخته ما يعانيه من عذاب فترضخ هى الأخرى . وبالفعل اضطربت إيرينى حين رأت ما يعانيه أخوها ، فانتهز الوالى الفرصة وربت على كتفها ، وقال لها « أنظرى يا إبنتى ما يفعلونه بأخيك ، فاذبحى أنت للآلهة ، وعندئذ أطلق سراحك » ، فأجابت فى بسالة قائلة « لن أذبح فاصنع ما شئت » .

القديسة الشهيدة إيرينى

وكان واقفاً أحد جنود الوالى ويسمى يوحنا ، فلما أبصر جمال إيرينى أضمر لها شرا ، وقال للوالى « أعطنى هذه الابنة فسوف آخذها عندى وأقنعها بأن تذبح للآلهة ، ولا تفسد جسدها بالتعذيب ، فأعطاه إياها . فأخذ الجندى بيدها وقادها الى بيت من بيوت الدعارة وكانت هناك امرأتان ساقطتان ، فراحتا تحاولان تحريضها على الفساد ، فصرخت قائلة « ياربى يسوع انقذنى » ، وفى الحال ضرب الرب عينى الجندى بالعمى ، فهربت القديسة ، وجاءت الى دار القضاء تبحث عن أخيها ، فعلمت أن الوالى أمر بالقائه فى السجن ، فأسرعت اليه وردت له كل ما حدث لها . ففرح بنجاتها من المؤامرة الشريرة التى استهدفت حرمانها من طهارتها . فكانت أقسى عليها من الموت الذى يهددها به الوالى .

وفى اليوم التالى جاء الجنود ليأخذوا القديس أبادير ، فدهشوا جداً حين رأوا أخته معه وقالوا لها « من الذى أطلق سراحك حتى حضرت إلى هنا ؟ » ، فأجابتهم قائلة « إن الذى أحضرنى من بلدى ، هو الذى خلّصنى من مكيدتكم الشائنة وأحضرنى الى هنا » ، فأمسكوها وقادوها مع أخيها الى دار القضاء . وكان الشماس صموئيل يتبعهما . وحين وقفا أمام الوالى سأل أبادير قائلاً « هل قررت أن تذبح للآلهة ؟ » فأجابه قائلاً « لن يحدث هذا أبداً » . فقال الوالى « هل تتكلم عن نفسك فقط أم تتكلم عن نفسك وعن أختك ؟ » فأجابه قائلاً « أنا وأختى لسنا إلا واحداً » .

فأمر الوالى جنوده بأن يعذبوا أبادير وأخته ، وإذ وضعوا أخته فى آلة التعذيب تألمت ألماً قاسياً ، وقالت لأخيها « يا أخى إننى أضعف وأنا أتعذب عذاباً رهيباً » . فقال لها « تشجعى يا أختى واضرعى الى الله أن يعينك على احتمال آلامك » ، فصرخت قائلة « ياربى يسوع قوّينى » . وفى هذه اللحظة كف الجنود عن تمزيق جسدها ، وقد ظنوا أنها ماتت ، ولكن الرب استجاب لضراعتها فقوّاها فاستردت قواها .

حتى إذا يئس الوالى من محاولة اقناع هذين القديسين بإنكار إيمانهما تارة بالإغراء وتارة بالتعذيب ، أمر جنوده فقطعوا رأسيهما بالسيف وكان استشهادهما فى اليوم الثامن والعشرين من شهر توت ، وقد طلب الشماس صموئيل من الوالى أن يعطيه جسديهما ، فأمر بذلك ، فأخذ الجسدين المباركين وحملهما الى بلدته « تشينيلا » .

وقد كرمت الكنيسة فى مصر الشهيدين أبادير وايرينى فى كثير من طقوسها ، فورد ذكرهما فى الدفنار فى اليوم الثامن والعشرين من شهر توت ، وهو يوم استشهادهما . كما ورد ذكرهما فى السنكسار القبطى تحت ذلك اليوم ، وورد فى الأبصلمودية السنوية ، وفى صلاة مجمع التسبحة اليومية ، وفى صلاة مجمع التسبحة الكيهكية فى ختام صلاة البركة .

وأقام الأقباط كنيسة على اسم هذين الشهيدين فى مدينة أسيوط ، وكنيسة فى دشلوط مركز ديروط بمحافظة أسيوط . وتحدث فى هاتين الكنيستين كثير من المعجزات على مدار السنة ، مما دفع بالأقباط الى تكريم هذين الشهيدين ، والإيمان بقداستهما ، كما دفع بهم الى أتخاذ اسميهما لكثير من أبنائهم وبناتهم ، تيمناً بهما ، وعرفانا بمكانتهما بين الشهداء .

١٢ ــ القديس البابا بطرس خاتم الشهداء :

ولد البابا بطرس البطريرك القبطى السابع عشر فى مدينة الاسكندرية ، وكان أبوه كاهناً مسيحياً يسمى ثيئودوسيوس ، وكانت أمه تدعى صوفية ، وإذ كانت عاقراً طلبت من الله بحرارة أن يرزقها طفلاً ، وقد نذرت أن تكّرسه لخدمة الرب كل أيام حياته . ثم لم تلبث أن رأت فى الحلم رجلين بثياب بيضاء يقولان لها « لا تحزنى يا صوفية ، فقد سمع الرب ضراعتك وسترزقين طفلاً ، فمتى استيقظت فى الصباح اذهبى الى البابا ثاؤنا واخبريه بالأمر وهو يصلّى من أجلك » . وبالفعل حين استيقظت أسرعت الى البابا ، فطلب من الرب يسوع أن يرزقها بالطفل الذى تتوق اليه . ولم تمض سنة حتى أنجبت ولداً فى يوم عيد الرسل ، وأخبرت البابا بذلك ، فقال لوالدى الطفل « ليكن اسمه بطرس لينال بركة صاحب العيد الذى ولد فيه » . ثم بعد ثلاث سنوات جاء به والداه الى البابا فعمدّه وباركه . وفى الخامسة من عمره أرسلاه الى المدرسة ليتعلّم أصول الدين والعلوم الكنسية . وفى السابعة أقيم أغنسطاً أى قارئاً . وفى الثانية عشرة رسمه البابا شماساً ، ثم فى السادسة عشرة رسمه قساً . وقد درس الكتاب المقدس دراسة عميقه مما جعله أهلاً لأن يصبح رئيساً لمدرسة الاسكندرية

خاتم الشهداء
القديس بطرس

اللاهوتية وقد أصبح لقبه « المعلّم العظيم » ، وقد ظهرت مواهبه فأصبح حجة فى العلوم اللاهوتية .

وفى ذلك الحين نادى سابيليوس أسقف بطولمايس فى الخمس مدن الغربية ببدعة أصبحت تسمى البدعة السابيلية ، إذ أنكر وجود ثلاثة أقانيم للجوهر الإلهى الواحد ، قائلاً إنها مجرد تسميات أطلقت على أدوار ثلاثة يقوم الله بها ، أى ثلاثة أشكال أعلن الله بها ذاته . ولما كانت هذه البدعة تزعم أن الآب تألم على الصليب تحت شكل الإبن فقد دُعى أصحاب هذه البدعة بمؤلمى الرب . وقد جاء سابيليوس هذا الى الاسكندرية وطلب مقابلة البابا ثاؤنا ليناقشه فى بدعته ، فأحاله الى القس بطرس وهو موقن أن هذا القس الشاب قادر على أن يفحمه ، ولكن سابيليوس استصغره ، حتى إذا بدأت المناقشة أدرك مقدار كفاءته وقوّة حجّته ، وقد استطاع أن يقنعه بوجود الأقانيم الثلاثة فى الجوهر الإلهى الواحد .

وحين دنت ساعة البابا ثاؤنا نصح الشعب بانتخاب القس بطرس بطريركاً بعده ، مؤكداً لهم إن الله هو الذى اختاره ، وقد توفى البابا ثاؤنا فى عام ١٨ للشهداء ، الموافق ٢٨ ديسمبر سنة ٣٠١ ميلادية وفى أول أمشير عام ١٨ للشهداء اجتمع رجال الإلكيروس القبطى مع سائر الشعب ، وتمّت رسامة البابا بطرس البطريرك السابع عشر على كرسى الإسكندرية . وقد كانت رسامته فى وقت اشتدت فيه عاصفة الاضطهاد على المسيحية فى عهد الامبراطور دقلديانوس ومساعده مكسيميانوس . وقد القى الوالى الرومانى كثيراً من الأساقفة فى السجن ، وهدم الكنائس وأحرق الكتب المقدسة ، فضلاً عن الانقسام الذى وقع فى الكنيسة بسبب ميليتوس أسقف ليكوبوليس ، وهى أسيوط فى صعيد مصر . وكان ميليتوس قد ضعف وبخر للأوثان أثناء الاضطهاد فوقّع البابا عليه جزاءاً لهذا السبب ، فرفض الجزاء ، فعقد البابا مجمعاً من الأساقفة بالاسكندرية . فجرّد المجمع ميليتوس من رتبته الكهنوتية فما كان من ميليتس إلا أنه أنشقّ على الكنيسة واعتبر نفسه بطريركاً وأخذ يرسم أساقفه وقسوساً أثناء ابتعاد البابا بسبب الاضطهاد . وإذ كان هذا المسلك من ميليتوس مخالفاً للقانون الكنسى الذى يقضى بأنه لا يجوز للأسقف أن يقوم بالرسامة فى غير إيبارشيته ، كتب البابا بطرس

الى جميع الشعب يحذّرهم من الانسياق وراء ميليتوس ، ولكن هذا مع ذلك استمر فى مخالفة قوانين الكنيسة ، حتى بلغ عدد الأساقفة الذين رسمهم ثمانية وعشرون أسقفاً ، وبلغ عدد القسوس المئات ، وبعد ذلك عرضت قضية هذا الأنشقاق على المجمع المسكونى الأول فى نيقيا سنة ٣٢٥ ميلادية ، فسمح المجمع ببقاء ميليتوس أسقفاً فى حدود ايبارشيته على أن لا يرسم بعد ذلك أساقفة أو قسوساً . وأما الأساقفة الذين رسمهم فقد قضى المجمع بوجوب أن تعاد رسامتهم ، على أن لا يرسم أسقف بعد ذلك بغير حضور ثلاثة أساقفة واشتراكهم فى الرسامة . كما قضى المجمع باعادة تثبيت القسوس الذين رسمهم ميليتس .

وفى أثناء بابوية القديس بطرس أيضاً ظهرت بدعة أريوس ، وكان البابا قد رسمه شماساً ، ثم رسمه كاهناً على الاسكندرية فى بوكاليا ، ولكن البابا لم يلبث أن أدرك ما فى أفكار آريوس من هرطقة ، فعقد مجمعاً فى الاسكندرية وحرمه ، ولكنه استمر مع ذلك فى نشر تعاليمه ، ثم قبض الوالى الرومانى على البابا وألقى به فى السجن ، وذلك بسبب أن رجلاً يسمى سقراط أنكر الايمان المسيحى وذبح للأوثان ارضاء للامبراطور دقلديانوس . وقد طلبت منه زوجته أن يسافر معها الى الاسكندرية لتعميد ابنيهما هناك .. فرفض خوفاً من غضب الامبراطور ، فأخذت الزوجة أبنيها وأبحرت الى الاسكندرية . وفيما كانت السفينة فى البحر هبّت ريح عاصفة ، فخشيت السيدة أن يموت ولداها بغير عماد ، فتضرعت الى الرب ألا يدعهما يموتان بغير عماد . ثم جرحت ثديها ورشمت جبهتهما بدمها ، ثم غطّستهما فى ماء البحر وهى تقول لكل منهما « أعمدك باسم الآب والإبن والروح القدس » . حتى اذا بلغت مدينة الاسكندرية أسرعت الى الكنيسة وطلبت من البابا أن يعمّد طفليها فأمسك البابا بهما وأراد تغطيسهما فى ماء المعمودية ، ولكن الماء تجمّد . فعمّد البابا أطفالاً أخرين ، ثم عاد ليعمّد الطفلين فتجمد الماء أيضاً ، حتى إذا حدث ذلك فى المرة الثالثة سأل البابا أمهما عن قصتها ، فذكرت له ما حدث لها فى الطريق ، فقال لها « لا تخافى يا ابنتى فإن الرب يسوع معك ، وهو الذى عمّد بنفسه الطفلين » . ثم عادت الأم مع طفليها الى بلادها . وإذ علم سقراط زوج المرأة بما حدث خاف وأبلغ الامبراطور متّهما زوجته

بالزنا ، فاستدعاها الامبراطور ، وأمر جنوده بأن يوثقوا يديها خلف ظهرها ، وأن يضعوا الطفلين فى حضنها ، ثم يحرقوا الثلاثة بالنار ، فماتوا شهداء . ثم أراد الامبراطور أن ينتقم من البابا بطرس فأمر والى الاسكندرية بإلقائه فى السجن .

وقد أدرك أريوس أن البابا سيستشهد ، فأسرع يبذل كل الجهد كى يصفح عنه ، حتى يمكنه أن يعتلى الكرسى البطريركى بعده ، فأرسل جماعة من رجال الأقباط البارزين ليتشفعوا له لدى البابا فى سجنه . فما أن علم البابا بما جاءوا من أجله حتى قال لهم « كيف تجسرون على التوسل من أجل أريوس ؟ ليكن أريوس محروماً فى هذا العالم وفى الدهر الآتى . فليس له نصيب فى مجد ابن الله يسوع المسيح ربنا » ثم أخذ البابا تلميذيه الكاهنين أرشلاوس والكسندروس على انفراد وقال لهما « ليعيننى الرب إله السماء حتى أتمم شهادتى على اسمه ، وأنت يا أرشلاوس ستكون بعدى على كرسى البطريركية ، وألكسندروس سيكون بعدك . وصدقونى أن خداع آريوس يفوق كل كفر ويعلو على كل شر . وصدقونى إننى لا أحرمه من نفسى ، وإنما رأيت السيد المسيح فى رؤيا يرتدى ثوباً كتانياً ممزقاً ومشقوقاً من الرأس حتى القدمين ، فقلت له من الذى شق ثوبك يا سيدى . فقال إن آريوس هو الذى شقّه فاحذره كل الحذر ، ولا تقبله فى الشركة الكنسية ، ولا تحلّه ، بل زده حرماً . وأوص أرشلاوس وألكسندروس الكاهنين اللذين سيجلسان على الكرسى بعد رحيلك ألا يقبلاه بعد أن تنال أنت إكليل الشهادة . أنتما تعرفان كيف كنت أختفى من موضع إلى موضع تجنباً للحكام الذين يضطهدوننى زمناً طويلاً ، وأنتما تعرفان أيضاً كم كنت مهموماً بسبب الأساقفة المقبوض عليهم فيلاس وهشيموس وباخوميوس وثيئودورس الذين تقبلوا دعوة الاستشهاد باستحقاق لدى النعمة الإلهية ، أولئك الذين احتملوا مع بقية المعترفين ألواناً عديدة من العذاب فى سبيل الثبات على الإيمان بالسيد المسيح . ففى هذا الصراع الذى ذهب ضحيته لا كهنة فحسب ، وإنما أيضاً علمانيون معروفون ومعلّمون كنت أخاف جداً أن يخور بعض هؤلاء بسبب الضغط العنيف والمستمر ، فيكون ارتدادهم عثرة للمؤمنين ، فقد وجدت معى فى السجن أكثر من ستمائة وستين مؤمناً ينتظرون الاستشهاد . وبالرغم مما كنت أعانيه من ضغوط وأتعاب كثيرة ، لم أكفّ عن الكتابة إليكم ، أذكركم بالتعاليم المقدسة وأشجعكم على أن تنالوا اكليل الشهادة ، وحين سمعت

عن مثابرتكم العظيمة ، وما تعانونه من آلام رهيبة فى سبيل إيمانكم سجدت على الأرض ممجداً السيد المسيح وشاكراً له على عطيته لكم إزاء ما أبديتم من قوة الإيمان والثبات على مسيحيتكم وما هيّأه السيد المسيح لكم من أكاليل المجد التى شاء أن يتوج بها رؤوسكم . كما سألته أن يحسبنى معكم كى أكمل سعيي ، وكى يعتبرنى مستحقاً للموت فى سبيل اسمه القدوس . وأخيراً أستودعكما الله ، فلن تريانى بعد ذلك » ثم جثا القديس على ركبتيه وصلّى مع تلميذيه ، وقبّلهما ، كما قبّل التلميذان يديه ورجليه وانهمرت دموعهما بغزارة لأنه قال لهما إنهما لن يعودا يريانه بعد ذلك .

وإذ عرف المؤمنون أن الوالى ألقى بطريركهم فى السجن هرعوا اليه جميعاً بأعداد لا حصر لها ، وقد قرروا جميعاً أن يموتوا ولا يروا شراً يلحق بأبيهم القديس ، فأدرك البابا أن احتكاكاً لابد أن يحدث بين جموع المؤمنين وقواد الجند الذين أرسلهم الامبراطور لقتله ، فاستدعى أحد الشيوخ المؤثوق فيهم وطلب منه أن يبلغ الوالى رسالة يطلب اليه فيها أن يرسل بعض جنوده الى الجهة الخلفية من السجن ، وأنه سيقرع لهم بيده على مكان فى السور ، فينقبوا ذلك المكان من السور فيخرج هو إليه لينفّذوا فيه الأوامر الصادرة من الامبراطور بقتله . وفعلاً نفّذ الوالى هذه الخطة بكل دقة ، فخرج إليهم البابا نفسه فى هدوء قائلاً « خير لى أن أسلّم نفسى فدية عن شعبى ولا يلحق أحد منهم أى سوء » .

وقبل أن ينفّذ الجنود فى البابا حكم الموت طلب اليهم أن يسمحوا له بأن يزور قبر القديس مرقس الرسول لينال بركته ، فطلبوا منه أن يفعل ذلك بكل سرعة . فتقدم البابا الى مدفن القديس وقبّله ، ثم قال « أيها الأب العظيم الاحترام ، كاتب إنجيل مخلّصنا يسوع المسيح والشاهد لآلامه ، لقد اختارك مخلصنا لتكون أول رئيس للكهنة فى مصر ، وعاموداً لكنيستها ولقد كنت ساهراً على الخدمة التى ائتمنك عليها لخلاصنا ، وجزاء لهذا العمل المجيد نلت إكليل الشهادة ، فاستحققت بذلك كرامة كاتب الإنجيل ، وكرامة رئيس الأساقفة فى نفس الوقت . وقد صرت أنا الخاطىء غير المستحق أن أكون خليفتك على كرسيك ، فأطلب اليك يا سيدى أن تجعلنى مستحقاً لأن أكون خليفتك فى بذل الروح أيضاً . كما أطلب اليك أن تسندنى كى أجتاز آلام الموت بقلب شجاع وإيمان راسخ ، وانى استودعك قطيع المسيح الذى كنتُ مسئولاً عن رعايته ،

متضرّعاً الى رب المجد أن يكون موت خادمك خاتمة لهذا الأضطهاد فلا تقوم له قائمة بعد اليوم » .

وإذ انتهى القديس من صلاته ، وقد صار وجهه كوجه ملاك تقدم الى الجنود متوسلاً اليهم أن يعجّلوا بموته قبل طلوع الفجر حتى لا يحدث تذمر من الشعب ، فتقدم أحدهم وضرب عنقه بالسيف ، فكان بذلك خاتم الشهداء فى العصر الرومانى ، وإن كان الاضطهاد والاستشهاد استمرا بعد ذلك فى مصر ، ولكن هذا القديس احتفظ فى الكنيسة القبطية بلقبه باعتباره « خاتم الشهداء » .

وفى الصباح سرى بين الشعب خبر استشهاد البابا فأسرعوا الى الموضع الذى قتله الجنود فيه ، وألبسوه ثياب التقديس وأجلسوه على كرسى القديس مرقس ، ثم حنطه الكهنة بأطياب ، ولفوّه فى لفائف من حرير ، وقد حمل الشعب سعف النخيل الذى يرمز الى النصر ، وأضاءوا المشاعل مترنّمين بالتسابيح وأطلقوا البخور محتفلين بصعود البابا منتصراً الى السماء . ثم دفنوه فى المقبرة التى كان قد بناها لنفسه فى موضع يقال له « لوقابتس » على شاطىء البحر ، وقد بنى الشعب القبطى كنيسة فوق قبره فى عهد الامبراطور الرومانى قسطنطين . وقد بقيت هذه الكنيسة قائمة حتى تخربت عند دخول العرب مصر ، فبنى الأقباط كنيسة أخرى لتحلّ محل الأولى فى شرق الاسكندرية . كما بنوا كنيسة أخرى فى عصر لاحق باسم القديس مرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء .

ويذكر سوزومين أحد مؤرخى الكنيسة الأولى أن شعب الاسكندرية كانوا يحتفلون بعيد البابا بطرس سنوياً حيث يقوم أسقف الاسكندرية بخدمة القداس الإلهى يوم ذكرى استشهاد ذلك القديس فى ٢٩ هاتور ، وقد ذكر اسمه فى السنكسار القبطى تحت هذا التاريخ .

تم الكتاب الرابع من سلسلة « الشهداء »
ويليه الكتاب الخامس ويتضمن سيرة الشهداء بالتفصيل

المراجـــع

المراجع العربية :

١ ــ الكتاب المقدس .
٢ ــ السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين (القاهرة ١٩٣٥) .
٣ ــ الصادق الأمين فى أخبار القديسين (القاهرة ١٩١٢) .
٤ ــ الكنز الثمين فى أخبار القديسين ــ ثلاثة أجزاء ــ تأليف مكسيموس مظلوم ــ (بيروت ١٨٦٦) .
٥ ــ الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة تأليف الأسقف ايسيذورس (القاهرة ١٩٢٣) .
٦ ــ تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والمدنية ــ تأليف موسهيم (بيروت ١٨٧٥) .
٧ ــ قصة الكنيسة القبطية ــ تأليف إيزيس المصرى .
٨ ــ تاريخ الكنيسة القبطية ــ تأليف القس منسى القمص .
٩ ــ تاريخ الكنيسة ــ تأليف يوسابيوس الإسكندرى ترجمة القس مرقس داود .
١٠ ــ مروج الأخبار فى تراجم الأبرار ــ للأب بطرس فرماج اليسوعى .
١١ ــ القديسة برباره ــ جمعية القديسة بربارة الأرثوذكسية .
١٢ ــ الأمير تادرس الشطبى ــ تقيم الأستاذ ماجد القس تادرس .
١٣ ــ القديسان الشهيدان سرجيوس أبو سرجة وواخس ــ تأليف مليكة حبيب يوسف ويوسف حبيب .
١٤ ــ أمير الشهداء مارجرجس ــ القمص سمعان السريانى .
١٥ ــ مرقس الرسول ــ تأليف البابا شنودة الثالث .
١٦ ــ مارجرجس ــ تأليف الأنبا فيلبس مطران الدقهلية .
١٧ ــ القديس ابراهام الفرشوطى ــ الأستاذ رشدى واصف بهمان .
١٨ ــ القديس الأنبا بضابا ــ الاستاذ رشدى واصف بهمان .
١٩ ــ مارمرقس ــ القمص بيشوى كامل .

9. History of Christian Church: PH. Schaff.
10. The story of the Church of Egypt: Butcher.
11. Defenders of the Faith: Wastom.
12. The historic martyrs of the primitive Church: A.J. Mason.
13. Les saints d'Egypte: Paul Cheneau d'Oreleans.
14. Persecution in the Early Church: Workman.
15. Another book besides history of martyrs: Eusabius.
16. Martyrdom Persecution in the Early Church.
17. Age of Martyrs: Ricotti.
18. Legends of the saints: De la Haye.
19. Encyclopaedia of Religion and Ethics: James Hastings.
20. International Encyclopaedia.
21. The New International Encyclopaedia.
22. The Ancient Coptic Church of Egypt: A. Butler.
23. History of Egypt: J. Lane Pool.
24. The History of Egypt under the Roman Rule: Miline.
25. Histoire de L'Eglise D'Alexandrie: Vanslob.
26. L'Egypte Romaine: W. Hoklwein.
27. Les Saints de L'Egypte: Paul Cheneau.

٢٠ ــ القديسة مارينا ــ القس أنطونيوس جرجس ــ دار مجلة مرقس .
٢١ ــ القديسة كاترينا ــ دار مجلة مرقس .
٢٢ ــ ماربهنام وسارة أخته ــ القمص بيشوى عبد المسيح .
٢٣ ــ الشهيدة رفقة وأولادها ــ القمص أمونيوس عبد المتجلى .
٢٤ ــ الشهيدان أنبا صرابامون وأنبا ديديموس ــ مليكه حبيب يوسف ويوسف حبيب .
٢٥ ــ القديس بطرس خاتم الشهداء ــ القمص تادرس يعقوب ملطى .
٢٦ ــ القديس قبريانوس أسقف قرطاجة ــ موريس جورجون ــ ترجمة الأب ج . عقيقى اليسوعى .
٢٧ ــ تادرس وبرباره ــ ايفيت الياس خلة .
٢٨ ــ القديس أنبا موسى ــ يوسف حبيب .
٢٩ ــ القديس مكاريوس الشهيد ــ القمص بيشوى عبد المسيح .
٣٠ ــ السنكسار القبطى ــ رينيه باسيه .
٣١ ــ عصر الاستشهاد ــ الأنبا يؤنس أسقف طنطا .
٣٢ ــ الشهيدان أبادير وأخته إيرينى : القمص أبادير السريانى .

المراجع الأجنبية :

1. The Justin Martyr: 1 & 2 apologies.
2. Exhortation to martyrdum: Origen.
3. A Dictionary of Christian Antiquities: Smith & Cheetham.
4. Dictionary of Christian Biography: Smith & Wace.
5. Oxford Dictionary of the Christian Church.
6. Nicene & Post Nicene Fathers.
7. Documents of the Christian Church: Henry Bettenson.
8. The Early years of Christianity: E. De Pressense.

الفهـــرس

صفحة

مقدمة ٧

الباب الأول : اضطهاد اليهود للمسيحيين ١٠

١ ــ فى عهد السيد المسيح ١٠

٢ ــ فى عهد تلاميذ السيد المسيح ١٦

٣ ــ وسائل اليهود فى إضطهاد المسيحيين ٢٩

٤ ــ اضطهاد اليهود للمسيحيين على مدى العصور ٣٤

الباب الثانى : اضطهاد الامبراطورية الرومانية للمسيحيين ٣٨

الفصل الأول : أشهر أباطرة الرومان الذين اضطهدوا المسيحيين ٣٨

١ ــ كلمة عامة عن الأمبراطورية الرومانية ٣٨

٢ ــ نماذج من الأباطرة الرومان ٤١

أ ــ يوليوس قيصر ٤١

ب ــ أوكتافيوس ٤٢

جـ ــ طيباريوس ٤٤

د ــ كاليجولا ٤٧

هـ ــ كلوديوس ٤٨

و ــ نيرون ٥٠

٣ ــ الأباطرة الرومان الذين اشتد فى عهدهم اضطهاد المسيحيين

١ ــ نيرون ٥٤

٢ ــ دوميتيانوس ٥٥

٣ ــ تراجان ٥٦
٤ ــ ماركوس أوريليوس ٥٨
٥ ــ سبتيموس سافيروس ٦٠
٦ ــ كاراكلا ٦٢
٧ ــ مكسيميانوس ٦٣
٨ ــ ديسيوس ٦٤
٩ ــ فاليريان ٦٦
١٠ ــ دقلديانوس وأعوانه ٦٨
الفصل الثانى : أسباب اضطهاد الأمبراطورية الرومانية للمسيحيين ٧٦
١ ــ نادت المسيحية بعبادة الله وحده وليس عبادة الامبراطور ٧٦
٢ ــ نادت المسيحية بفصل الدين عن الدولة ، فى حين أن الديانات الوثنية كانت تخلط بين الدين والدولة ٧٧
٣ ــ نادت المسيحية بالمساواة بين جميع الناس فى حين أن المجتمع الرومانى هو مجتمع السادة والعبيد ٧٨
٤ ــ نادت المسيحية بالحياة الاشتراكية فى حين كانت الامبراطورية الرومانية من أبشع الدول الرأسمالية فى التاريخ كله ٨٢
٥ ــ كان المسيحيون بسبب خوفهم من الإضطهاد يمارسون صلواتهم وطقوسهم سراً ، فأثار ذلك حولهم الشبهات والشائعات ٨٤
٦ ــ حين ظهرت المسيحية هاجمها معظم فلاسفة العالم وشنوا عليها حملة شعواء وحرّضوا السلطات للقضاء عليها ٨٥
الفصل الثالث : محاكمة الشهداء ٨٩
أ ــ إجراءات محاكمة غير المسيحيين ٨٩
ب ــ طريقة محاكمة الشهداء المسيحيين ٩٠
جـ ــ نماذج من محاكمة الشهداء ٩١
١ ــ الشهيدان تيموثاوس وعروسه مورا ٩١

٢ ــ الشهيد بقطر الجندى ٩٥
٣ ــ الشهداء تاراكوس وزميلاه بروباس وأندرونيكس ٩٨
٤ ــ الشهيد هادريان ١٠٣
الفصل الرابع : وسائل تعذيب الشهداء ١٠٦
أ ــ وسائل التعذيب الجسدى ١٠٦
١ ــ الحرق ١٠٦
٢ ــ نشر الجسم بالمنشار ١٠٧
٣ ــ السلخ ١٠٧
٤ ــ السحل ١٠٧
٥ ــ الصلب ١٠٧
٦ ــ الإلقاء للوحوش ١٠٧
٧ ــ الشنق ١٠٧
٨ ــ صب الرصاص أو القار المغلى فى فم الشهيد ١٠٨
٩ ــ الغرق ١٠٨
١٠ ــ تمزيق الجسم ١٠٨
١١ ــ ربط قدمى الشهيد فى شجرة فى وضع مقلوب ١٠٨
١٢ ــ الجلد بالسياط ١٠٨
١٣ ــ التعذيب بواسطة جهاز الهمبازين ١٠٨
١٤ ــ تمرير عجلة ذات مسامير حديدية فوق جسم الشهيد ١٠٩
١٥ ــ نزع أظافر الشهيد ١٠٩
١٦ ــ القاء الشهيد فى بحيرة متجمدة ١٠٩
١٧ ــ دفن الشهيد وهو حى ١٠٩
١٨ ــ قطع الرقبة بالسيف ١٠٩
١٩ ــ التمثيل بجثث الشهداء ١١٠
ب ــ وسائل التعذيب المعنوى ١١٠
١ ــ الحرمان من الحرية ١١٠

٢ ــ الضغط العاطفى ١١١
٣ ــ النفى ١١٢
٤ ــ السخرة فى المناجم والمحاجر ١١٢
٥ ــ الحرمان من الحقوق ١١٣
الفصل الخامس : المذابح الجماعية للشهداء ١١٤
أ ــ أمثلة من مذابح الشهداء الأقباط فى مصر ١١٥
(١) ٨١٤٠ شهيداً فى مذبحة أخميم ١١٥
(٢) خمسة آلاف شهيد فى مذبحة إسنا ١١٧
(٣) خمسة آلاف شهيد فى مذبحة أنصنا ١١٩
(٤) خمسة آلاف راهب استشهدوا فى دير بالقرب من أنصنا ١١٩
(٥) ٦٦٦٦ شهيداً فى مذبحة الكتيبة الطيبية ١٢٠
(٦) ١٥٠٠ شهيد فى أتريب ١٢١
(٧) ١٧٤ شهيداً فى أنصنا ١٢١
(٨) ٩٢٠ شهيداً فى الاسكندرية ١٢١
(٩) استشهاد أربعين عذراء مع القديسة دميانة ١٢٢
(١٠) استشهاد أربعين راهبة فى جبل أسيوط ١٢٤
(١١) ٤٠٠ شهيد فى دندرة ١٢٤
(١٢) ٤٩ شهيداً فى دير أبو مقار بوادى النطرون ١٢٤
(١٣) ٥٤٠ شهيداً فى مدينة ببنوسة فى صعيد مصر ١٢٥
(١٤) سبعة رهبان مع الأنبا موسى الأسود ١٢٥
(١٥) سبعة رهبان من تونة الجبل ١٢٥
(١٦) ثلاثون ألف شهيد فى الاسكندرية ١٢٥
(١٧) الشهداء الذين قتلهم الأمبراطور قنسطنس ١٢٧
(١٨) استشهاد أقباط فى كل أنحاء مصر على يد الأريوسيين ١٢٨
ب ــ أمثلة من مذابح الشهداء فى غير مصر ١٢٨
(١) ١٥٠ شهيداً فى بلاد الفرس ١٢٨

(٢) ١٠٠ شهيد فى بلاد الفرس مع القديسين ببنودة وتاوضروس ١٢٨
(٣) ١٢٨ شهيداً فى بلاد الفرس مع القديس صادوق ١٢٩
(٤) استشهاد خمسين راهبة ورئيستهن القديسة صوفية ١٢٩
(٥) ٤٩ شهيداً فى أبتينا بشمال أفريقيا ١٢٩
(٦) ٤٠ شهيداً فى سبسطية بكبادوكيا ١٣٠
(٧) الفتية السبعة فى مدينة أفسس ١٣٠
(٨) ١٥٠ شهيداً مع القديس سمعان الأرمنى فى بلاد الفرس ١٣١
(٩) ٣٦ عذراء مع القديسة أربسيما ١٣١
الفصل السادس : استشهاد عائلات ١٣٣
أ ــ استشهاد عائلات فى مصر ١٣٣
(١) القديسة رفقة وأبناؤها الخمسة ١٣٣
(٢) الأم دولاجى وأبناؤها الأربعة ١٣٤
(٣) القديسة ديدرها وأبناها أباهير والأنبا بشوى ١٣٤
(٤) القديس أباكير وأخوه فيليا ويوحنا وأبطلما ١٣٥
(٥) يسطس ابن الملك نوماريوس وزوجته ثاوكليا وابنهما أبالى ١٣٥
(٦) الأنبا ديسقوروس وأخوه اسكلابيوس ١٣٥
(٧) القديس يوحنا وسمعان ابن عمه ١٣٦
(٨) القديس مويسيس وأخته ساره ١٣٦
(٩) القديسان أونابيوس وأخوه أندراوس ١٣٧
(١٠) القديسان أبادير وأخته إيرينى ١٣٧
(١١) القديس ثاؤفيلس وزوجته ١٣٧
(١٢) أبا ايسى وأخته تكلا وابنها أبولونيوس ١٣٨
(١٣) القديسة أثناسيا وبناتها الثلاث وأبو قير ويوحنا ١٣٨
(١٤) القديسان أبيرو وأخوه أتوم ١٣٩

(١٥) القديس بنيامين وأخته أودكسية ١٤٠
(١٦) القديسة صوفية وابناها بوديمون وبسطامون ١٤٠
ب ــ استشهاد عائلات فى غير مصر ١٤١
(١) ثيئودونى وأبناؤها الخمسة ١٤١
(٢) توبلادس وأخته اكسو وصديقه طاطس ١٤٣
(٣) القديسة صوفية وبناتها الثلاث ١٤٣
(٤) القديسات ماكسيما وأختها دونا ١٤٤
(٥) القديسان أبيفانس وأخوه أديسيوس ١٤٥
(٦) بالاريانوس وزوجته كيليكية وأخوه تيبورتيوس ١٤٦
(٧) مار بهنام وأخته سارة ١٤٦
(٨) القديسة سارة وولدها ١٤٧
(٩) أسطاتيوس وولداه ١٤٨
الفصل السابع : أشهر الشهداء فى مصر ١٥٠
(١) القديس مرقس الرسول ١٥٠
(٢) مار جرجس ١٦٤
(٣) مار مينا ١٧٤
(٤) القديسة بربارة ١٨٦
(٥) القديس مرقوريوس أبو سيفين ١٩٢
(٦) القديسة كاترين ٢٠٠
(٧) الأمير تادرس الشطبى ٢٠٩
(٨) القديسة مارينا ٢١٥
(٩) القديس الأنبا بضابا ٢١٩
(١٠) القديسة رفقة وأبناؤها الخمسة ٢٢٣
(١١) القديسان أبادير وأخته إيرينى ٢٢٦
(١٢) القديس البابا بطرس خاتم الشهداء ٢٣٠
المراجع ٢٣٧
الفهرس ٢٤١

هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة الشهداء التى هى فى مجموعها تؤلف الجزء الحادى عشر من « موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية » لمؤلفها المؤرخ الكبير المستشار زكى شنودة مدير معهد الدراسات القبطية حالياً ، والمستشار القانونى والمدير الإدارى للمنظمة الدولية لتضامن الشعوب الأفريقية الأسيوية ، والسكرتير العام المساعد لحزب الكتلة الوفدية . ورئيس تحرير جريدة الكتلة ، ورئيس حزب الاتحاد القبطى سابقاً ، وعضو لجنة اعادة ترجمة الكتاب المقدس ترجمة جديدة الى اللغة العربية . كما قام بترجمة الكتاب المقدس ترجمة جديدة الى اللغة العربية . كما قام بترجمة عشرين كتاباً فى التاريخ والقانون والأدب والفلسفة عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، فضلاً عن آلاف المقالات الوطنية والسياسية والاجتماعية التى نشرتها له كبريات الصحف المصرية على مدى نصف قرن .

يطلب من

مكتبة مارجرجس ١٧ ش المستشفى ــ شبرا مصر

تليفون : ٩٤٣٢٤٣

ومن جميع المكتبات المسيحية